زهير كاظم عبود

طاؤوس ملك

رئيس الملائكة لدى الأيزيدية

www.bahzani.net

المدخـل

شكلت فكرة (طاؤوس ملك) لدى الأيزيدية العديد من علامات الأستفهام والتساؤل والأبهام والغموض والأشكال عند الكثير ، بالنظر لأعتماد الميثولوجيا الأيزيدية وتجسيدها لرمز الطاووس ، الذي تصورته المخيلة الدينية الشعبية على شكل طائر مصنوع من المعدن يجلس فوق قاعدة أخرى متعددة الدوائر يرتكز على قاعدة أخيرة عريضة يستقر عليها ، يمكن فصل أجزاء منه واعادة تركيبها فوق بعض مرة أخرى ، ويشترك في طقوس دينية سرية تقتصر على الأيزيدية .

وتعرضت الأيزيدية وفق هذا الموروث إلى العديد من الأقاويل والأتهامات ، ذلك أن الأيزيدية كمجتمع تعرض للظلم والتهميش بشكل لافت للنظر ، مثلما تعرضت ديانتهم للتشوية والأفتراءات ، وتم استهدافهم من قبل غيرهم لأسباب عديدة ، ولم تكن فكرة الطاووس ملك بأقل من كل تلك الجوانب الأساسية في الديانة الأيزيدية عرضة للتخرصات والأتهامات وألاقاويل والقصص التي لاتمت الى الحقيقة ، ولا لواقعيتة الرمزية المعتمدة من قبلهم في تكوين الشكل الرمزي لتمثال (طاؤوس ملك) بشيء ، والى ماذا يرمز وماذا يعني ؟

كما لم يتسن للأيزيدية إيصال صوتهم خارج إطار مساحتهم في دحض الأفتراءات التي نالت من ديانتهم أو رموزهم الدينية ، اوحتى منحهم الفرصة لتوضيح حقائقهم للعالم دفعاً للتشويه ، لظروف لاتغب عن بال العديد من المطلعين على ثنايا التاريخ العراقي وتاريخ الأيزيدية خصوصاً ، ومالحقهم من مجازر ووقائع دامية كان فيها الأيزيدي الأنسان مستهدفاً بشراً ووجوداً وعقيدة ورموزاً ، وبقيت المعادلة مبتورة في أتهامات وصور مختلطة لاتجد لها رداً أو تفنيداً من الجانب الآخر ، فقد ابتلي الأيزيدية بالدفاع الشرعي عن حياتهم ووجودهم ولم تكن لهم الفرصة للدفاع عن ديانتهم ورموزهم الا في الفترة الأخيرة من العقد الحالي .

لقي المجتمع والديانة الأيزيدية بشكل عام تشويهاً منظماً وكثيفاً وتطابقاً في مواقف المغرضين ، وتوحداً ظالماً وبعيداً عن العدالة والمنطق ، وقاسياً بقصد الأساءة وخلط الصور وتشويه أسس الديانة الأيزيدية ، وقد تحقق الكثير من هذا التشويه ، بسبب الضعف الذي عاشته الأيزيدية من خلال عدم التصدي لهذه التخرصات والأقاويل البعيدة عن الحقيقة والواقع ، أو ربما بسبب حالة الخنوع التي عاشها المجتمع الأيزيدي فترة طويلة مقموعاً دينياً وقومياً وسياسياً منذ فترة الحكم العثماني مروراً بالحكم الملكي والعهد الجمهوري في العراق ، وقد ساهمت الفترة التي كان فيها الأيزيدي محروماً من الحقوق السياسية و التعليم والمعرفة والثقافة ، ليعم الجهل والأمية بين أكثر أبناءه ، بالإضافة إلى مساهمة بعض رجال الإمارة ورجال الدين في الحرص على إبقاء المجتمع

الأيزيدي متخلفاً وعلى وضعه ، فترة ليست بالقصيرة لأغراض مصلحية وذاتية ، حيث نالت الأيزيدية مالم تنله الأديان والمذاهب الأخرى من الظلم والتنكيل والتخلف وبالتالي نالتها الألسن والأقاويل .

صورهم بعض بأنهم عبدة الشيطان ، وصورهم آخرين انهم عبدة أبليس ، في حين زعم آخرين أنهم يقدسون الشر ويتقونه بعبادة اله الشر ورمزه ، ونفى بعض عبادتهم لله وتوحيدهم له دون ان يتعرف عليهم أو يطلع على أحوالهم وأعتقاداتهم وحقيقتهم ، وزعم أخرين انهم مسلمين أنحرفوا عن جادة الأسلام ، وأتهمهم آخرين بأنهم فرقة أموية سياسية تلبس غطاء الدين لتعيد السلطة الأسلامية إلى الأمويين ، ونسبهم بعض إلى انهم فرقة ضالة تتبع يزيد بن معاوية وربما تعبده ، وصيرهم بعض على انهم مسيحيين ضيعوا دربهم ، وأعادهم بعض إلى الديانة الزرادشتية التي خرجوا منها ، وتفنن العديد من الكتاب في نسبتهم إلى أديان ومذاهب وملل لاتمت لهم بأية صلة ، هذا فضلاً عن التجاذب السياسي في تأريخ العراق الحديث الذي يريدهم مرة أن يصيروا عرباً ومرة أخرى كلدان ومرات آشوريين وهم في الحقيقة من القبائل الكردية العريقة .

وصدرت بحقهم الأحكام والفتاوى التي تستبيح دمائهم وتحلل قتلهم وإنهاء وجودهم وسلب ممتلكاتهم وسبي نسائهم وعدم استحقاقهم للحياة ، تعرضوا للترحيل الأجباري عن مناطق سكناهم ، وقامت السلطات بهدم قرآهم ومسحها من الوجود ، وتخريب مزارعهم وبيوتهم وقلع اشجارهم ، دون ان يتمكنوا من الدفاع عن انفسهم على الأقل وهو حق شرعي وقانوني مقرر في الشرائع والأنظمة القانونية ، الا انهم كانوا مشروعاً مستباحاً للقتل والتنكيل ، طيلة هذه الفترات المظلمة من التاريخ الانساني ، وما يجعل المحنة كبيرة تلك المساندة من السلطات التي كانت تسهل هذا الفعل البعيد عن أستيعاب المسؤولية أنسانيا ، وتغض النظر عن الجرائم التي يتم ارتكابها بحقهم من قبل المتطرفين والحاقدين لأنهم متهمين على الدوام دون جناية أو ذنب .

وحين نبحث في ثنايا الصخور المبثوثة والمنتشرة بين سهول كردستان العراق ، سنعثر على لطخات متيبسة من دماء الضحايا التي قدمتها الأيزيدية والمسفوحة دمائها ظلماً وعدواناً ، وحين نتفقد الكهوف والمغارات في الجبال القصية والتي لايصلها البشرالا بصعوبة ، سنجد بقايا عظام الأيزيدية الذين فروا وتحصنوا في هذه الكهوف املاً بالخلاص فقضوا نحبهم عطشاً وجوعاً وخوفاً وبرداً وأختناقاً ، وحين نتمعن في أطلال القرى التي خربتها الجيوش ، وبقايا البيوت التي مسحتها الجرارات والأليات العسكرية في قصبات الايزيدية الفقيرة والمهملة ، ستجد ان كل هذا بسبب معتقداتهم وطقوسهم وقيمهم الدينية وليس لها سبب آخر .

ومن المعروف أن الدين هو الذي يحدد الأخلاق ، ويرسم المحرمات والخطايا ، ويأمر بالأبتعاد عن فعل الشر ، وبالتالي فأن الشعور الديني هو المعبر الحقيقي عن تلك الالتزامات التي يعكسها تصرف الأنسان ، ولهذا تجد جميع النصوص الدينية والوصايا في الديانة الأيزيدية تحث على عمل الخير ، وأن روح الأنسان ستحل مرة أخرى في جسد آخر وفقا لعمله في الدنيا ، ومع كل هذا نجد من يلغي تلك الأخلاق والالتزامات ويجزم أنهم مجتمع يعبد الشر ويقدس الشرور .

لن تتوقف الحملات ضد الأيزيدية مطلقاً بالرغم من التطور الزمني وإشاعة حقوق الأنسان مادامت بعض العقول متلبسة ومبتلية بأمراض عدم تقبل الآخر ، ومادامت كراهية الأنسان متحجرة في النفوس ، والحقد ينبت في قلوب بعض بني البشر ، وبالرغم من ظهور كتابات حيادية وانتشار بعض الحقائق بجهود المنصفين من الكتاب ، سواء من أبناء الأيزيدية أنفسهم أو من الكتاب غير الأيزيديين ، تبقى بعض العقول ثابتة ومتحجرة لا تتراجع في فهمها لواقع الحياة وأسس الديانة الأيزيدية ، وسنذكر مثالاً مادياً ملموساً مكتوب في صفحات الأنترنيت ، نتيجة البحث والتقصي وبذل الجهود لمعرفة الأيزيدية فيقول في مقالة بعنوان :

(http://www.josor.net/article_details.php?thesid)

اليزيدية عُباد الشيطان في الشرق :

((جاء في الملل والنحل للشهرستاني (توفي 548 هـ – الكاتب) أن اليزيدية فرقة من الإباضية ، من أتباع يزيد بن أنيسة الذي زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم ويُنزّل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد، لكن الفرقة التي أود الحديث عنها تختلف عن هذه الفرقة – وإن تشابهت الأسماء – إنما أوردتها في هذا المقام حتى يعرف القارئ الفرق بين النحلتين.

إن اليزيدية التي في سياق موضوعنا هي طائفة من الأكراد نشأت بعد انهيار الدولة الأموية، ويقطن أكثرهم الشمال الشرقي من الموصل ونواحي دمشق وبغداد وحلب ، ومنهم طوائف في أوران الروسية وإيران، وهم يدينون بعبادة الشيطان بسبب تأثرهم بالعقيدة الزرادشتية، (ما علاقة الزرادشتية بعبادة الشيطان ؟ الكاتب) وقيل لأنهم يعتقدون أن الشيطان تاب والله قبل توبته، فرجع يتعبد مع الملائكة.

ولهم كتابان أحدهما يسمى (الجلوة) وفيه خطاب الله تعالى إلى اليزيديين خاصة والقول بتناسخ الأرواح، وأن الكتب السماوية المعروفة قد بُدلت وحُرفت، أما الكتاب الثاني فيسمى (مصحف رش) أي الكتاب الأسود، وفيه الشرائع التي أنزلت إليهم.

وفي كل سنة يقيمون احتفالاً في ليلة خاصة تسمى الليلة السوداء يطفئون فيها الأنوار ويختلط الرجال بالنساء، فيشربون الخمر ويرقصون ويرتكبون الفواحش. وقد تقلبت الطائفة اليزيدية في أطوار مختلفة على مر القرون، فدخلت في دينهم يهودية ونصرانية وإسلامية محرفة، وتوالى عليه التحريف والنقص والتبديل حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم .)) (انتهى الأقتباس)

كما يذكر السمعاني) (توفي 562 للهجرة) في كتابه (الأنساب)، أن نسبتهم ترجع إلى خارجيٍّ (نسبةً للخوارج) يدعى (يزيد بن أنيسة الخارجي) و يختم كلامه في وصفهم بقوله: (وهؤلاء من أكفر أصناف الخوارج).

كما ذكر البغدادي في كتابه الفَرق بين الفرق ص 167، ((أن الأيزيدية هم أتباع يزيد ابن أبى أنيسة الخارجى ، وكان من البصرة ثم انتقل إلى جور من أرض فارس، وكان على رأس الإباضية من الخوارج ، ثم إنه خرج عن قول جميع الأمة)) .

وهذا القطع الذي يريد ربطهم بالفرق المنحرفة عن الأسلام ليس دون قصد ، حيث يتم تعميم الحكم عليهم بالأرتداد والأنحراف ، وبالتالي تنعكس تلك الروايات على العديد من البحوث التاريخية والدينية التي تبحث سلبيا في تفاصيل الديانة الأيزيدية ، فيحيل أحدهما على الآخر ، ويصير له سندا ومرجعا في البحث .

وأذ نلمس مدى الجهل في المعلومات الواردة ، والتجني في التحليل والتمسك بمعلومات لاسند لها ، وتخالف المنطق والوقائع ، ومبنية على الباطل والزائف من التاريخ ، لن يغب عن بالنا أغماض العيون عن الكتابات الحيادية التي تثبت حقيقة دينهم ، والأبتعاد عن التحليلات المنصفة وأهمالها ، ليصار إلى أعتماد بعض الأتهامات والأفتراءات الباطلة في الكتابة عنهم ، مما يدلل على سوء القصد المسبق والنية المبيتة بقصد الأساءة في نقل ماثبت خطأ من كتابات تاريخية وفق ظروفها التي عرفناها .

فترديد كون الأيزيدية فرقة من الأباضية من أتباع يزيد بن أنيسة لم تأت من فراغ ، بالرغم من ثبوت زيف هذه القصة ومخالفتها للتاريخ والمنطق والحقائق الثابتة ، الا أن القصد يبقى يدور في الأتهامات التي توجه سهامها اليهم ، وفي محاولة التشكيك بتاريخهم ، وبالتالي سحب مجمل هذه الأتهامات على طقوسهم ورموزهم الدينية ، بالإضافة إلى عدم صحة المعلومات التي نسبها الكاتب إلى الشهرستاني في الملل والنحل والتي أراد أضفاء نوع من المصداقية على كلامه الضعيف السند وغير الحقيقي في هذا الجانب ، وفي هذا الزعم يراد تأكيد أنحرافهم عن الأسلام وبالتالي الحكم عليهم بالأرتداد والموت .

ومن خلال هذه الأتهامات التي تشمل فيما تشمل الرمزية و الطقوس التي تمارسها الأيزيدية دون أستثناء ، فلم يسلم طقس من التشويه والأفتراء ، وهي حملة تكفيرية تتوجه بالويل والثبور للأنسان الأيزيدي ، بقصد منعهم من ممارسة حقهم في الأختيار العقائدي والديني ، وبالتالي أختيارهم شكل الحياة التي يرغب او يريدها الأيزيدي في عصر يمنح للأنسان حقوقه ، العصرالذي يمنح ويحترم حق الإنسان في الأختيار ، ومن أجل تخريب وتشويه معالم تلك الحقوق ، وبقصد شطب فكرة حق الأنسان في الاعتقاد ، والتصدي لتلك الدعوة التي تسعى لتحقيق مجتمع تسوده مباديء الحقوق والمساواة والعدالة وفق القانون ، ومن أجل كل هذا يصار إلى أستمرار تشويه الصورة ، ومن أجل كل هذا لم تزل تسيل في هذا الزمن المرير دماء الأيزيدية غدرا ، ويتم ذبحهم وتمزيق جثثهم على الهوية ، ومن أجل هذا يتم سلب الحياة التي وهبها الله من المواطن الأيزيدي ، ولمجرد كونهم أيزيدية يعتقدون أنها الديانة التي تلزمهم بتعاليم الله ووحدانيته ، دون أن يكون هناك دين أو شريعة أو دستور أو قانون أو نظام يبيح معاقبة أو قتل إنسان بسبب معتقده الديني ، وهو يقر بوحدانية الله ويعبده وفق طريقته الدينية والمذهبية والطقسية ، غير أن الأيزيدي الذي لم يزل يعطي ولم يزل يصبغ الأرض بدمه ، لم يزل حتى اليوم يثق في رحمة الله ، ويثق أيضا بانتصار قيم الخير والمحبة التي لابد أن تسود المجتمع البشري ، وأن تعم تلك الرحمة وتحل في قلوب الناس ، ولم يزل يحلم بأن تحل قيم الأخوة والأنسانية والحب بين البشر ، وأن يرحل الشر عن عقول الناس ، فهل كان الأيزيدية بعد كل هذا من يعبد الشر والشرور والجرائم ؟ أم ان غيرهم من تلبس بها وأبتلى بها على مر العصور ؟ هذا السؤال نترك الأجابة عليه لأصحاب الضمائر الحية من المنصفين في كل زمان ومكان !!

غير أننا لاننفي أن هناك من كتب عن حقيقتهم وعن أسس ديانتهم بضمير صافي وروح منفتحة وحيادية عقلانية ، هناك من انتقد وحلل وناقش بأسلوب منطقي ، وهناك من دافع عن حقائقهم بكتابات بحثية بقصد متابعة وتحليل تلك الحقائق والأسرار والطقوس .

فكرة طاووس ملك من ضمن أهم معتقدات الأيزيدية ، والتي يحرص عليها المجتمع الأيزيدي ، ويؤمن بها ويمارس طقسها ، رغم كل الظروف العصيبة التي مرت وتمر عليهم ، وهذه الفكرة لم تأت من فراغ أنما ينبغي التمعن في أساسها وبداياتها ورمزيتها وحقيقتها .

وفكرة الطاووس ملك لايمكن تحجيمها في التمثال المجرد من النحاس الأصفر ، الذي يتم تنظيفه كل عام بماء السماق ، ويتم عرضه على الناس لرؤيته وملامسته والتبرك به ، وممارسة الرقص وأستحصال النذور من قبل رجال الدين عن طريقه ، أذ أن الرمزية تكمن في الأسس التي

تمثلها تلك التماثيل ، وعلاقة هذه التماثيل بالموروث الشعبي الأيزيدي ، وبالتالي العلاقة الصحيحة والحقيقية التي تربط هذه الرموز بالديانة الأيزيدية ، والأشارة التي تعنيها .

ان فكرة الطاووس ملك تعتبر من أهم ميثولوجيا المجتمع الايزيدي وموروثهم الشعبي ، وهي بحاجة للبحث والتوضيح لأزالة الابهام والتساؤل والغموض الذي يثيره بعض ، ممن تعرف على سطوح هذه الديانة دون ان يتمعن في الأساس أو ينظر في العمق ، أو ممن أعتمد في معلوماته على المرويات والقصص المغرضة البعيدة عن التحليل والنقل الحيادي ، والممتلئة بالغرض المسبق في الإساءة للأيزيدية ، أو ممن يفتقد للمعلومات عنهم أصلاً فصار يخبط خبط عشواء .

وللفائدة فأن الأيزيدية لاتعتقد بالطوطمية لكونها لم تؤله الطوطم الذي يجسده الحيوان أو النبات ، بأعتبار أن هذا الحيوان أو النبات يمثل اصل الحياة في المعتقد ، ومع أن الطوطمية مظهر قديم من مظاهر السلوك الأنساني ، فقد كان يعتقد به الهنود الحمر في امريكا الشمالية على سبيل المثال لاالحصر ، الا أن الأيزيدية لاعلاقة لها بالطوطمية مطلقاً في أعتقادها بطاؤوس ملك بأي شكل كان .

أن النفس الإنسانية ذات أبعاد متسعة عميقة المعنى ، يدور حولها توق للمعرفة وحاجة للأيمان الروحي ، يشكل الاساس هو الأهم في نظرتها الى الرسالات السماوية، والعلاقة بين النفس الإنسانية وتلك الرسالات تكمن في الأعتقاد والتواصل الروحي من خلال التأمل في هذه الرسالات ، وقد بنيت مختلف التأملات والأفكار على أسس تبحث في معرفتها، ومن هذه المعرفة ينطلق الإنسان إلى معارف أخرى غيرها فيصل الى الأيمان ، وإنّ عدم معرفتها تقود إلى الأعتماد على البحث والأستفهام أو إلى مرويات وأساطير مختلفة ، غير أن أجيال من البشر التي تعتنق الديانة الأيزيدية كانت ليس منغلقة على نفسها فقط نتيجة ظروف عديدة ، وانما محرومة من نعمة الثقافة والمعرفة الخارجية وحق الولوج في متاهات العقيدة ، بالإضافة إلى حرمانهم من المناقشة الفكرية والفقهية مع الأديان الأخرى ، حتى يمكن الأطلاع على مكامن الخلل أو الضعف او قوة الحجج ، ومنع عنهم حق المعرفة والاستفهام والتتبع ، مما جعل تلك الديانة أسيرة بحدود معرفتها وتحت سطوة طبقة واحدة من رجال الدين الذين كانوا يحرصون على تحديد ثقافة الأيزيدي لغايات وأسباب تم التطرق لها في كتاباتنا السابقة ضمن مرحلة زمنية معينة ، حتى صار العديد من الاعراف والموروث الأيزيدي يأخذ مظهر الفرض الديني .

والأيزيدية حالهم حال أغلب الشعوب التي تعتنق دين من الأديان المغلقة ، التي تعتمد السرية وتنغلق على نفسها ولاتقبل الأنتماء اليها من خارجها ، حيث تبقى تدور بين ابناءها غير قادرة على

التوسع والأنفتاح ، وتلك قضية بحاجة إلى دراسة وبحث عن الأسباب الكامنة وراء انغلاق بعض الديانات على مجموعة بشرية معينة كالمندائية مثلا .

أن إعتماد الرمزية في العديد من طقوس الأيزيدية الدينية جزء من هذه الحقيقة ، وطينة (البراة) التي ترمز إلى طقس المؤاخاة والصداقة الأبدية بين الأيزيدي وكريفه سواء من الأيزيدية أو من المسلمين شكل من اشكال هذه الرمزية ، والرمز يعني التعبير غير المباشر الذي تعجز النفس البشرية أن تكشف جميع مكنوناته والتعبير عنها بشكل مباشر. والأعراف التي يعتز بها ويحرص عليها المجتمع الأيزيدي ، وعلى سبيل المثال في فترة زمنية سابقة كان التعليم في المدارس محرما عرفيا عند الأيزيدية وسقط بعد ذاك هذا العرف والتحريم ، والبراة طينة مدورة بحجم الكرة الصغيرة لها دلالات ومعاني تراثية ورمزية كبيرة في المجتمع اليزيدي تصل الى حد التقديس في الألتزام الأخلاقي والأجتماعي ، وكما تعاني من ابتلائها بأساطير وقصص لاتمت لها بصلة نتيجة هذا الأنغلاق ، وهذه الرمزية غير بعيدة عن تاريخ المنطقة المليء بالأساطير والرموز في العبادات القديمة السومرية والبابلية والاكدية والآشورية .

ولعل جميع الأديان القديمة التي تعتمد الرمزية في طقوسها ، تتساوى في تلقي الأتهامات التي تريد النيل منها ، بدلاً من لجوء البعض إلى معرفة أسسها وتاريخها بأنصاف ، ولعل قضية الطاووس ملك التي تشغل بال العديد من الباحثين والمتابعين لقضايا الأديان القديمة ، وبشكل خاص الديانة الأيزيدية من بين العديد من القضايا التي تثير الأهتمام وتجسد هذا الأنشغال ، ولكن وسيلة التقرب إلى الأله تقوم وفق أفعال وتصرفات تصدر من الأنسان بقصد كسب رضا الأله ، وهذه الافعال تكون طقوسا وحركاتا وأعمالا قد تخلقها الجماعة فتصير عرفاً ملزماً ، او تقليداً جمعياً في أداء شكل الطقس ، وربما تصير تلك الحركات والطقوس رموزاً ترتبط بقضية العبادة والتقرب الى الالهة .

و لهذا نقول لعل قراءة متأنية للتاريخ السومري والبابلي والآشوري والكلداني القديم في العراق ، ومتابعة جدية لكلمة (ئي زي دي) ، والتي تعني الروح الخيرة ، يمكن أن تجيب عن العديد من الأسئلة وتميط الغموض وتزيل الابهام ، بالأضافة إلى أن نقوشا ورسومات عديدة وجدت على جدران البيوت والمعابد السومرية والبابلية والآشورية ، تشير إلى طائر الطاووس رسماً وكتابة ينبغي أن يتم تحليلها ومعرفة حقيقتها وجذورها ، أذ لايمكن أن ترد اعتباطاً وبالصدفة ، بالنظر لوجود رابط في تقديس أشكال الطاووس مع تقديس الشمس في الديانات والمجتمعات السومرية والبابلية والآشورية وبين الأيزيدية ، التي لم تزل حتى اليوم تقدس الشمس ، وتعتبر شكل الطاووس رمزاً لطاووس ملك المقدس لدى الأيزيديين ، وهو الملاك القريب من الاله دائماً حسب الديانة الأيزيدية ، وهو

رئيس الملائكة الذي يتلقى أوامره من الله جل جلاله لتدبير أمور الكون مثلما هو رمز الخير والتوحيد .

كما أن ظاهرة تعدد الألهة لدى الحضارات القديمة وتفرد الأيزيدية بالتمسك بها ظاهرة لافتة للنظر ، وتوحي بتمسك قيم وأعتقادات قديمة وموغلة بالقدم ، ما يوجب الألتفات الى ظاهرة التمسك بفكرة تعدد الألهة ، والتي بقيت متلازمة في عمق الديانة الأيزيدية دون غيرها ، هذا من جانب ومن جانب آخر فأن النسق الإيزيدي له سمات جوهرية مقصورة عليه تفصله عن العقائد الأخرى ، يعني أن الأصل والممارسات الأيزيدية لم تأت بهذا الاختلاف من فراغ مما يوجب أن نولي هذا الجانب أهمية عند دراستنا وتقليبنا لظاهرة مثل ظاهرة الطاووس ملك عند الأيزيدية .

يقول الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام ج3 ص 733 :

((كما تقوم الصداقة بين الناس على أساس الود والتقرب والاتصال والتذكر بتقديم الهدايا والألطاف ونفائس الأشياء، كذلك تقوم "الصلة بين الإنسان وآلهته على اساس من الود والصداقة أيضاً. وإذ كانت الآلهة أقدر من الإنسان، كان من اللازم على البشر التودد اليها بشتى الطرق المعبرة عن معاني التقرب والتحبب والتعظيم، لتتذكره، فتمن عليه بالبركه والسعد وبخير ما يشتهيه ويرغب فيه. والبشر عبيد لآلهتهم، فعليهم ان يؤدوا لها ما يجب أن يؤديه العبد لسيده.

إن على العبد واجبات وفروضاً يجب ان يؤديها لصاحبه ومالكه، وعلى الإنسان كائناً من كان ان يقوم بأداء ما فرض عليه لالهته واربابه في اوقات مكتوبة أو محددة وفي المناسبات.

ولما كانت عقلية الإنسان القديم وعقلية كل بدائي تقوم على فهم الإدراك الحسي في الدرجة الأولى، كان للهدايا وللنذور والقرابين والشعائر العملية والطقوس المقام الأول في ديانات البشر ، لأنها ناحية ملموسة تراها الأعين و تدركها الأبصار، وفيها تضحية تقنع المتدين التقي أو من يريد التقرب بها إلى آلهته بأنه قد قدم شيئاً ثميناً لها، وانها لذلك سترضى عنه حتماً وينال حمايتها وعطفها عليه ، لأنه قد آثرها على نفسه فقدم اليها أعز الأشياء وأغلاها. انها سترضى عنه لأنه لم ينسها ولم يغفل عنها، ولم يفتر حبه لها.وسترضى عنه كلما تذكرها وقام بأداء هذه الواجبات المفروضة أو المستحبة لها،كما يرضى الصديق عن صديقه أو السيد عن عبده، بإظهار الاخلاص وبالحرص على أداء الأعمال المرضية.

وللدين عقيدة، أي "ايمان Belief وعمل. والعمل أبين وأظهر وأقوى في الديانات القديمة من الايمان، بسبب ان الايمان بالقلب، وهو لا يكون إلا بين المرء وربه، ولا يمكن لأحد الاطلاع على

كنهه. أما العمل فهو تجسيد للايمان وتعبير عنه بصورة عملية واقعية. وهو الناحية المحسوسة الظاهرة للتدين. ولا يفهم البدائي من الدين إلا مظاهره، التي ترتكز على تضحية وبذل مادي لارضاء الالهة، فعنده انه متى بذل أعز ما يملكه في سبيل آلهته عدّ مؤمنا ًتقياً، ترضى عنه الآلهة، والسنتها الناطقة بلسانها على الأرض: طبقة رجال الدين. ولهذا رأى بعض العلماء، انه لدراسة دين من الأديان القديمة يجب الاهتمام بشعائره وبالأحكام التي فرضها على أتباعه، لأنها هي أساس ذلك الدين وجوهره ((.

أن مسألة الأنشغال في التقصي والبحث تتبع يشكل أستمرارية وديمومة وحيوية في عملية التطور الثقافي والمعرفي ، من اجل التوصل إلى حقيقة الديانة الأيزيدية بشكل خاص ، بعد أن كانت تكتب من وجهة نظر أحادية ظالمة وأحياناً مليئة بالتشويه ، كما توصل وتسعى بقدر الأمكان إلى حقيقة (طاووس ملك) ، التي ربما كانت من الطلاسم والأسرار التي لم يستطع البعيد عن الديانة الأيزيدية أن يدرك حقيقتها أو يغور في أعماقها ، وساهمت الأيزيدية بشكل غير مباشر على تلك ابقاء تلك السرية بسبب عدم السماح للأغراب بمشاهدة وحضور الطقوس الدينية ، بالإضافة إلى أختلاف القصص التي يرويها غير المختصين منهم ، ولذا فأن المساهمات المعرفية وعرض وجهات النظر تلك بقصد التوصل الى وقائع وحقائق عن قضية طاؤوس ملك ، وهي الخطوة الأولى في الطريق الصواب الذي تكون الحقيقة ولو بحدودها الدنيا القاسم المشترك فيها .

تراكمت قصص كثيرة عن (طاؤوس ملك) ، ونسجت العقلية الشعبية الأيزيدية الساذجة العديد من القصص ، وقامت ببناء أسس على تلك القصص ، وقامت ايضا ببناء قواعد للموروث الشعبي في هذا المجال ، وما زاد في هذه القصص سعة ، أن تم أدخال الاساطير والحكايات الشعبية أكثر من قيمتها الدينية والفلسفية ، وبقيت تتوسع في دائرة الموروث الشعبي .

كما ساهم خيال الكتاب الذين لم يتعرفوا عن قرب إلى حقيقة الرمز والرمزية عند الأيزيدية في تشكيل صور قد تكون مختلفة عن حقيقة الرمز ، وعن جذور تكوين السنجق وأسباب أعتزاز الأيزيدية بممارسة هذا الطقس المهيب ، رغم عاديات الزمن ومحنتهم الطويلة على مدى زمن طويل ، وبالرغم من التطور العصري وبقائهم متمسكين بتلك الطقوس مع هذا التطور ، ما شكل غيوم ضبابية على حقيقتها ، مما يوجب أن يتم كشف الحقيقة وأجلاء الغبار والصدى عن هذا الرمز ، ولعل بحثنا المتواضع هذا مساهمة في مجرى البحث والمناقشة ونقطة تدفع للبحث والتنقيب والأثارة في هذا الصدد .

وتطور الكتابة عن الأيزيدية وتفرعاتها المهمة كموضوع بحثنا عن (طاؤوس ملك) ، وعن الشيخ عدي بن مسافر ، وأسس الديانة وكتبها المقدسة ، تشكل فعالية لافتة للنظر ، يتداخل فيها المعقول والمنقول والديني والدنيوي ، يضعها الباحث امام القاريء يقلبها ويحللها ويتوصل معه إلى نتائجها النهائية ، وهي مجرد عرض على طاولة البحث حتى لاتكون النظرة قاصرة او من وجهة نظر احادية ، ولانزعم اننا توصلنا إلى النتائج الأخيرة للحقائق الدينية أو الفلسفية .

يقول ديكارت : ((إننا لانكاد نجـد شيئا هو من اليقين بحيث لايدع مجالا للمناقشة والجدل)) ، وبالتالي فأن ذلك العرض يخلق حالة من المعرفة والمتابعة عن أسس هذه الديانة كنا نفتقدها في السابق ، مما سيوسع أطار الثقافة المعرفية، وبالتالي يوسع دائرة البحث عن الديانة الأيزيدية بجرأة ، بعد ان كان البحث مثل التفتيش عن حاجة في الظلام ، كما دخل حلقة البحث والتقصي باحثين من ابناء الأيزيدية أنفسهم ، الأمر الذي جعل التنوير وأماطة اللثام و حل الأستفهام يبدو أكثر تقبلاً ووضوحاً للقاريء ، المتطلع بشغف إلى كشف حقائق هذه الديانة ورموزها ، التي قيل بحقها الكثير من وجهات النظر والآراء المختلفة .

من مميزات الديانة الأيزيدية أنها لاتحتوي على نصوص معقدة أو مزدوجة المعاني ، كما لاتوجد كتب دينية مكتوبة في الوقت الحاضر ، أو يمكن مراجعتها وإعتمادها كمراجع ، بعد ان ضاعت أو تم إتلافها أو اختفت أو اخفيت ، كما لاتوجد أسس ونصوص دينية تتحدث عن السنجق أو تمثال طاووس ملك أو بقية الرموز ، بالأضافة إلى أن العديد من المحاولات التي بحثت عن طاووس ملك كانت متواضعة أو خجولة تفتقد للعمق الفلسفي ، وصدرت بحوث أخرى على الأغلب بعيدة عن الواقع أو عن الأنصاف لاتفيد البحث العلمي ولاتفي البحث حقه ، أذ أن اغلب ماورد في كتبهم محفوظ في صدور رجال الدين الأيزيدي ، وهي الوسيلة الوحيدة التي ساهمت في حفظ تراثهم وطقوسهم وموروثهم الديني ، بالنظر لما مر بالديانة الأيزيدية والمؤمنين بها من مآس مروعة ومجازر وعدم الأستقرار والأطمئنان للأغيار ، وبالأضافة إلى عمليات الأتلاف والتخريب لكل ماموجود ، وبعثرة وحرق كل ماهو مكتوب لديهم أو محفوظ في اماكنهم المقدسة ، أضافة الى قتل البشر ومحاولة أنهاء وجودهم بمجازر جماعية ، وهجمات فتاكة بقصد استئصال شآفتهم من الجذور ، وضياع العديد من الموروث الديني مع موت العديد من رجال الدين المكلفين بحفظ تلك النصوص في صدورهم ، وخضعت هذه النصوص الشفهية فترة زمنية ليست بالقصيرة إلى سيطرة الوعي الجمعي الأيزيدي المبتلي بالتخلف والجهل عمداً ، والمحكوم بسطوة رجالات الدين والامارة القاسية مما جعل التداخل ممكناً والأضافات معقولة ، على أن لايغب عن البال الفترة الزمنية التي إعتبرت فيها القراءة والكتابة محرمة لدى الأيزيديين ، بالإضافة إلى التوجس والريبة والخشية من كل غريب او

خارج عن تلك الديانة ، ما أنشأ بؤرة صالحة لسيطرة رجال الدين وفرض ما يعتقده احدهم بأسم الدين على المجتمع المغلق ، ربما بحسن نية أحيانا وأخرى لمقاصد ومنافع خاصة ، بالإضافة إلى إدخال أمور ليس من موجبات العقيدة ولاتمت للقدسية بشيء ، الا انها اضحت التزاما دينيا عرفيا قاسيا يتزامن مع النصوص الشفاهية المحفوظة في الصدور .

وبظهور جيل من المثقفين والمتعلمين ومن رجال الدين المتنورين والمطلعين على ديانات الأنسان والثقافة بشكل عام ، المتخلصين من العقد والأفتراضات التي البسوها عنوة في عنق المجتمع الأيزيدي ، بظهور جيل جديد يدرك البلاء الذي ابتليت به الأيزيدية ، ويستطيع أن يعالجها بجرأة وشجاعة أمام تزمت وتطرف ديني ينتقل وفق الظروف ، مع ظروف مجتمع أيزيدي يشعر بالقهر والظلم ، ظهرت حالة من الوعي وأعادة القراءة التاريخية بجرأة ، وظهرت أيضاً القابلية على تصحيح الأخطاء وتشذيب الأقاويل والطقوس والأحكام ، وظهرت الكتابات الجريئة التي تعتمد ليس فقط المصداقية والإيمان ، كما عكست تلك المواقف والكتابات العلمية الرصينة في البحث والمتابعة والطرح ، وأعتماد الأدلة الحسية الملموسة في الأثبات ، وبعد كل هذا الدخول إلى معترك الثقافة الدينية والثقافية من قبل هؤلاء الكتاب والباحثين من أبناء الأيزيدية انفسهم .

ما يفرح النفس أن تكون جميع الأمور والمسائل على بساط البحث والتحليل دون قيود ، فلا خطوط حمراء لدى الأيزيدية في زمن حقوق الأنسان ، مع أن الكثير من حقوقهم الدينية والسياسية غائبة ومبتورة ولم تزل ناقصة ، ولم تزل عقول متحجرة تمتنع عن الأقرار بتلك الحقوق ، وتعاند حقيقة ديانتهم ووجودهم الأنساني ولم تعد لديهم كالسابق العديد من الممنوعات التي يخشون مناقشتها او الخوض فيها ، ولم يقدر أن يحتويهم أحد ولاجعلهم تحت عبائته وسلطته ، أذ انهم أستطاعوا أن يستولدوا جيل من المثقفين المتميزين بالجرأة والقدرة على الولوج في أغوار الحقائق التاريخية ، حيث بدت الرغبة عارمة في التوصل الى الحقيقة ، وليس غير الحقيقة !

وأذا كانت مسألة البحث والمتابعة بخصوص قضية مهمة مثل (طاؤوس ملك) لدى الأيزيدية تعتريها الاشكاليات والغموض ، فأن البحوث التي تطرح بحيادية ودون نية مسبقة ووفق رؤية تأريخية علمية تشكل أستمرارية طبيعية للتطور البحثي ، وتحول جدي نحو أماطة اللثام وكشف الحقائق الدفينة عن مكنونات الرمزية لدى الأيزيدية .

لعل مساهمتي المتواضعة هذه تدفع بالمهتمين في قضية الديانة الأيزيدية وخصائصها الدينية ورمزيتها بالبحث والمناقشة والتطوير ، لعلي أزعم بأني اساهم في هذا الجانب مساهمة إيجابية ، في فتح كوة وسط هذا الجدار الذي لم يحفر به احد من قبل ، او إزاحة كمية من التراب عن بعض القضايا المطمورة عن رموز الديانة الأيزيدية المهمة .

وأتقدم بكل الأمتنان والشكر لكل ما عاضدني وساندني وساعدني في أتمام هذا البحث ، واتوجه بالشكر لكل من وضع دراسته وبحثه في الأنترنيت لخدمة الثقافة والحقيقة ، وكلي أمتنان لكل من يضيف على هذا العمل المتواضع رأياً أو تصويباً أو ملاحظة أو نقداً هادفا من أجل خدمة الحقيقة التي نسعى لها جميعا .

زهير كاظم عبود

الفصل الأول

ملامح التكوين الأولى للأديان

التفكر والتأمل وتقليب العقل في ما موجود من سماء وماء وأشجار ونجوم وشمس ، وما يحدث من نتاج الطبيعة من برق وصواعق ومطر وبراكين وزلازل ، وما عليها من رمال وحصى وجبال ، وموت وحياة ، ودهشة السكون وغيرها شغلت عقل الإنسان وأجبرته على التفكير مليا في أسباب تلك الظواهر ، وبقيت تلك الظواهر تشكل خوفا ورعبا في نفسه ، وصار يبحث عن مصدرها ومحركها ، فقد بقي الكون عصيا على العقل البشري بالرغم من كل المعرفة التي توصل اليها ، ومهد لها في التوصل الى حقائق منها ما هو ثابت ، ومنها ماهو احتمالي وتوقعي ، ومنها ما عجز عقله المحدود في تعيين حقيقته ، مع أن يجد لها تفسيرا حقيقيا في تلك الفترة ،غير أن أول الأشراقات في العقل البشري أن يعتقد بوجود القوة الخفية دون تفسير لمسببات الظواهر غير قدرتها ، ويبدو أن عجز الإنسان عن تفسير الظواهر يدفعه الى الأيمان بقوتها ، والأعتقاد بوجود تلك القوة الخفية في كل ظاهرة تتحكم في قوتها وفي حياته ، وهناك فرق كبير بين الأيمان بوجود الله الخالق الكبير وبين الأيمان بالدين كمنظومة مقدسة توجه الإنسان الى قيم وأعتقاد معين من خلال التعاليم والطقوس والنصوص ، ولهذا فقد بات الضعفاء دوما بحاجة الى الأيمان بينما فرض الأٌقوياء أنفسهم على اساس أنهم آلهة أو أرباب ، ورافق الإنسان تلك الأفتراضات بحكم تطوره العقلي في الزمان والمكان ، بينما لم تلجأ الحيوانات الى تلك الأفتراضات ولا للألتزام بها .

وفي بدايات الحياة البشرية ، بقي الإنسان أسير تلك الظواهر ، وعجز عقله المحدود في فك الغازها وتفسير أسبابها ، يغلف بالخوف والخشية أسئلته التي يكبتها داخل نفسه ، لكنه يعود يلح داخل عقله ، لعله يجد تفسيرا أو سببا لها ، فينشأ في عقله التبريرات والأعتقادات ضمن تلك العقلية المحدودة ، ويقتنع بها مرحليا ، غير أن الأسئلة الأكثر الحاحا ورسوخا في احاسيسه وكوامنه كانت تريد معرفة أسباب تلك القوى ، وكيف نشأت ولماذا صارت ؟ وهي اسئلة بحثية تدفعه للتفكر والتأمل .

وأستمر يبحث ضمن هذه المنظومة التي هو جزء منها ، غير أن بحثه المحدود كان يفتح له بصيصا من الضوء في حجم الكون ومتناسبا مع تعدد الأشياء ، وتدفعه فطرته في معرفة الأشياء ، وبالتالي وصوله الى عدد من النقاط التي تميزه عن بقية المخلوقات ، لتشكل له حافزا لتطوير البحث والتدقيق للوصول الى حقيقة الأشياء .

ولعله حين يرنو الى السماء يشاهد فضاءاها الرحب وسكونها الأرحب ، وحين يشاهد القمر والنجوم والشمس ، يدرك إن القوى الخارقة في السماء ، وان الفضاء هو المكان الذي تسكنه الالهة

، فصفة العلو لابد أن تكون للآلهة ، بالأضافة الى فلسفة الصعود ، فالروح تصعد الى الأعلى ، والملائكة يسكنون الأعالي ، وهي فلسفة تعتمد على خضوع الأدنى للأعلى .

لم يستطع الإنسان أن يفسر سر النهار والليل ولا أسرار الشر والخير ، ولم يجد تفسيرا لغروب الشمس وشروقها ثانية ، ولاعرف سر النجوم التي تضيء في الليل البهيم ، ولاعرف لماذا يموت الإنسان دون سبب والى أين يذهب ؟ ولماذا يجوع ويعطش ويتناسل ؟ وكيف عرف الممارسة الجنسية ؟ وكيف تعرف وأستدل على الكهوف والمغارات التي تحميه ؟ لكنه تأمل الأنهار وعرف من أين تخرج والى أين تنتهي ، وعرف مكامن الحيوانات وقوتها ، وعرف كيف يبحث في أعشاش الطيور ، وتذوق طعم الحنطة والثمار البرية ، وأكل لحم الحيوانات نيئة أو ميتة ، واستذوقها بعد شيها على النار التي صارت له منارا وضياءا ودفئا في البرد ، وعرف طعم الحلو والحامض والمر والمالح ، وبنى أغصان الأشجار مايقيه من تبدل الطقس ، ثم بنى من الطين بيوتا لها سقف يقيه البرد والحر والمطر ودخول الحيوانات ، وعرف الملابس والعورات ، ودجن الحيوانات والطيور ، وتعرف على خصالها وأصنافها ، وبقي يحاول تجسيد ملامح التكوين الاولي في شكل نصب أو حصى أو أشكال أو مكونات طبيعية تخيلها مسيطرة على حركة الحياة والكون ، و أعتقدها أنها تستطيع ما لايستطيع هو نفسه ، وتقدر على ما لايقدر ولهذا خضع لها بالعبادة الطقسية ، وركع لها وتذلل حيث منحها منزلة أعلى منه ، وبنى لها دورا للعبادة وتصورها بأشكال مختلفة وفق ما تخيلها عقله المحدود ، وبرز من بين المجموعات البشرية الكهنة والسحرة والعرافين الذين زعموا بوجود الروابط مع الالهة أو القدرة على الأتصال بالالهة ، أو امتلاكهم حصرا القدرات الخارقة في الشفاء أو في العمل ، تعلم الإنسان النفع والضرر ، وعرف الخير والشر ، ودافع عن ملكيته للأشياء وصار له نزوع فطري للجماعة والأمتلاك والتناسل .

أختار من تلك الحيوانات التي صادفها واعتقد أنها الالهة ، ثم صنفها وفق قوتها وعطائها وغضبها ووجودها ، وبات يضع معايير ومقاييس في التعامل مع تلك الحيوانات .

من يتابع نشوء ملامح التكوين الروحي والديني عند الإنسان ، يستطيع أن يستنتج ويشكل صورة أقرب للحقيقة في واقع حياة الناس ومقدرتهم على التفكير في تلك الظروف ضمن تلك الأزمنة السحيقة ، ومع بدايات الوجود كان التفكير ، ولعل الحيرة والتساؤل الذي يلف العقل البشري كان يدعو للتفكر وإيجاد الحلول التي تحكمها الظروف والبيئة والعقل والحاجة ، لتخرج باستنتاجات وتوقعات وثوابت وحقائق تكتشف لأول مرة ، إلا ان ملامح التكوين الروحي الأولي بدأت مع مسيرة الإنسان ومحاولته إخراج العقل عن حدود البيئة ، شعر الإنسان أن ثمة كائن أعلى مسيطر على مقدرات الحياة ، وشعر أيضا بقدرة هذا الكائن اللامتناهية وغير المحدودة ، مع الاختلاف الحاصل بين المجموعات البشرية في تصور من يدير شؤون الكون تبعا لظروف الزمان والمكان .

والعقل البشري يتطور تدريجيا من نقطة الصفر الذي ابتدأ بها وأستمر في التطور ولم يزل متطورا ، وبدايات الزراعة والعمل وصنع الأدوات جميعها تدخل ضمن مراحل التطور الإنساني ، ومحاولة تكييف العقل والإرادة للتطور يصاحبها تفكير عميق في أشياء ومكونات لايدركها العقل ولا يجد لها حلول فيضعها الى جانب الخوارق التي يعتقدها .

الرحلة الطويلة التي قطعها الإنسان في مسيرة الوعي والإدراك والتفكر لم تكن قصيرة ولا سهلة ، فقد بدت من خلال خطوات بطيئة في معرفة الحقيقة وأدراك معاني ما يحدث ، بل إن تلك الفترة تمخضت عن العديد من حالات الإدراك والوعي الى جانب الحيرة والغموض والتخلف في أيجاد أسباب وحقائق لم تزل غامضة حتى اليوم ، على أن ظاهرة الخوف كانت وما تزال القاعدة الراسخة التي يؤسس عليها الايمان الديني قاعدته منذ عبادة الظواهر الطبيعية ، ولذا لجأ الى أعتماد الغيبيات والافتراضات في تبريراته ، وهذا ما سنلمسه من خلال بدايات ملامح التكوين الروحي الأولي التي تخللتها إرهاصات وحالات تنم عن تطور وإبداع الفكر البشري في حيز التفكير بملامح البدايات الأولى .

تعتمد بعض الحركات الأصلاحية التي تنظم حياة الإنسان وعلاقته بالكون وبالخالق من خلال الغور في أعماق الذات الإنسانية بأعتبارها الأساس الذي تتشكل منه ، ودون تلك المجموعات البشرية لاقيمة للحركات والدعوات ، حيث تبقى مجرد تمنيات لم تجد لها فرصة التطبيق والالتزام ، كما أنها بالأساس جاءت من اجل تقويم الحياة الانسانية ونشر افكارها ومعتقدها بينهم من الحيز النظري الى حيز التطبيق العملي والأيمان الروحي ، ولاشك إن جميع تلك الدعوات والحركات والأديان تدعو للخير والمحبة والسلام ، غير أن منها ما يسعى الى تهذيب النفس وتقويم السلوك بشكل مؤثر في الحياة الانسانية ضمن مساحات جغرافية محددة ، ومنها ما يعالج أيضا العلاقات الإنسانية والروابط الأجتماعية ، وتنحسر قسم من هذه الحركات ضمن حيز محدود سواء بأرادتها ووفق عقيدتها أو لسبب آخر ، في حين ينتشر بعض كما تنتشر تموجات دائرة الماء على اثر ارتطام الحصى ، ودائرة التوسع ترتبط بظروف وأسباب تتعلق بالناس وبالعقيدة التي حلت بينهم ، بالأضافة الى ما توفر لها من ظروف موضوعية تساهم في انتشارها وتداولها .

أن ظهور العقائد بين البشر يتزامن مع الوجود البشري ، يتنوع حسب مدارك الناس وعقلياتهم في كل زمان ، وليس بالضرورة إن يكون ضمن تلك المجتمعات يبرز من بين مجاميعها الرسول أو النبي الذي يدعو الى عبادة الاله ، أو عبادة ظاهرة معينة من الظواهر الروحية منها أو الكونية ، فقد ظهر بعض الحكماء والمفكرين والمعلمين والفلاسفة والمرشدين والحكماء الذين صاروا قدوة ، ممن لم يدعوا النبوة ، ولكن انتشرت تعاليمهم بين البشر ضمن حقبة زمنية ، لتصبح بالتالي عقيدة تلتزم بها الملايين من الناس ، وتعتقد انها الطريق القويم الذي يهذب ارواحها ويضمن لها الخلاص ،

مع إن وجود ظواهر حسية بين البشر تدعو للتأمل والتفكير مثل ظاهرة الحياة والموت والشمس والليل والنهار ، ولهذا فأن جميع الديانات البشرية لم تكن تخلو من معالجة تلك الظواهر وعبادتها والخضوع اليها أو اعتبارها جزء من منظومة المقدسات والأشكال الغرائبية التي تحير العقل .

وجاء في معجم (لاروس) للقرن العشرين : ((إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية . وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية)) .

كما يرى ماكس موللر وهو احد الباحثين في الاديان : ((أن الدين قوة من قوى النفس ، وخاصية من خصائصها ، وأن فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فُطر عليها الإنسان منذ نشأته الأولى)) .

تدخلت الأساطير والتراث في العديد من المفاهيم والرؤى ، مع جنوح كبير للتمسك بما يفرضه المجموع وما يصير سياقاً طبيعيا عرفا ينبغي التمسك به ، حيث يعد الخروج عليه مروقا وتعارضا مع المقدس في نظر القائمين على تلك العقائد .

وصير بعض من تفرغ لتكريس تلك الظواهر وتحويلها لممارسات طقسية في أماكن أضفي عليها مظاهر القداسة ، وعززها بتأثيرات روحيه ونفسية مؤثرة ، أدى بتلك العقائد الى سيل من الالتزامات والطقوس ، والتي حلت من بين أهمها النذور الى المعبود مهما كانت تسميته وأسمه ، بأن يلتزم الإنسان بأداء معين لقاء التزام مطلبي من المقدس ، ارتبط الأمر بالموروث والمخيلة الشعبية ، أدى ذلك الى الالتزام بتأدية النذور في الأماكن المخصصة للعبادة والأضرحة المقدسة ، والتي يستفاد منها بأي شكل من الأشكال ذلك النفر الذي يقوم على ترتيب تلك الطقوس وتنظيم تلك الأمكنة ، مع إضفاء نوع من القداسة والرهبة النفسية عليها في أشكال تتناسب مع المكان والزمان ، كالبخور والصمت ، والظلمة والشموع ، والرهبة والتراتيل ، والتعري أو نزع الأحذية ، أو أرتداء أقمشة بيضاء نظيفة ، والخوف من المجهول الذي يبرقع النفس ، بالأضافة الى مراسيم الموت والدفن التي يمارسها المجتمع بأشكالها المتعددة في كل فترة من فترات التاريخ القديم والحديث مع ما يصاحبها من أسرار تصاحب الولادة والموت .

أن جميع الاديان هي فعاليات بشرية ملموسة تستند على المقدس ، وتضع ملامح تصنف افكارها وعقيدتها في شكل العلاقة بين الانسان والرب ، وهي علاقة قائمة على الايمان الروحي غير المرئي ، الملموس في العقل ، وغالبا ما تكون الرؤية في القلب ، ولهذا فان الاعتقاد يقوم على المقدس الذي يوجه نحو الخير والسلام والمحبة وكل الممارسات الإنسانية الطيبة ، وينهى عن الشر ويرسم في سبيل نتيجة ذلك طريق العذاب الدنيوي والأخروي ، وكانت اشكال المقدس متعددة تبعا لتطور العقل البشري والتفكير في المقدس ، فتجسد المقدس في الحيوانات والاشكال المرعبة ، ثم

تحول الى الظواهر الكونية الخارقة ، وانتقل الى البشر متجسدا في الملوك أو الكهنة ، ثم ظهر مع ظهور الانبياء والرسل ، ليستقر اخيرا وفق ملامح العقل البشري في العصور اللاحقة متوزعا بين اديان موجودة يدين بها الملايين أو الالاف أو حتى المئات وبين عدم الايمان باي ديانة أو عقيدة أصلا .

مرت البشرية بحقب زمنية تخللتها العديد من العقائد والدعوات الروحية أو الدينية ، نضجت بعضها الى درجة أنها تجاوزت زمنها ، وبقيت بعضها تدور في دائرة زمانها ومكانها ، وتدل الأحافير والاثار واللقط التي يتم العثور عليها على تلك الممارسات الطقسية والدينية ، كما تدل على مدى الالتزام الأنساني بها .

وتحت تأثير الزمن والنضوج الفكري للعقيدة تغيرت العديد منها بأتجاهات أخرى ، وتحولت الى عقائد متقاربة معها أو حتى مختلفة معها ، وتحللت العديد منها حيث انتهت ، في حين بقيت بعض منها متجذرة في عقل الإنسان ووعيه ، وتوسعت مساحة المؤمنين بها .

وبقيت الظواهر الطبيعية التي تقهر الإنسان هي الرموز الأقوى التي صيرها رجال الدين آلهة وأرباب ، وأخضاع تلك المجاميع البشرية لعبادتها والتخضع اليها ، وتقديم القرابين المختلفة لكسب رضائها وأتقاءا من غضبها ، وأستمرت تلك الظواهر لاتتغير في حين يرحل الإنسان الى المجهول مثلما يأتي من المجهول ، لايدرك أسرار حياته ومماته ، ولا أسرار تلك الظواهر الطبيعية ، وبقيت تلك الأشارات قائمة في وجدان الناس ونفوسها ، مع بقاء تلك الطبقة التي وظفت أو اعتقدت أنها تخدم الاله أو الأرباب التي تسيطر على الكون والخلق ، غير أنها قسمت تلك الظواهر والأرباب الى تخصصات ومهام ينفرد بها كل اله ، فللمطر اله وللرياح اله وللشمس اله وللنجوم اله وللحرب اله مثلما للحب اله أيضا .

صار الاله في ذهن الإنسان بالأضافة الى قوته وسيادته ، يتمتع بالخوارق والمعجزات والقدرات التي تفوق قدرة البشر ، وهو الأعلى والأسمى دائما ، ولهذا تجد أن الإنسان يطلب العون والمساعدة من الاله ، وكما يطلب الرحمة والغفران في قبول أفعاله وغفران خطاياه وأخطاءه ، وأعتقد الانسان لزوم أن يكون هناك وسيط يلمسه ويتمسح به ، ويراه في كل وقت يحتاجه ويخاطبه مباشرة ، تعويضا عن عدم قدرته في لمس الاله أو مشاهدته ، وحيث لايمكنه ذلك لجأ الى تلك الأشكال التي تستمد رمزيتها من الاله ، من القوة التي يتمتع بها ، ومن هنا جاءت فكرة التماثيل التي تجسد الالهة, وحين أستقر الإنسان كان لابد له أن تستقر تلك الرموز التي وضعها في عقله ، فصارت تلك الأنصاب والتماثيل في الأماكن التي استقر بها ، يقدسها ويتبارك بها ، ويبثها حزنه وضعفه ، ويشكرها لنجاحه في عمل ما ، وتطورت تلك المشاعر لتصبح طقوسا دينية تراتيبية يؤديها غيره بنفس الطريقة يقلد الآخر ، فتم تثبيت شكل الطقوس ومعانيها ، وبقيت تلك الرابطة الخفية بين النفس

البشرية وبين الرمز الديني مستمرة ومتطورة وفق الزمان والمكان وتطور العقل البشري ..

ولم يكن دون سبب أن يتخذ الإنسان أشكالا رمزية تمثل وفق اعتقاده شكل الاله أو ما يتقرب اليه ، وصارت الأصنام والنصب والرموز الحجرية والطبيعية هي التي يعبدها البشر ، بأعتبارها آلهة ، ولكي يُقرّب الإنسان البدائي كل هؤلاء الآلهة إلى ذهنه ، تخيّل لهم أشكالا معينة ونحت أصناما تمثلهم على الأرض، وجاء وقت اعتقد فيه الإنسان أن لهذه الأصنام قوة ... إذا تقدم لها بقربان ، على أن تفعل الخير له وتُلحق الضرر بأعدائه. فإذا تنازع رجل مع جاره جاء إلى صنمه المحبوب وصلى له ليلحق الضرر بجاره، ولكن الجيران هم الآخرون كانت لهم أصنامهم. وبينما يدعو الرجل أصنامه لتضر أعداءه، راح يشعر بالقلق إزاء ما قد تفعله أصنام أعدائه له ولأهل بيته. واضطر الناس أن يفكروا في شئ يحميهم من أصنام أعدائهم، فوضعوا حول أعناقهم تماثيل صغيرة لأصنامهم لحماية أنفسهم من قوة الأرواح الشريرة التي تُحارب في صفوف الأعداء. وأصبحت هذه التماثيل الصغيرة هي التمائم أو الطواطم **Totem** وبدأ بعض الناس يعتقدون إن بعض هذه التمائم تستطيع إلقاء التعاويذ على الآخرين وتجعلهم يمارسون السحر. وراح هؤلاء البعض يؤمنون بأنهم بهذه التمائم ومناداة الأسماء الحقيقية لبعض الأرواح يستطيعون فتح أبواب المستقبل ورؤية ما يُخبئه لهم. (1)

ولعل بقايا تلك الحروز والتمائم ما يشغل بعض الشعوب ، فتجد أن البعض يضعها حول عنقه أو يربطها على عضده ، أو يحملها معه في جيوبه .

وبقي الإنسان يجسد مفهوم العبد المنقاد الى مشيئة الاله ، متذللا على الدوام له ، مع شعور يسيطر عليه في حالات ضعفه أو قوته يدعوه للخضوع ، وكما بقي الإنسان محكوما بتلك الاساطير والطقوس التي لايمكن له التمرد عليها ، أذ اعتقد الإنسان بأن تلك الطقوس هي الخيوط التي تربطه بالأله ، كما ارتبطت عقيدة الخلود بالالهه عشتار .

واعتقد الإنسان من خلال رجال الدين بحتمية التقمص والحلول ، فلا فناء ولا نهاية للحياة ، بدليل أن العديد من البشر كان يأخذ معه عند الوفاة العدد المنزلية والحلى الذهبية ، وربما اخذ بعض زوجته أو أحبته معه الى تلك الدنيا التي يذهبان منها سوية الى حياة أخرى .

وأذ تختلف الديانات والعقائد في بعض التفاصيل الشكلية المهمة ، فأنها تلتقي في العديد من الجوانب الأخرى ، ونلفت النظر الى وجود عقائد لم تزل مؤمنة بتلك التفاصيل حتى اليوم .

ولم تكن تلك الديانات متشابهة ، ولاكانت تلك الطقوس متقاربة ، أذ ترتبط وفقا للميثيولوجيا ومفهوم الدين للآلهة والروح ، الا أن قضية الحلول كانت تمثل القاسم المشترك في العديد من تلك الديانات .

وبقيت البشرية فترة غير قصيرة تعتقد أن الجسد سيلتحم مرة أخرى بالروح ، ولذا كان دفن الأشياء مع الجثث ، وبقيت الناس فترة طويلة تعتقد بعودة الروح والجسد الى الحياة مرة أخرى .

كما انتشرت عقيدة أنفصال الروح عن الجسد ، بالنظر لتوقف الجسد عن الحركة ، الا إنه لم يتم تحديد مكان أستقرار الروح ، وكانت البشر تلمس بقاء تلك الأجساد الحية وهي تتخشب وتتفسخ ويتم دفنها بأسرع وقت ، غير أن اعتقادها ببقاء الروح هائمة أو متحيرة في فناء وجودها دون أي دليل أو تأكيد عملي .

وبالتالي فأن نشوء الأديان كان من خلال أستمرارية التفكير الأنساني في الخلق والنشوء وثبات الظواهر ، وبالتالي واجه العالم بعقله الذي لم يتوقف عند حدود التفكير ، متجاوزا الأسطورة والأحاسيس باحثا عن ترابط روحي خفي بين الإنسان والقدرة الغيبية الذي يعجز عن ادراك تفاصيلها وكامل حقيقتها ، حيث بقي الإنسان في حيرة لم يستطع إن يجد جوابا لما وراء الحياة ، وحين نشأت الأديان كانت ايضا تعطي تلك الأساطير والصور غير الملموسة التي يصورها الدين .

ولهذا تشكلت لتلك الديانات أساطير متلازمة لها وتساعدها وتمنحها تلك الهيبة الخفية التي ترسخ في العقل والوجدان الأنساني دون أن يلمسها واقعيا ، ومع كل تلك الهالة يرسم الإنسان صورا منها ما يكونها العقل البشري بمحدودية رؤيته للأشياء ، ومنها ما يكونه الخيال والنفس ببواطنها ، ولذلك حين كان الإنسان يعبد الصنم فأنه لم يفكر يوما ما عن تاريخ ولادة الاله أو مدى تأثيره أو أرتباطه ببقية الالهة ، وحتى علاقته بالظواهر الطبيعية ، لكنه كان حريصا على إداء الطقس للترضية وخلق ترابط بينه وبين الاله ، من اجل قبول الاله بطلباته وديمومة بقاءه خاضعا له ، وكذلك لبث الطمأنينة في روحه .

وليس بالضرورة أن يكون خضوع الإنسان الى القدرة الالهية في حالة الضعف أو العجز دائما ، فثمة حاجة ترتبط بروحه وعقله حتى وإن كان قويا ، مع أن الانسان هو الإنسان نفسه أن كان قويا أو ضعيفا ، لكنه يقع تحت تأثير مشاعر نفسية عميقة ، منها الخوف الذي يغمرها ، يقول الحكيم اليوناني (لوكريتوس) أن الخوف هو الاله الأول عند الأنسان .

يقول الباحث فراس السواح في كتابه مغامرة العقل الأولى : ((لا يوجد دين نشأ في فراغ ، فالدين لا ينشأ في فراغ ، الدين ينشأ في بيئة ثقافية معيَّنة ، ينشأ في وسط ثقافي معيَّن. مثال على ذلك ، إذا تأمَّلنا البوذية بكلِّ مفاهيمها ومصطلحاتها إلخ، نجد أنه لا يمكن للبوذية في القرن السادس قبل الميلاد أن تكون قد نشأت في أحد أقطار الشرق الأدنى القديم ؛ فالبيئة ليست بيئتها. أين نشأت البوذية؟ نشأت البوذية في الهند، على أرضية هندوسية. فكل المفاهيم الأساسية للبوذية، من تقمص الأرواح، من الدورة السببية الكبرىsamsāra ، النرفانانirvāna ، مفهوم كرْماkarma ، إلى ما هنالك – هذه المفاهيم كلُّها مفاهيم هندية. فكان من المستحيل على الديانة البوذية، بهذه المفاهيم، أن تكون قد نشأت في أوروبا أو في الشرق الأدنى القديم. والهندوسية تخضع للأمر ذاته، فالهندوسية التي نشأت عنها البوذية، لا يمكن لها أن تنشأ إلا على الأرضية السنسكريتية السابقة

لها.

المسيحية نشأت على أرضية مكوَّنة من وثنية محلِّية، من فلسفة أفلاطونية حديثة، من أفكار وثنية يونانية، من غنوصية... إلخ ؛ هناك مصادر كثيرة للمسيحية. كذلك الإسلام، عندما ظهر، ظهر في بيئة ثقافية كانت تضج بالمعتقدات والأفكار؛ كان ظهور الإسلام في فترة من أخصب فترات الفكر الإنساني: كانت الحضارات تتمازج، تتلاقح، تتفاعل، وتتحاور. فلولا المسيحية واليهودية ووثنية الجزيرة العربية، مثلاً، وكذلك الزرادشتية والمانوية، لما ظهرت تعاليم الإسلام)) .

بقيت فترة طويلة تتحكم في عقل الإنسان تلك الظواهر الخارقة التي لم يستطع أن يجد لها تفسيرا ، وبقيت تسبب له الحيرة والدهشة والخشية حتى عدها من الالهة ، وعبدها وخضع لها ، ولذا كانت تلك الظواهر تتعدد مع اختلاف الأمكنة التي سكنتها المجموعات البشرية ، بالأضافة الى ما شكله له لغز الولادة والموت من رهبة وتأمل لم يستطع أن يتوقف عن التفكير بهما ، ونستطيع القول أن ملامح التكوين الأولى التي تشكلت كانت تتبلور وتظهر متفاوتة وفق التطور الأنساني ومدى التطور العقلي لتلك الجماعات ، ومدى تأثير الطبيعة والظواهر على حياة الناس ، ويعني هذا الأمر أن ليس اعتباطا أن يكون هناك من يسجد لصخرة في مكان ما ويسجد آخر للنجوم والقمر ، وفي منطقة اخرى هناك من يعبد البركان ويضحي للبحر ، حيث يشترك الجميع بالرغم من اختلاف الالهة والنظرة للتكوين الاولي في الاعتقاد بوجود القوة الخفية في تلك الالهة ، وتلعب الأساطير دورا مهما في رسم تلك الصور التي يتشبث بها الإنسان ويحاول أن يصدقها مع انه نفسه من اخترعها وشذبها وتناولها ، الا انه بشكل عام كانت النوازع الإنسانية تسعى لأستكشاف الغيب أو معرفة المجهول في دواخله ، وكان هذا السعي تدريجي لأيجاد روابط بين العقل والروح .

وكما عند كثير من الشعوب كذلك عند المصريين ، كانت الشمس هي الاله الأعلى ، وقد سجدوا لها .. وتعج الديانة المصرية بكثرة متعددة من الالهة .. وعبد المصريون القدامى شتى أنواع الحيوانات .

تعد النقوش والكتابات في طليعة المصادر التي تكوّن التاريخ ، وهي وثائق ذات شأن لأنها السند الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام ، والتي يمكن من خلالها تحليل الأحداث ورؤية الزمن وفق منظار المدونة المكتوبة على الحجر أو على جلود الحيوانات أو على البردي ، وهذه النقوش والكتابات تطرقت ضمن مساحتها الجغرافية الى ماكانت تعيشه تلك الأقوام سواء العربية منها أو غير العربية ، حيث حلت الحضارات القديمة بعض منها بشكل خاص في مناطق العرب ، غير أن من أهمها كانت في مناطق غير العرب ، وبعض منها مشترك ، بالأضافة الى أن تلك الكتابات كتبت بلغات مختلفة ، بعض منها ما عثر عليه في مناطق العرب وبعض آخر تم العثور عليه في المناطق غير العربية ، كما أن بعض الديانات ما ظهر في المناطق العربية وانتشر منها الى باقي المناطق ،

مع ظهور ديانات مجاورة للمناطق العربية ، وبعض منها ما تحدد في المناطق غير العربية كبعض النصوص الآشورية أو البابلية، ونصوص وكتابات تم العثور عليها في مناطق بعيدة عن الجزيرة العربية حيث كانت تتمتع بأجوائها الدينيـــة الخاصة البعيدة عن أجواء الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ، ويدخل ضمنها تلك التي وجدت في مصر أو في بعض جزر اليونان أو في الحبشة، وهي من كتابات المعينين والسبئيين، ومنها ما عثر عليه في مواضع أخرى من جزيرة العرب، مثل أعالي الحجاز وبلاد الشام ومكة والمدينة ومواضع أخرى، كل ما عثر أو سيعثر عليه من نصوص في جزيرة العرب ، مع أن وجود الإنسان القديم لم يكن في الجزيرة كما تشير الأحافير والموجودات والدلائل الآثارية ، فقد بقيت تلك الأقوام لم تنتعش بها ثقافات المجتمع مثلما انتعشت في الجزيرة العربية ، بحكم العوامل الأقتصادية والدينية .

أن اللقى الاثارية المعثور عليها في وادي الرافدين تظهر بوضوح أن مخازن الحبوب كانت مقدسة ، لأن الخبز مقدس وأستحق التقديس والسجود ، ولذا كانت الطقوس تؤدى حول تلك المخازن ، وكان بجوار كل معبد حضيرة للحيوانات وقطعة أرض للرعي ، أما اقدم الالهة فهو اله السماء وإله الريح واله المحيط .

وعبد الهندوس اشجار معينة ، كما عدو الانهار مقدسة وأدوا طقس الأغتسال فيها منذ الاف السنين .

ويقول الكاتب جواد علي في كتابه المفصل في تأريخ العرب قبل الأسلام – الجزء الأول /ص 37 : ((والتوراة مجموعة أسفار، كتبها جماعه من الأنبياء في أوقات مختلفة، كتبوا أكثرها في فلسطين. وأما ما تبقى منها، مثل حزقيال والمزامير ، فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي ، وأقدم أسفار التوراة هو سفر "عاموس"Amos" " ، ويظن أنه كتب حوالي سنة 750 ق. م.

وأما آخر ما كتب منها، فهو سفر " دانيال "Danial" "والإصحاحان الرابع والخامس من سفر " المزامير". وقد كتب هذه في القرن الثاني قبل المسيح.

فما ذكر في التوراة عن العرب يرجع تاريخه إذن إلى ما بين سنة 750 والقرن الثاني قبل المسيح.

وقد وردت في التلمود "Talmud " إشارات إلى العرب كذلك. وهناك نوعان من التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي "Yeruschalmi" كما يسميه العبرانيون اختصاراً، والتلمود البابلي نسبة إلى "بابل" بالعراق، ويعرف عندهم بأسم "بابلي" انتصاراً.

أما التلمود الفلسطيني، فقد وضع، كما يفهم من اسمه في فلسطين. وقد تعاونت على تحبير. المدارس اليهودية "Academies" في الكنائس " الكنيس". وقد كانت هذه مراكز الحركة العلمية عند اليهود في فلسطين، وأعظمها هو مركز "طبرية "Tiberies" "وفي هذا المحل وضع الحبر

"رابي بوحان "Rabbi Jochanan" "التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صوره في أواخر القرن الثالث الميلادي وتلاه بعد ذلك الأحبار الذين جاؤوا بعد " يوحنان"،وهم الذين رضعوا شروحا وتفاسير عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخذ هيأته النهائية في القرن الرابع الميلادي.

وأما التلمود البابلي، فقد بدأ بكتابته –على ما يظهر– الحبر " آشي "Rabbi Ashi" " المتوفي عام 435 م، وأكمله الأحبار من بعده، واشتغلوا به حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد. ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به، هو طابع البلد الذي وضع فيه، ولذلك يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث. وأما التلمود البابلي، فيظهر عليه الطابع العراقي الحر وفيه عمق في التفكير، وتوسع في الأحكام والمحاكمات، وغنى في المادة. وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني.

وبهذا يكمل التلمود أحكام التوراة، وتفيدنا إشاراته من هذه الناحية في تدوين تاريخ العرب. أما الفترة بين الزمن الذي انتهي فيه من كتابة التوراة والزمن الذي بدأ فيه بكتابة التلمود، فيمكن أن يستعان في تدوين تاريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب، ومنهم المؤرخ اليهودي " يوسف فلافيوس" " جوسفوس فلافيوس"Josephus Flavius" "، الذي عاش بين سنة 37 و 100 للمسيح تقريبا. وله كتاب باللغة اليونانية في تاريخ عاديات اليهود Joudaike" "Archaioligiaتنتهي حوادثه بسنة 66 للميلاد، وكتاب أخر في تاريخ حروب اليهود Peri" "tou Joudiaou Poemouمن استيلاء " انطيوخس افيفانوس Antiochus" " "Epiphanosعلى القدس سنة 170 قبل الميلاد إلى الاستيلاء طيها مرة ثانية في عهد "طيطس "Titus" "سنة 70 بعد الميلاد، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة. وقد نال تقدير "فسبازيان "Vespasian" "و " طيطس" وأنعم عليه بالتمتع بحقوق المواطن الروماني.

وفي كتبه معلومات ثمينة عن العرب ، وأخبار مفصلة عن العرب الأنباط ، لا نجدها في كتاب غيره من الكتب القديمة . وكان الأنباط في أيامه يقطنون في منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات، فتتاخم بلاد الشام، ثم تنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر. وقد عاصرهم هذا المؤرخ، غير أنه لم يهتم بهم إلا من ناحية علاقة الأنباط العبرانيين، ولم تكن بلاد العرب عنده إلا مملكة الأنباط .

هذا وان للشروح والتفاسير المدونة على التوراة والتلمود قديما وحديثا، وكذلك للمصطلحات العبرانية القديمة على اختلاف أصنافها أهمية كبيرة في تفهم تاريخ الجاهلية، وفي شرح المصطلحات الغامضة التي ترد في النصوص العربية التي تعود إلى ما قبل الإسلام، لأنها نفسها و بتسمياتها ترد عند العبرانيين في المعاني التي وضعها الجاهليون لها .))

وعليه فأن وجود الإنسان في مناطق كوردستان في الأدوار السحيقة من التاريخ ، دليل على التواجد البشري وتكون المجتمعات البشرية البدائية في تلك المناطق ، ومن ثم اتجهت الموجات

البشرية الى وسط وجنوب العراق ، بأتجاه أريدو وأوروك ولارسا وكيش وكوثي وبابل وأشنونه وتل خفاجة ونيبور ، لتنتقل وفقا لظروف معيشتها ومتطلباتها ، فتشكل مجتمعاتها حيث حكمت تلك المجموعات البشرية مناطق في وسط وجنوب العراق .

يقول عالم الاثار طه باقر في كتابه مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ص 178- 182 : ((أن العراق لم يكن مسكونا قبل الالف الخامس أو أواخر الالف السادس قبل الميلاد ، حيث لم يعثر في وسطه وجنوبه على أي آثر للبشر قبل ذلك ، بينما عثر علماء الاثار في كردستان على آثار لأنسان العصر الحجري القديم قبل نحو مائة الف سنة ، وهو صخرة (بردة بنكا) القريبة من مدينة جمجمال ، حيث صنع الإنسان القديم من هذه الصخرة أدواته الحجرية التي عثرت عليها مديرية الآثار العامة في العراق سنة 1949 ، وعثر عالم الآثار الأمريكي سوليكي أثناء تنقيباته في كهف شانيدر على آثار وهياكل عظمية لأنسان نياندرتال تعود الى ما قبل (60000) ستين الف سنة ، ووجدت الباحثة (كـارود) في كهف هزارمرد على آثار تعود الى (50000) خمسين الف سنة .))

أعتقد الإنسان أن الانهار الموجودة هي التي تنبع من الجنة ، وان تلك الجنة موجودة على الأرض غير انه لم يستطع الوصول اليها ، ولاتمكن من تحديد مكانها وموقعها ، والجنة موضع لانواع المواهب والنعم الالهية المعنوية والمادية يتم تصويرها على اساس أنها ما اعده الله للمؤمنين وبها مالم يخطر في بال الإنسان ، ومكانها في السماوات العليا ، مع أن هناك من يتصور أنها قائمة على الارض ، وبقيت تلك المجموعات البشرية تعتقد إن الظواهر الطبيعية هي التي تتحكم بالحياة والموت ، لذا كانت تلك المجموعات البشرية في هذا التاريخ السحيق ، تمارس ديانتها وطقوسها وأعتقادها الروحي من خلال تأثير الطبيعة ومظاهر الكون ، ونظمت تراتيبية متدرجة لتلك القوى الخفية ، انتقل الاعتقاد مع انتقال تلك الموجات مجسدا شخصية الالهه وسطوة الظواهر المرئية والمحسوسة والخارقة ، كما برز دور رجل الدين كمنظم لتلك الطقوس وغالبا ما أبدى استعداده ليكون وسيطا بين الإنسان وتلك القوى .

وباتت الوساطة الدينية تمارس من خلال كهنة المعابد والمتفرغين لممارسة الطقوس ، كما صارت لهم سلطة في التحكم بمصير الناس ، مثلما صار لهم رأي في السلطة وتنصيب الملوك والحكام ، حيث تم تطوير تلك العلاقة لصالح طبقة رجال الدين الذين ارتقوا الى مستوى المقدس في الذهنية الجمعية ، وباتوا يشكلون طرفا قويا ليس في العلاقات الدينية ، وانما حتى في الحياة العامة .

وباتت تلك الرؤى ديانات أولية تجسد ملامح التكوين الأولي للديانات قبل أن تحل عليها الديانات والدعوات الأصلاحية التي انتشرت ضمن جماعات بشرية محددة ، بقيت بعض منها متحددة ضمن أطارها الأجتماعي والسكاني والجغرافي ، بينما أستطاعت بعض منها الأنتشار بشكل واسع أو محدد ،

مع اعتبار أن بعض الديانات غنوصية لاتقبل الأنتماء اليها من خارج من وجد مؤمنا بها ، بينما سلك بعض من تلك الديانات عملية قبول الأنتماء والأيمان بها ، والعمل على أقناع الاخرين لأنضمامهم تحت لوائها .

الإنسان مارس الأثر في الطبيعة من خلال إرادته وعمل يده، فاعتقد أن وراء كل مظهر من مظاهر الكون وحركة من حركات الطبيعة روحاً إلهية فاعلة، ونظمها في مراتبية تتدرج من الأدنى نحو الأعلى، حيث ركز فعل الخلق والتكوين، وهو الفعل الذي يجل عن الأفهام، في شخصية الإله الأعلى ومن خلال صياغته لقصص عن هذه الآلهة وعلائقها المتشابكة ، وما ينجم عنها من ظواهر مرئية أو محسوسة ، تتخللها المعجزات والخوارق التي لايدركها العقل البشري ، وما يعتقده العقل البشري تجاه صورة الاله الأعلى وقدراته اللامحدودة ، كان الإنسان يصوغ منهجاً أسطورياً في فهم العالم واستيعابه، وفهم دوره في هذا العالم ومآله.

وهكذا فقد لعبت الأسطورة في الماضي الدور الذي يلعبه العلم والفلسفة في العصر الحاضر، وكلاهما تنشأن عن النوازع والتوجهات ذاتها. وإن توقنا إلى التعلم وفق المناهج العلمية الحديثة يجسد البديل الذي ينشأ عن الموقف القديم الذي كان يدفع أسلافنا لتلاوة الأساطير والاستماع إليها، فالأسطورة والحالة هذه هي قصة رمزية يلعب الآلهة الأدوار الرئيسية فيها، ويكون البشر هم الذين صاغوها ووضعوها وتداولوها ، وهي واسعة لايتسع لها الأدراك البشري وليس لها حدود ، وتتميز موضوعاتها بالجدية والشمولية: وذلك مثل التكوين والأصول، والموت والعالم الآخر، ومعنى الحياة وسر الوجود. وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الديني للجماعة، وتعمل على توضيح معتقداته، وتدخل في صلب طقوسه. ومن هنا تأتي قدسيتها وسلطتها العظيمة على عقول الناس. وغالبا ما تصاغ في قالب شعري يساعد على ترتيلها في المناسبات الطقسية، وتداولها شفاهة، ويزودها بسلطان على العواطف والقلوب. تتخذ أساطير الخلق والتكوين مكان المركز والبؤرة في أي منظومة ميثولوجية. فهي التي تتحدث عن أصل الكون وكيف ظهر العالم إلى الوجود، وعن أصل الآلهة وأنسابها ومراتبها وعلائقها مع بعضها بعضاً. وهذا ما سوف نلتفت إليه فيما يلي، متخذين من ميثولوجيا التكوين الرافدينية نموذجاً.

في الأساطير السومرية، وهي أول الأساطير المدونة في تاريخ الحضارة الإنسانية، تبدأ عملية خلق وتكوين العالم انطلاقاً من مادة بدائية أزلية هي المياه الأولى ، التي دعاها السومريون ((نمّو)). ففي أعماق هذه المياه تشكلت بذرة الكون الأولى على هيئة جبل قبته هي السماء، وقاعدته هي الأرض، وكانا ملتصقين. بعد ذلك أخذ الهواء بالتشكل في داخل هذه الكتلة اليابسة، الأمر الذي أحدث فجوة في داخلها. وكلما أخذ الهواء بالتزايد والتمدد كلما توسعت هذه الفجوة ، إلى

أن باعدت بين الأرض المنبسطة وقبة السماء التي تغطيها من كل جهاتها. ثم أن هذا العنصر الغازي الذي يملأ المسافة بين الأرض والسماء أنتج القمر والشمس وبقية الأجرام المضيئة. وكان من نتيجة فصل السماء عن الأرض إتاحة الشروط المناسبة لظهور الحياة الطبيعية والكائنات الحية. ولكن العقل الأسطوري لم يكن يعالج الأمور بهذه الطريقة العلمية التي بسطناها، بل بلغته الخاصة التي تُحول الظواهر الكونية والطبيعانية إلى شخصيات إلهية .

ففي البدء، على ما نفهم من شذرات نصوص سومرية لم تصلنا كاملة، كانت (الإلهة نمو) ، المياه الأولى. ثم ان هذه الإلهة البدائية أنجبت ولداً وبنتاً، الأول هو((آن)) إله السماء المذكر، والثانية هي ((كي)) إلهة الأرض المؤنثة. وكان الاثنان ملتصقين ببعضهما بعضاً في كتلة تهيم في الأعماق المائية. ثم أن آن تزوج كي وأنجبا بكرهما إله الهواء إنليل الذي باعد بينهما فرفع السماء نحو الأعلى وبسط الأرض تحتها. بعد ذلك أنجب إنليل إله القمر ((نانا)) ، وإله القمر أنجب إله الشمس ((أوتو)) .

وبعد ذلك انطلقت عملية التكوين التدريجي، عن طريق زواج الآلهة وتناسلها. بعد أن أخذ الكون شكله وانتظمت دورة النهار والليل وحركة الفصول؛ وبعد أن أخرجت الأرض زرعها وشجرها وتفجرت ينابيعها؛ وبعد أن ظهرت الحيوانات بأنواعها، صار المسرح مهيئا لظهور الإنسان، الذي ترى الأسطورة السومرية أنه خلق لكي يحمل عبء العمل ويرفعه عن كاهل الآلهة. فقبل ظهور الإنسان على الأرض كان الآلهة يقومون بكل الأعمال التي تحفظ حياتهم وتُيسر معاشهم، من فلاحة وزراعة وحصاد وما إليها، ولكنهم تعبوا من ذلك ورفعوا عقيرتهم بالشكوى إلى إله الماء والحكمة «إنكي»، عله يجد لهم مخرجاً، ولكنه وهو المضطجع في الأعماق المائية، لم تصله شكواهم، فمضوا إلى أمه الإلهة نمو، المياه البدائية التي أنجبت الجيل الأول من الآلهة ، لتكون واسطتهم إليه .

فمضت إليه قائلة: أي بني، انهض من مضجعك، واصنع أمراً حكيماً. اجعل للآلهة عبيداً يخدمونهم ويقومون بأوَدهم. فتأمل إنكي مليا في الأمر، ثم دعا الحرفيين الإلهيين المهرة ليقوموا بتشكيل البشر انطلاقا من عجينة من طين، وقال لأمه نمو: إن الكائنات التي ارتأيتِ خلقها ستوجد، وسوف نصنعها على شبه الآلهة. اغرفي حفنة من طين من فوق مياه الأعماق، وأعطها للحرفيين الإلهيين ليعجنوا الطين ويكثفوه .

وبعد ذلك قومي أنت بتشكيل الأعضاء، بمعونة ننماخ، الأم – الأرض. عندها ستقف إلى جانبك ربات الولادة ، وتُقَدِّرين للمولود الجديد يا أماه مصيره ، وتعلق ننماخ عليه صورة الآلهة إنه الإنسان. هذا وتتكرر قصة خلق الإنسان في نص سومري لقد تحدثت الأساطير السومرية عن خلق البشر

الأوائل دفعة واحدة، ولكن الأساطير البابلية اللاحقة تحدثت عن خلق زوجين أوليين تناسل منهما بقية الجنس البشري. وقد جرى خلق هذين الزوجين من عجينة طينية ممزوجة بدم إله (أو أكثر) تم تقديمه قرباناً لعملية الخلق. وكما هو الحال في الميثولوجيا السومرية، فإن الإله إنكي (أو إيا، كما يدعوه البابليون) .

نقرأ في نص لم يصلنا كاملاً ما يلي: عندما خَلق الآلهة في مجمعهم كل الأشياء، بعد أن شكلوا الأرض وكوّنوا السماء؛ بعد أن أخرجوا للوجود الكائنات الحية؛ قام إيا بخلق زوجين شابين، وأعلى من شأنهما فوق جميع المخلوقات. على أن أجمل النصوص البابلية الأسطورية قد وصلنا منقوشاً على سبعة ألواح فخارية، وهو يحمل عنوان ((إينوما إليش))أي ((عندما في الأعالي))، وهي الجملة الاستهلالية التي ابتدأ بها. فعندما في الأعالي، لم يكن هنالك سماء، وفي الأسفل لم يكن هنالك أرض ، لم يكن في الوجـود سوى الميـاه الأولى ممثلة في ثلاثة آلهة مائية هم ((تيامة)) ، ماء المحيط البدئي المالح، التي أنجبت الماء العذب ((أبسو)) وتزوجته، وابنهما ((ممو)) الضباب المنتشر فوقهما. وكان هؤلاء الثلاثة يعيشون في تمازج وتناغم، وصمت وسكون مطلق. انطلاقا من هذه المادة المائية الهيولية ابتدأ الخلق والتكوين، عندما أنجب الآلهة الثلاثة الجيل الثاني من الآلهة.

وتعتقد الأيزيدية بأن الله سبحانه وتعالى كان يجلس بعرشه على الماء قبل أن تكون الأرض ، فوق درة بيضاء ، ثم فجر منها الأنهار والبحار .

وورد في الكتاب الأول من الكنزا ربا الكتاب المقدس للصابئة المندائيين : ((بأسم الحي العظيم * هو الله .. ملك أكوان النور * العزيز الغني الغفور * المياه التي تسيل * والجبال التي لاتميل .))

جاء في الإصحاح الأول من سفرالتكوين في التوراة ما نصه: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ .

كما جاء ايضا : «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا.

وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا.

وورد في الأنجيل / سفر التكوين: «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه». هذا هو السر الذي به أوجد الله هذا العالم من اللاشيء، وأظهر نفسه أنه صانع وخالق كل الأشياء، الذي يستحق حمدنا وسجودنا.

وجاء في الفنديداد اهم الكتب التي تتالف بها الابستاه كتاب الزرادشتية المقدس في الفصل الاول : (اول الامكنة والبلاد التي خلقتها انا هرمزد كان (آران) الذي يسقيه نهر (آراس) .)

وفي الأساطير البابلية مايفيد بانه في البدء قبل أن تعرف السماء ويعرف للأرض أسم كان المحيط وكان البحر ومنه حصلت الكائنات .

وفي أسطورة فرعونية تقول : كان الماء الأول أ والمحيط المظلم وكان الاله (آمون) وحده وهو خالق الالهة والبشر والأشياء .

وفي أسطورة أخرى أيضا تقول أن الأرواح كانت ترف فوق البحار وفي الفضاء . وهكذا يكون الماء هو القاسم المشترك في مسألة الخليقة التي تشترك بها كل تلك الديانات ، مما يؤكد القول بأن بداية عملية خلق وتكوين العالم انطلاقاً من مادة بدائية أزلية هي المياه الأولى .

وإذا كان تأكيد الإنسان في بدايات التكوين الأولى أن يشير الى وجود القوة الخارقة التي يخضع لها متمثلة بأشكال تتناسب مع أعتقاده وسعة تفكيره وظروف حياته ، مقترنا بالظواهر الخارقة والوقائع والقرائن التي ينقلها له بعض أو يلمسها شخصيا .

وإذا أسلمنا بأن عنصر الكون هو الانسان ، فأن هذا الكائن الحي متحرك ويفكر وفق ظروف الزمان والمكان ، ويتحرك ايضا عنده العقل الباطن والمحسوسات التي تدفعه للتفكير مليا ، ومن خلال هذا نجد إن ملامح الديانات الأولى تيارات انسانية تمثل اتجاهات فكرية وتعاليم بأتجاه توجيه ارادة الانسان نحو الخير ، وخلق الصور التي تعاقبه وتعذبه عند ارتكاب الشر ، غير أنها لم تجد أسبابا مقنعة لنهاية الانسان ، فأعتقدوا ببقاءه أو عودته في صورة أخرى ، ولذا فأن العديد من الديانات القديمة ، من كان يؤمن اتباعها بأن الإنسان لايموت وأنما يبقى حيا يحل في جسد مخلوق آخر تبعا لأفعاله في الدنيا ، كما جسدوا بأن افعال الخير من الأفعال التي يريدها ويأمر بها الاله ، وافعال الشر من الأفعال التي يرفضها الاله ويطلب منهم إن يتجنبوها .

وتصوير العقاب ماديا هو تصوير بشري لأنه يلمس العذاب والقسوة والألم من خلال الحياة ، لذا تشكل الخوف من هذا العذاب المجهول وخضع الانسان في العديد من مواقفه وتصرفاته لهذا الأحساس البشري .

ووفق معالجات تتزامن وتنسجم مع الظرف الزماني والمكاني كانت المعالجات الدينية لهذه الأديان ، فما جاء به الأيزيدية لايتفق بالضرورة مع الزرادشتية ، ولاينسجمان مع اليهودية ، ولامع المسيحية ، وكذلك الأسلام لايتفق معهم ، وأن اتفق في المعالم العامة أو الخطوط الأساسية في الأشارة الى وجود الخالق الاله الكبير والخضوع له ، والالتزام بممارسات عمليه والتزامات مادية

وروحية ، وقبل الأسلام والمسيحية واليهودية كانت الزرادشتية و المندائية والأيزيدية ، وهكذا تشكلت تلك البدايات التي يمكن أن نستدل منها على وجود تلك الديانات ، وعما اذا كانت قديمة غارقة في القدم ام أنها حديثة ؟

وجميع الأديان تؤكد أن الاله واحد لايشترك معه احد ، بالأضافة الى إنه يجب الخضوع له وحده دون سواه ، كما أن الإنسان في جميع تلك الديانات لم يقرن الاله بالشر وأنما اناط به كل افعال الخير ، وانه طالما نال تلك الخيرات افاض بالشكر والأمتنان للرب ، ولكنه أيضا يلوذ به لضعفه ليعينه ويساعده في محنته ، فالقوة العليا كانت على الدوام العمود الفقري للبدايات في الديانات الأولى للأنسان ، وجميع ما يتم تشريعه وصياغته من اجل الحياة الإنسانية وتنظم حياة الناس .

وعلى هذا الأساس فأن المحبة قاسم مشترك يتزامن مع الاعتقاد بوحدانية الله في كل البدايات ، تنسجم مع أستمرار الحياة البشرية ، وكل ما سواها طاريء ولايمت للديانات بشيء ، مع أن كل الأديان كانت تأخذ الواحدة من الأخرى ما يتعلق بالتنظيم ، غير أن عددا من تلك الديانات بقيت على ما ثبت لديها من تشريعات سواء منها المكتوبة أو المحفوظة شفاها كما عند الأيزيدية .

وحيث أن الله هو الذي خلق الإنسان وأكرمه وفضله على عديد من المخلوقات ، ومنحه العقل ليفكر ويحيا بمحبة ، فأن الاعتقاد بتلك الأديان وسائل تنسجم مع العقل البشري لأثبات الأيمان بالله وبرسالاته السماوية وبأديانه البشرية ، وجميعها تدعو للسلام والمحبة والتآخي والتعارف والتواصل والانسجام .

الهوامش

(1) سليمان مظهر – قصة الديانات – مطبعة مدبولي القاهرة 2002 الطبعة الأولى

الفصل الثاني

ملامح البدايات عند الأيزيدية

يعتقد الأيزيدية بأن الله الواحد الأحد هو خالق الكون ، وهو الذي أمر بترتيب نظامه ، ومن نوره الأزلي خلق الشمس والقمر .

والله هو الذي خلق الملائكة السبعة ، ومن عددها أشتقت السماوات السبع ، و حسب المعتقد والميثولوجيا الأيزيدية فأن هذه الملائكة اطلق عليها الباري عز وجل اسماء محددة حيث :

خلق الله يوم الأحد الملك عزازيل وهو ((طاؤوس ملك))

وخلق الله يوم الاثنين الملك دردائيل وهو الشيخ حسن

وخلق الله يوم الثلاثاء الملك أسرافيل وهو الشيخ شمس

وخلق الله يوم الأربعاء الملك ميكائيل وهو الشيخ ابو بكر

وخلق الله يوم الخميس الملك جبرائيل وهو الشيخ سجادين

وخلق الله يوم الجمعة الملك شمنائيل وهو الشيخ ناصر الدين

وخلق الله يوم السبت الملك نورائيل وهو الشيخ فخر الدين .

(أنظر اسماعيل بك جول /اليزيدية قديما وحديثا – ص 73) و (صديق الدملوجي / اليزيدية – ص 1) و(سعيد الديوه جي / اليزيدية – ص 119) و (سامي سعيد الأحمد / اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم – ص 6)

وأختلف بعض من كتب عن الأيزيدية في ترتيب وبعض الأسماء ، الا أن ما أتفق عليه الأيزيدية هو ما ورد اعلاه ، غير أن جميع تلك الكتابات لم تذكر الملاك عزرائيل – ملك الموت .

وكان اسماعيل بك جول قد ذكر في كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً)

يوم الاحد خلق ملك شمس الدين وهو عزرائيل وسره من سر المسيح

يوم الاثنين خلق ملك دردائيل وهو ملك فخر الدين (القمر)

يوم الثلاثاء خلق ملك ميخائيل وهو امادين

يوم الاربعاء خلق ملك اسرافيل وهو طاؤوس ملك

يوم الخميس خلق ملك زرزائيل وهو سجادين

يوم الجمعة خلق ملك شمخائيل وهو نصر الدين

يوم السبت خلق ملك نورائيل وهو يزيد (1)

أما الكاتب صديق الدملوجي فقد أورد في الصفحة الأولى من كتابه (اليزيدية) :

يوم الاحد خلق ملك عزازيل وهو طاؤوس ملك

يوم الاثنين خلق ملك دردائيل وهو الشيخ حسن

يوم الثلاثاء خلق ملك اسرافيل وهو الشيخ شمس

يوم الاربعاء خلق ملك ميكائيل وهو الشيخ ابو بكر

يوم الخميس خلق ملك جبرائيل وهو الشيخ سجادين

يوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو الشيخ ناصر الدين

يوم السبت خلق ملك نورائيل وهو الشيخ فخر الدين

وجعل طاؤوس ملك رئيسا للجميع (2)

وذكر الدكتور سامي سعيد الاحمد في كتابه اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم :

خلق دردائيل – الشيخ حسن – الشمس

خلق اسرافيل – الشيخ شمس

خلق ميكائيل – الشيخ ابو بكر

خلق جبرائيل – الشيخ سجادين

خلق شمنائيل – ناصر الدين

خلق عزازيل طاؤوس ملك (3)

كما ذكر السيد سعيد الديوه جي في كتابه (اليزيدية) :

إن الله تعالى خلق سبعة الهة تعاقبوا على ادارة العالم ، وان رئيسهم المتسلط اليوم في ادارة العالم هو طاؤوس ملك ، واما الالهة السبعة فهم على مانرى مشائخهم الذين اخلصوا في محبتهم وغالوا فيهم حتى ادى بهم الامر الى عبادتهم . (4)

وذكر السيد توفيق وهبي في كتابه (اليزيدية بقايا الديانةالمثرائية – ترجمة شوكت أسماعيل حسن) :

((يظهر جلياً إن عدد الآلهة السبعة في اليزيدية وأسلوب انبثاقها من الله، ثم الواحد من الآخر إنما هي مقتبسة من الأفكار الزرادشتية التي تؤمن بالكيانات الذاتية الستة (لإله الخير) (آهورمزدا) وانبثاقها منه. ويسمى هؤلاء الستة الـ (امشا سبندات الكرماء) الخالدات...))

ولايمكن القول بان طاؤوس ملك هو الملاك جبرائيل تقربا الى فكر الاديان الاخرى ، حيث تختلف الرؤية الأيزيدية الى الملاك جبرائيل عنها عند بعض الأديان الأخرى ، تلك الأديان التي تعتبر الملاك جبرائيل مختصا بالوحي والأصال بالأنبياء والرسل ، مع التأكيد بانه لاتوجد في المعتقد الايزيدي مايدل على وجود فكرة الشر كونها من عند الله ، لأن الأعتقاد الأيزيدي بأن الله لايخلق غير الخير ولايعطي غير الخير ، وانما الخير والشر يتحكم بهما العقل الانساني وفق غريزته البشرية ، ووفقا لهذا الأمر يصار إلى العقاب عند الحلول في الحياة الأخرى ، ولو كان الشر من عند الله لما صارت فلسفة الحساب ، وبذلك تنفي الأيزيدية أية علاقة للملائكة بالشر ، بما فيهم رئيس الملائكة (طاؤوس ملك) ، وهذا الاعتقاد يتفق مع المنطق والعقل ، أذ ليس من المقبول ان يسلط الله ملائكته الاشرار على الأنسان ليجبروه أو يتم اغواءه على ارتكاب افعال الشر ، ومن ثم يحاسبه عليها .

والملاك جبرائيل هو أحد الملائكة المقربين من الله ، وهو الموكل بتنزيل الوحي إلى الأنبياء فهو أمين الوحي والوسيط بين الاله وبين الرسل والانبياء ، ويعتبر جبرائيل الرسول الذي ارسل إلى الرسل جميعاً. ومن المعروف أن الملائكة مخلوقات من نور، خلقهم الله عز وجل لوظيفة معينة وهي طاعة اوامره ولكل ملك وظيفة معينة يؤديها ، ولايعقل أن الله سبحانه وتعالى خلقهم دون سبب .

والملائكة من عباد الله المكرمون الذين لايرتكبون المعاصي والخطايا ، ولذا فهم مكلفين بأعمال ربانية ، وهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً، ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، ولايتزوجون ولا يتناسلون، ولا يكتب لهم عمل سوى ما يأمرهم به الله ، لأنهم هم الذين يكتبون أعمال العباد .

وأن الله خلق الملائكة قبل أن يخلق الإنسان ، وأنهم جميعا من نور ، فهم مخلوقات نورانية ، في حين أن الجن من النار ، وهم بعكس الملائكة يتناسلون ويتناكحون ، ومنهم الذكور والأناث ، ويستطيع الملائكة أن يتقمصوا شكل البشر ، ويعزز هذا الرأي ما ورد في العديد من قصص الكتب المقدسة ، بما فيها القرآن ، وأن لهم قدرات خارقة لاتتوفر في البشر ، وأنهم يفعلون ما يؤمرون به من قبل الله ، وعليهم أنفاذ أوامر الله وتسجيل أفعال العباد ، ولايعرف عددهم غير الله ، الا أن رموزهم سبعة كما تعتقد الأيزيدية وتشترك معها العديد من الديانات ، ويلاحظ أن الأديان تختلف في التسميات ، والمسلمين يعرفون جبرائيل المكلف بالوحي ، وعزرائيل المكلف بقبض الأرواح ، وأسرافيل المكلف بالنفخ في الصور ، وميكائيل ، ورضوان المكلف بالجنة ، ومالك خازن النار ، ولأن الله يصطفي من بينهم من يكلفه بأمر ما .

أن إلحاق كلمة (ملك) لاتعني لدى الأيزيدية سوى التبجيل والأحترام الذي لايصل لمستوى الخالق العظيم ، ولأن الملاك دون مرتبة الاله الكبير ، والملائكة جميعا لهم من القدسية والتبجيل ،

ومن الحقائق التي تؤمن بها الأيزيدية ، ان طاؤوس ملك خلق من النور بينما خلق الأنسان من التراب .

ويلاحظ ان العدد سبعة من الارقام المقدسة في معظم الديانات القديمة فالملائكة سبعة والسماوات سبعة وان الله خلق الدنيا في سبعة ايام وغيرها من الأحداث التي ترتبط بالرقم سبعة حتى أن ايام الأسبوع سبعة ، والمتابع للديانات القديمة يجد تكرار هذا الرقم بشكل لافت للنظر .

و قصة الرقم سبعة قديمة و طويلة و طريفة و واسعة ايضاً, يقول الدكتور عز الدين إسماعيل في مقالة له منشورة في ((موقع الترجمة)) على الأنترنيت وهو نشرة أدبية متخصصة بترجمة الأعمال الأدبية الكردية إلى العربية . العددين (7 . 8 (ت .الثاني– كانون الاول 2003) . ان رقم 7 (سبعة).. قديم في أساطير الشعوب البدائية و تدل على أسطورة خلق العالم.. و لكن رقم سبعة يتمثل كذلك في البيئات الحضارية فأيام الأسبوع سبعة والأفلاك السماوية سبعة و الألوان الأساسية سبعة و المعادن سبعة و نغمات السلم الموسيقي سبعة.. و في العقيدة الإسلامية ان الله خلق العالم في ستة أيام ثم استوى في اليوم السابع على العرش و السموات سبع والأرضين سبع كذلك. و كذلك كان اهل الكهف سبعة...، و في كل هذه الحالات يشير الرقم سبعة الى حقيقتين متكاملتين الأولى هي دورة الحياة ، والثانية هي معنى التكامل ، و دورة الحياة تتدرج في سبع مراحل تصل نهايتها الى حالة التكامل. ان الرقم سبعة يشير الى التدرج و الدوران ثم العودة الى البداية او الميلاد من جديد, و لأمر ما كان احتفالنا بالطفل الوليد في اليوم السابع من ولادته: و تأبيننا للميت في اليوم السابع من موته و تذهب النفساء الى الحمام في اليوم السابع من الولادة و احتفالنا بالعروس ، حيث تذهب الى الحمام في مراسيم خاصة في اليوم السابع من زواجها و يأتي الدكتور بأمثلة من القصص العراقية حول ذلك.

و يمكنني ان أوسع و أوضح هذه الأفكار وأضيف إليها عامة بما يلي: ورد في القرآن الكريم: "الله الذي خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير و ان الله قد أحاط بكل شيء علماً. و ورد فيه : " هو الذي خلق السموات و الأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش, يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو معكم أينما كنتم, و الله بما تعملون بصير.. (الحديد 4:57) ، و ورد فيه في قصة يوسف : يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر و آخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبلة إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلاً مما تحصنون.... (يوسف 12 : 46, 47, 48) ، أما عن عدد أصحاب الكهف فورد فيه : سيقولون

ثلاثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمــاً بالغيب و يقولون سبعة وثامنهم كلبهم, قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً و لا تستفت فيهم منهم أحدا.. (الكهف 18 : 21. و في الآية : و لقد أتيناك سبعاً من المثاني و القرآن العظيم (الحجرة: 87) ، والآية و بنينا فوقكم سبعاً شداداً.. (النبأ 1/78 2) ، و ورد فيه: و ان جهنم لموعدهم أجمعين. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (الحجرة 15 : 43, 44) ، وحدد الصيام في الحج بثلاثة أيام او سبعة أيام في قوله تعالى: فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم (البقرة 2 : 192) ، و أما في العهد الجديد فقد ورد الرقم سبعة في ما يقارب عشرين موضعاً نقتبس منه ما يلي: ثم يذهب و يأخذ معه سبع أرواح آخر اشر منه فتدخل و تسكن هناك.. (انجيل متي: الإصحاح الثاني عشر) ، وعندما يسأل المسيح القوم عن الأكل يجد لديهم سبعة من الخبز (انجيل متي – الاصحاح 15) و(انجيل مرقص: الاصحاح 8) و من مريم المجدلية اخرج سبعة شياطين (انجيل مرقص: الإصحاح 16) ، و ان اخطأ إليك سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب فاغفر له (انجيل لوقا: الاصحاح 17) و ان كانت هذه الأرقام قد ذكرت في مواقع سلبية فإن الرقم سبعة يستعيد زهوه فالتلاميذ او الحواريون الاثنى عشر ينتخبون منهم سبعة رجال منهم مشهوداً لهم و مملوين من الروح القدس و حكمة (أعمال الرسل) (يوحنا : الاصحاح 6) الى السبع الكنائس التي في آسيا نعمة لكم و سلام من الكائن و الذي يأتي و من السبعة الأرواح التي أمام عرشه (رؤيا يوحنا اللاهوتي: الاصحاح الأول) ، و المنابر سبعة هناك ايضاً, (و معه في يده اليمنى سبعة كواكب) و هي الملائكة السبع. ورأيت على يمين الجالس على العرش سفراً مكتوباً من داخل و من وراءٍ مختوماً .))

كما تتحدث الأساطيرالرافدية القديمة أن بناة أسوار مدينة أوروك ماقبل الفترة السومرية كانوا مجموعة من سبعة مخلوقات ، بشكل يجمع بين البشر والأسماك والطيور .

وتتحدث الأساطير الأولية أن الماء من بدايات الخليقة ، أذ كان الخالق يجلس بعرشه فوقه ، وقد أورد سفر التكوين العبراني انه في البدء خلق الله السماوات والأرض وروح الله بقيت ترفرف على وجه المياه .

وجاء في (الكنزا ربا) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين في الكتاب الأول :

((بأسم الحي العظيم

هو الله .. ملك أكوان النور ، العزيز الغني الغفور ، المياه التي تسيل ، والجبال التي لاتميل)) .

وفي كتاب الفنديدادا ، كتاب الزرادشتية : ((اول الامكنة والبلاد التي خلقتها انا هرمزد كان (اران) الذي يسقيه نهر اراس ..))

كما اكدت الديانة الأسلامية أن الخليقة تكونت في ستة أيام وذلك في عدة آيات قرآنية :

((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)) يونس الاية 3

((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)) سورة الأعراف الاية 54

((ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب)) سورة ق الاية 38

((وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة ايام وكان عرشه على الماء)) سورة هود الاية 7

((هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) سورة الحديد الاية 4

((الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا)) سورة الفرقان الاية 59

((الله الذي خلق السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مماتعدون)) سورة السجدة الاية 5

((هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم أستوى إلى السماء فسوهن سبع سموت وهو بكل شيء عليم)) سورة البقرة الآية 29

((ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً ولكن أكثر الناس لايعلمون)) .سورة فصلت الاية 11

وتعتقد الايزيدية بنظرية الفيض الآلهي ، حيث أن المهم في نظرية الفيض لدى الأيزيدية هو العدد سبعة ، الذي يثبت أنها كانت بالأصل سبعة كواكب وليسوا ملائكة ، لأن العقائد الآرية القديمة لاتقر بالملائكة بتاتا ، ابتداء من الهند وبلاد فارس ، وانتهاء باليونان وغيرها ، أضافة لهذا فأن نظرية الفيض لديهم كوكبية من خلال خلق الشمس ، القمر ، الزهرة ، النيران ، كذلك نعلم أن الشمس لديهم مقدسة ، كما ان للقمر قدسية ، حيث نجدهم يدبرون القمر عندما يظهر هلاله الأول ويتلون دعاءا خاصا . (5)

وفي نصوص مصحف رش المنسوب إلى الأيزيدية ورد في الفقرة (4) من الفصل السابع تأكيد على وحدانية الله فقد جاء فيها كمايلي :

من الذي خلق الماء ؟ ذاك هو الله العلي .

من الذي خلق التراب ؟ ذاك هو الله العلي .

من الذي خلق الهواء ؟ ذاك هو الله العلي .

ولاخلاف في مصدر أسس الخليقة ونشوء الحياة حيث تردها الديانات إلى الله الذي أمر أن تخلق عناصر الحياة وأسس التكوين ، أذ تتطابق إن لم تنسجم في العديد من القصص التي توردها الكتب المقدسة أو المرويات الدينية الشفاهية .

غير أن فكرة الأعتقاد بطاووس ملك تميزت بها الديانة الأيزيدية في الرؤيا والأسم والشكل ، ذلك أن الأيزيدية تعتقد أن كبير الملائكة ورئيسهم هو الملاك (عزازيل) وهو نفسه (طاووس الملائكة) ، كما انهم يعتقدون أن الله خلق الخير ولايمكن له أن يخلق الشر ، والبشر هم من يرتكبون المعاصي ويقومون باعمال الشر ، فالنفس الإنسانية مخيرة في أن تلتزم بتعاليم الله في فعل الخير ، او تقدم مرتكبة أفعال الشر التي يحاسب عليها بني أدم ، أذ لايمكن لخالق الأنسان وواهب الحياة أن ينشر الشر في هذه الدنيا ، ويسلط أحد ملائكته لأشاعة الشر بين الناس ، أن هذه الأفتراضية تتناقض مع المنطق .

والأيزيدية حين أعتبرت تمثال الطاووس البدائي الذي يحترمونه ويكنون له التقدير والإجلال تعبيراً رمزياً لطاووس ملك ، فانها لم تكن أول ملة أو ديانة تختار الرمزية وتنفرد في أختيار الطاووس لها رمزاً ، فقد أشتركت معها أو سبقتها ديانات قديمة وعبادات ومجتمعات عديدة في هذا الأمر .

ويذكر الكاتب الدكتور روزاد علي من أن المصادر التاريخية تفيد إن الإله (نابو) الرافدي كان يعبد في جبل ليلون (سمعان) ، في القرون السابقة للميلاد وما بعدها، وكان له هياكل منتشرة عليه، وأضخمه في موقع قرية (كفر نبو) الحالية، ولا يزال اسم العلم (نبو) دارجاً بين الأكراد في جبل ليلون . و(نابو) من الآلهة القديمة لدى شعوب الرافدين، ثم اكتملت هيئته ووظائفه لدى الآشوريين، وأنيطت به الحكمة، وأصبح ينادى (ينبوع الحكمة) واستمرت عبادته في مناطق ليلون من كرداغ إلى نهاية القرن الرابع الميلادي. (6)

ويذكر الباحث عامر حنا فتوحي في كتابه الكلدان ، بأن نابو هو أله الكتابة والمستجيب للدعاء ، ويعد نابو من أول أشكال عبادات التوحيد في العراق القديم ، ومعبده في بورسيبا (الأي زي دا) ويعني الأخلاص . (7)

ولنتمعن في أسم معبد الإله نابو (أي زي دي) ونقارن مع أسم الأيزيدي اليوم ، والذي يعني عبدة الاله أو المخلص للأله ، ونجعل مثل هذه المفارقة أو المصادفة أمام انظارنا عند البحث والتقصي .

أما كزينفون فيذكر في كتابه رحلة العشرة آلاف ، أن القاطنين على ضفاف نهر كالوس (عفرين) كانوا يقدسون أسماك النهر.

وأفاد بعض النباشين عن الآثار، أنهم عثروا بجوار قرية (ساتيان) على مدفن أثري قديم ضم رفاة موتى، وفي وسط المدفن تمثال ديك أجوف بحجم أكبر من الطبيعي أحمر اللون ، وهذا ولاريب من طقوس العبادات الوثنية لفترة ما قبل انتشار المسيحية في المنطقة.

كما يدرج لدى الأكراد في الجبل، دون غيرهم من شعوب المنطقة، اسم (شيخو) بكثرة ، وشيخو هو اسم إله كاشي (نسبة إلى الشعب الكاشي من أسلاف الأكراد)، وهو من كبار الإلهة المحبوبين، وسلطان الآلهة، وإله الأرض، ولهذا دلالة على وجود بقايا من معتقدات الكاشيين لدى أكراد الجبال .

ومن الجدير ذكره هنا أيضا، أن هناك رسمان متقابلان لطائر الطاووس موجودان على مذبح كنيسة في قرية كيمار يعود تاريخ بنائها إلى عام 537م، وهما يحيطان بدائرة تحتوي على دائرة. إن طائر الطاووس في المعتقدات الإيزدية، يرمز إلى رئيس الملائكة (طاووس ملك)،. أما الدائرة التي تحيط بصليب متساوي الأضلاع، وهي شكل موجود بكثرة على الآثار التي تعود إلى الفترة المسيحية، فيقول عنها الإيزدييون: أنها ترمز في ديانتهم إلى الأرض وجهاتها الأربع، وهو صليب آري، فكما هو معروف إن الصليب الميتاني– الهوري متساوي الأذرع، على خلاف الصليب المسيحي الذي يستطيل ذراعه السفلي . حيث يعتقد أن عبادة الإله (ميثرا) الميتاني – الهوري، ظلت قائمة في الشرق الأدنى وفي أوربا حتى القرن الثاني للميلاد، وقد انتقلت عبادة ميثرا من الشرق إلى الغرب على يد الرومان. وكان يرمز إليه بطائر الطاووس.(8)

وكلمة الطاووس مأخوذة من الطوس في اللغة وتعني حسن الوجه وجميله ومنه اشتق اسم الطاووس ، وجاء في المنجد في اللغة والأعلام ص 475 تطوست المرأة أي تزينت كالطاووس والطاووس طائر حسن الشكل حاد الصوت ، والطاؤُوس: طائر حسن، همزته بدل من واو لقولهم طَواويس، وقد جمع على أطْواسٍ باعتقاد حذف الزيادة ، وجاء في لسان العرب : الطَّوْسُ: الحُسْنُ. وقد تَطَوَّسَتِ الجاريةُ: تزينت. ويقال للشيء الحَسَن؛ الطاؤُوسُ في كلام أَهل الشام الجميل من

الرجال؛ وفي كلام أَهل اليمن: الفِضَّة. والطاؤُوس: الأَرض المُخْضَرَّة التي عليها كلُّ ضَرْبٍ من الوَرْدِ أَيامَ الربيع .

والطاووس من اكثر الطيور جمالا وحسناً وأروقها لوناً ولله تعالى في خلقه حكمة في اختلاف الوانه فترى في وسط كل ريشه دائرة من الذهب مختلطة بالزرقة والخضرة وغيرهما من الالوان التي يلائم بعضها بعضاً ينشأ من تركيبها زيادة حسن فأن الذهب أذا جعلته على الحمرة أو الصفرة أو البياض لاتجد مثل حسنها على الزرقة والخضرة والكحلية ، فأنظر إلى قدرة الصانع كيف خلق في بيضة تلك النقوش العجيبة والألوان الحسنة .

ثم أن الذهب الذي يولدها في الحجر لايخرج الا بالحيلة الشديدة ولايصلح للتزويق الا بعد أن يعمل عليها صناع كثيرة مختلفو الصناعات ، وعمره خمسة وعشرون عاماً وفي هذه المدة يتلون بالوان كثيرة ، وفي كل سنة يلقي بريشه وقت الخريف ثم يكتسي بريش جديد ، وأذا بدت الأشجار بالأوراق يكتسي الطاووس ايضاً بريشه . (9)

ومن خطبة للامام علي بن ابي طالب عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس يقول :

((أبتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات ، وساكن وذي حركات ، وأقام من شواهد البينات علة لطيف صنعته ، وعظيم قدرته ، ما أنقادت له العقول معترفة به ، ومسلمة له ، ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته ، ومادرأ من مختلف صور الأطيار التي أسكنها أخاديد الأرض ، وخروق فجاجها ، ورواسي أعلامها ، من ذات أجنحة مختلفة ، وهيئات متباينة ، مصرفة في زمام التسخير ، ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجو المنفسح ، والفضاء المنفرج .

كونها بعد أذ لم تسكن ، في عجائب صور ظاهرة ، وركبتها في حقاق مفاصل محتجبة ، ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو في الهواء خفوفاً ، وجعله يدف دفيفاً ، ونسقها على أختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته ، فمنها مغموس في قالب لايشوبه غير لون ماغمس فيه ، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ماصبغ به . (10)

والطاؤوس ملك كبير الملائكة ورئيسهم ويسمى طاؤوس الملائكة ، والطاؤوس طائر وتصغيره طويس وجمعه اطواس وطواويس ، والرمزية في أن يكون شكل الملائكة والألهة على شكل الطيور معروفة لدى القدماء ، بالنظر لنظرة الأنسان للطير وهو يحقق اعجاز الطيران امام انظاره ، فأله الحكمة لدى قدماء المصريين على سبيل المثال رأساً لطير أبي منجل ن كما رسموا النفس

البشرية في صورة طير له رأس بشرية ، وقد عثر على العديد من هذه الطيور المقدسة منحوتة على الجدران او على شكل منحوتات منفردة .

والرمز يمثل الأشارة لفكرة ما ، جوهر الفكرة متجسداً على شكل جسم أو شكل محسوس يمثل التشبيه ، ويرمز الصليب للديانة المسيحيية . فلم ينشأ هذا الرمز مع نشأة المسيحية ، و لم يكن متضمناً في رموز المسيحية الأولى.. و كان أول من جعله رمزاً للمسيحية (قسطنطين) الذي زعم أنه رآه في المنام . و كان الصليب ذا مكانة بين عُباد الشمس في الإمبراطورية الرومانية كرمز للحياة كما هو الان عند المسيحيين . وهناك صليب مصري سابق على المسيحية محفوظ في المتحف البلدي بالإسكندرية ، وبقي الصليب اشارة ورمز أبدي لفكرة الصلب وتجسيد لعذابات السيد المسيح من اجل الأنسان ، وتحول إلى رمز مقدس لدى المسيحيين ، كما تقدس الصابئة المندائية الراية المنصوبة على ضفاف النهرفي المندي الخاص بهم ، وتتضمن راية بيضاء معلقة على صليب من الخشب ينتهي بحافة مدببة ويعلوه غص الآس ، كما يعتبر الأسلام الهلال علامة ورمز يشيران الى الديانة الاسلامية .

لذا لابد من التأكيد على أن أعتقاد الأيزيدية واضحاً في وجود اله واحد هو الله (خودا) ، وأن هذا الاله خالق الكون والملائكة ، وأن هذا الأعتقاد لايلغيه ولايمسه قطعاً الأعتقاد بطاؤوس ملك ولابالملائكة ولابالأولياء و الشيوخ مهما بلغت مكانتهم او منزلتهم ، وهذا الأمر يفند القصص والروايات المغرضة التي كانت تنشر بقصد النيل من عقيدتهم ،ويقول الدكتور ممو عثمان في مقالة له على الأنترنيت في صفحة الكاتب العراقي – المدار :

((أن أللهَ عند ألأيزيدية هو المسؤول عن القوتين المضادتين ويحوى في ذاته عليهما. أن هذه الثنائية المعروفة ألنور والظلام ، الخير والشر يسكنان جنبا" الى جنب مع البعض وهما في صراع دائم. يعتقد ألأيزيديوون بأن طاؤوس ملك (إله الشمس) هو ألإله ألأكبر ولا يحدث أي شئ دون مشيئته. أن ألأيزيدية قبل قدوم ألأديان ألسماوية الى المنطقة كانت تؤمن بعدة ألهة كما كان الحال عند السومريين وألأكديين والبابليين وألاشوريين وكانت بعض هذه ألألهة مسؤولة عن الخير وتقديم المساعدة مثل ألإله شماش وآخرين مسؤولين عن الشر والمعاقبة مثل عشتار أما عند ألأيزيدين فما عدى ألألهة ألصغيرة المسؤولة عن ألامراض وظواهر الطبيعة كان هنالك طاؤوس ملك الذي يحمل في يده كافة القرارات وألأوامر لألهته التي كانت تحت أمره، فطاؤوس ملك هو ألأله ألأكبر(الملاك الأكبر – الكاتب) الذي يعطي كافة ألأوامر بما فيها الخير والشر. أن الوحدانية التي تم ألإعتراف بها عند ألأديان السماوية من بعد ذلك كانت متمثلة في ألأله ألأيزيدي طاؤوس ملك.
ولهذا لايوجد في الديانة ألأيزيدية رمز أو تسمية خاصة للشر ولا يوجد إله مختص به كما أن

النطق أوتسمية ألشر يناقض مع مفهوم الله الذي هو قادر على كل شئ، أما بالنسبة للإنسان فأن أللهَ قد وهبه العقل وعلى عاتقه تقع مسؤولية إرتكاب الخطأ والصواب ، وهنا يكمن الأختلاف الواضح مع فكرة ألأديان العالمية (السماوية) بالنسبة لهذا الموضوع. إن مفهوم فكرة الشر وتقرب الأيزيدين الى هذا الموضوع أدى بالكثيرين الى ألإعتقاد بأن ألأيزيديين يعبدون الشر. أن مفهوم الشر كما ورد في ألأديان السماوية بألإضافة الى قصة الخليقة التي تداولها ألأيزديون بعد قدوم ألأديان السماوية الى المنطقة وبألأخص بعد حلول شيخ عادي بينهم تطابق فكرة المتصوفة في هذا المضمار حول رفع الحجاز بين الله وألإنسان ، أي فكرة حلول الله في ألإنسان وبالعكس. إن مفهوم الشر كما ورد في الكتب السماوية من التوراة الى ألإنجيل ثم القرآن تختلف عن مفهوم الشر أو ألديوا (أهريمن) المتميز عند الديانة الزرادشية. لكن المفهومين ليس لهما علاقة بألإله ألأيزيدي طاؤوس ملك الذي يمثل إله الشمس وهو إله الثواب والعقاب في نفس الوقت أما كلمة الشر فهي من منتوج ألأديان السماوية كنقيض للخير.)) (11) .

وهذا الأمر يجد تطابقاً مع النص المقدس لدى المسلمين الذي يذكر أن الله خلق النفس البشرية وألهمها الفجور والتقوى ، الخير والشر ، فالأنسان هو الجهة التي يصدر عنها الفعل من حيز التفكير والرغبة إلى حيز الفعل المادي الملموس ، وهذا الفعل الصادر هو الذي يحدد حجم مكنونات الشر أو الخير في هذا الفعل ، وبالتالي فأن الفعل سواء منه شرا أو خيرا يصدر بأرادة بشرية لايمكن معها الأقتناع بأن قوة أخرى ترغمها على اقتراف او الأقدام على أبرازه إلى حيز الملموس ، والا سيتناقض الأمر مع مبدأ العقاب والثواب سواء كان في الدنيا أو في الآخرة .

التقرب الى موضوع أبليس ومجادلته هو موضوع فلسفي أكثر مما هو ديني في جوهره كما يمكن إعتباره صراعا" سياسيا" يتمثل في تحدي الطبقات ألأدنى للطبقات الفوقية ، فهو صراع طبقي في جوهره. وبعد حلول شيخ عدي بن مسافر (الشيخ عادي) بين ألأيزيديين أصبح هذا الموضوع ألفلسفي منهاجا" دينيا ، أستطاع بعد فترة من الزمن أن يحل محل ديانة ألكرد القديمة، لكن فكرة عزازيل كانت ولاتزال موضوعا" فلسفيا" تحول بسرعة الى معارضة للخلافة ألإسلامية أو للشريعة التي كان يحكم وفق دستورها الخليفة ألإسلامي الذي أخذ لقب أمير المؤمنين . إن الطبقة المناهضة كانت تتمثل بالمعارضين الذين يمكن تسميتهم بالطبقة السفلى ، المغلوب عليها وهي تناهض وتناضل ضد الطبقة الحاكمة .

لقد ورد ذكر عزازيل في التوراة ويلقب فيها برئيس الملائكة الذي هبط الى الأرض ثم لقب بألقاب أخرى متعددة. يرجع علماء الدين أسم أبليس وألقابه ألأخرى الى أصل الكلمة اليونانية (Dia-Bolos) والكلمة Dia ترتبط بكلمة أبليس وتعني نفس المعنى وكذلك مرتبطة من حيث المعنى بالكلمة Divine أي المقدس وفي كثير من قصص ألأديان السماوية يوصف أبليس بأنه كان أجمل

الكل وأعظمهم وله صفات مشتركة مع الله لأنه أقرب ألملائكة الى الله ومن صفاته أيضا" بأنه نور الله أي نور خلق من نور كضوء شمعة من مثيلها كما أن أتباعه الصوفيين وصفوه بانه يعكس الضوء ألإلهي كالمرآة فلقبوه لذلك ب (لوسيفر Lucifer) أي حامل ألضياء . أن حامل الضياء هذا هو نفسه عزازيل وأحيانا ملاك الموت جبريل .)) (12)

هذا الطرح نموذج لكتابة تمثل وجهة نظرالمعرفة لدى العديد من أبناء الأيزيدية بالنظر لكون الكاتب من الأيزيديين ، ولكن الحقيقة التي عمد العديد من الكتاب أن يصرفوا النظر عنها ويحاولوا طمسها وعدم التطرق والأفصاح عنها تكمن في مسألة توحيد الأيزيدية لله ، وفي عدم اعتقادهم بعدم وجود ملاك متخصص بقضايا الشر ، لأن الله يجسد الخير والمحبة والوئام ولايمكن – حسب المعتقد الأيزيدي – ان يكون الله مصدر الشر بأي شكل كان ، مثلما لايمكن أن يكون ملاك من ملائكة الله متخصص في قضايا الشر ، حيث أن الشر نتاج وأنعكاس للأفعال التي تصدر عن الأنسان ، والتي تخضع لمبدأ الحساب والثواب عند صيرورة حالة التقمص عند الأنسان ، فالشر موجود داخل النفس البشرية حاله كحال التقوى وأفعال الأنسان الدائرة بين الخير والشر هي التعبير المنعكس لها .

وأذا كان بعض الباحثين يرجحون أن مقطع (Die) يأتي من (Devin) بمعنى الالوهية ، ومن (Deuce) بمعنى الشيطان ، مع الأخذ بالحسبان قرب (ديوس) في النطق العربي من اللفظ الكنعاني العبراني (التيوس) ، وهو ما يطابق أصل كلمة (عزازيل) لقب سين اله التيوس أو الاله الهلال البابلي . (13)

يداهمنا سؤال ينطلق من أغوار الأيزيدية السحيقة القدم عن ملامح البدايات وعن التحولات والأسطورة ووفق هذا المنهج يذكر الكاتب السيد هوشنك بروكا من المانيا في مقالة له نشرت في صفحة لالش على الأنترنيت بعنوان (الأيزيدية والطقوس الدموزية) يقول عن طاووس ملك :

((إن الإسطورةَ ـ على مر الزمن ـ هي تحولٌ في التحولِ. وحسب كلود ليفي شتراوس، فإن هذه التحولات التي تحصل بين رواية للإسطورة الواحدة، وأخرى، أو من إسطورةٍ إلى أخرى، أو من مجتمع إلى آخر بالنسبة إلى الأساطير نفسها، أو بالنسبة لأساطير مختلفة، تؤثر على هيكلية الإسطورة حيناً، أو على "كودها"/الشيفرة حيناً آخرَ، أو على المرسال المقصود منها حيناً ثالثاً، لكن هذه التأثيرات لاتحول دون بقاء الإسطورةِ إسطورةً. فهي تراعي بذلك ما يمكن تسميته بـ مبدأ الإحتفاظ بالمادة الإسطورية، وهو مبدأ يعمل على أن يكونَ من الممكن دائماً أن تنشأ عن كل إسطورةٍ إسطورة أخرى. والإسطورة التي ستحاول هذه الدراسة الإشتغال عليها، هي إسطورة الصعود والهبوط الدوموزية/الطاووسي ملكية، في مستواها الثاني كنصٍّ لاحق، والتي تشكل واحدةً من أبرز حلقات

تمفصل الفكر الميثي الميزوبوتامي، بنكهته السومرية، مع الفكر الميثي الإيزيدي. و "دوموزي" هو الشكل السومري للإسم الأكثر شيوعاً: تموز، بينما "إنانا" هي المرادف السومري لعشتار السامية، ملكة السموات. دوموزي هو النموزج الأصلي لكافة آلهة النبت، الذين يموتون ويُبعثون ثانيةً مع إنبعاث النبت في الربيع . إن ثنائية الموت والإنبعاث، التي تتكرر في شخصية دوموزي/تموز، كل سنة، هي تمثيل قدسي طقوسي، للثنائية الفصلية (ربيع ـ خريف) وبذا تكون الإسطورة الدوموزية، ترجمةً لشعورية قوية ومبكرة بوحدة الثالوث الكوسمولوجي/الكون، الطبيعة، الإنسان، وهي محاولةٌ أنسيةٌ للحلول في ماهو فوق/بشري، أي بمعنى القفز من ذاته كفيزيقيا إلى الآخر/الإله ككون ميتافيزيقي، ومشاركة الطبيعة أفراحها وأتراحها في هستيريا قداسوية. فالسنة الميزوبوتامية، كانت عبارة عن فصلين فقط: ربيع، الفصل الأخضر وجهة الإخصاب والإنبات، وخريف، الفصل الأصفر، جهة الموت والعذابات. وما إسطورة الصعود والهبوط الدوموزية، والتي إتخذت من هذه الثنائية الفصلية متناً لمادتها الإسطورية، إلا محاكاة بشرية للمافوق/بشري، إستعداداً لعبورٍ مقدسٍ من الظهورات الطبيعية، إلى الظهورات الإلهية في أقدس تجلياتها. وعلى حد قول ميرسيا إلياد، فإن الطبيعة، بالنسبة لمن لديهم خبرةً دينية، كلها قابلة لأن تتجلى بوصفها قدسية كونية. إن دورة حياة القمح مثلاً، ليست سوى دورة حياة الآلهة التي تقضي جزءاً من السنة في العالم السفلي، وجزءاً في العالم الأعلى. وجملة الأعمال الزراعية التي يقوم بها الإنسان من حصادٍ وحرثٍ وبذارٍ ومالإليها، ليست أعمالاً دنيوية، بل طقوس دينية مقدسة يمارسها على هامش الدراما الإلهي الكوني، مساعدةً لروح الطبيعة على إتمام دورتها السنوية، والعودة مجدداً في الربيع لتهبه غذاء عام آخر. فإذا كانت روح الطبيعة والإنبات في الماضي تغيب في باطن الأرض، ثم تعود دون تدخلٍ من أحدٍ، فإن روح القمح والحبوب تتطلب مساهمةً من الإنسان، وتدخلاً من خلال عمله المقدس وطقوسه وصلواته. فالفعل الدنيوي، وكل مايقوم به الإنسان على المستوى الحياتي، ماهو إلا تكراراً لأفعال الآلهة التي قامت بها في زمن البدايات. وكما تقول الحكمة الهندية: "كما فعلتِ الآلهةُ، كذلك يفعل البشرُ"، تكررت هذه الحكمة على لسان السيد المسيح أيضاً، حين قال: "الحق الحق، أقول لكم من يؤمن بي، فالأعمال التي أعملها، يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها، لأني ماضٍ إلى أبي. وإذا كانت دورة الإنبات وحياة الطبيعة، بتعاقب فصولها، قد أُلّهتْ من خلال تعالقها على المستوى الميثي/اللاهوتي، بدورة الصعود والهبوط التموزية من وإلى العالمين السفلي والعلوي في الإسطورة العشتارية الأولى، فإنها وعلى المستوى ذاته، قد تعالقت مع دورة الصعود والهبوط الطاووس الملكية في الإسطورة الإيزيدية. فمن هو طاووسي ملك الصاعد والهابط على مدار الفصول؟ وكيف تُقرأ ملامحه في الميثولوجيا الإيزيدية؟ كيف تتشاكل صورة دوموزي/تموز في الإسطورة العشتارية الأولى، مع صورة طاووسي ملك في الإسطورة الإيزيدية؟ وهل يمكن القولَ بأن دوموزي/تموز/طاووسي ملك، كلها أسماء لمسمى واحدٍ ؟ وإن كان

طاووسي ملك، على مستوى الدور والوظيفة، ليس إلا إنزياحاً عن النموذج الأصلي دوموزي/تموز. كما تذهب إليه هذه الدراسة . فما هي الملامح التموزية في شخصية طاووسي ملك؟

بالرغم من علوِّ شأن طاووسي ملك، بإعتباره إلهاً كلي القدرة في الديانة الإيزيدية، إلا أنه لايزال كفكرة لاهوتية أصلية، يعوم في جو من الضبابية والسرّانية الملغزة، سواءً على مستوى الباحث الخبير، أو على مستوى المؤمن المستسلم لأقداره. قلّةٌ قليلةٌ من الباحثين والدارسين، حاولوا الإبحارَ في هذا "الشمال"، ربما لصعوبة عبوره، فبات شمالاً إشكالياً بين كَرِّ الخالق، وفَرِّ المخلوقِ. لذا فطرقُ باب موضوع شديد الحساسية كهذا، لا بدّ وأن يفتحَ المجالَ أمام العديد من الإشكاليات. وأولى هذه الإشكاليات، هي إشكالية المصطلح، وفي خصوص الإشكالية الإصطلاحية حول أصل فكرة طاووسي ملك/تاوز، وحيثياتها من الناحية المورفولوجية والميثولوجية، هناك أربع فرضيات رئيسة مطروحةً للنقاشِ:

الأولى: فرضيةُ التعريب والأسلمة

دُعاة هذه الفرضية ، يعيدون لفظة الـ "طاووس" الإيزيدية إلى الطوس، والطوس لغةً، حسب زعمهم، هي كلمة عربية، إسلامية صرفة، وتأتي في اللغة بمعنى حُسْنِ الوجه ونضارته، ومنه إشتقّ "طاووس". ويعدّ صديق الدملوجي من أكبر المروّجين لهذه الفرضية، وأكثرهم تحمساً لها، إذ يتحاجج في كتابه الموسوم بـ "اليزيدية" بقوله: "إنّ كتبَ السّير والتاريخ والتفسير، تدلّ على أن الملك المنبوذ قبل أن يُطردَ من الجنّة، كان يُسمى بـ "طاووس الملائكة" للطافةِ شكله، وجمال صورته، وفي بحثٍ آخر لنا، أخضعنا هذه الفرضية للتنظير، وعلى مستوياتٍ عدة، فبدتْ لنا فرضيةً "فقيرة" في محاججتها، ميثولوجياً، مورفولوجياً، ومنطقياً، ثم بيّنا كيف أن الإيزيدية لاتسبق الإسلام فحسب، بل والميلاد أيضاً بقرونٍ عديدةٍ.

الثانية: فرضية الشمسنة

دُعاة هذه الفرصية يرون بأن طاووسي ملك، هو شمس/شمش، أو شماس، إله الشمس البابلي ذاته، والذي يتطابق مواصفاته مع مواصفات طاووسي ملك، بإعتبارهما مرموزان إلى الكمال، وإلهان للشمس والحياة السعيدة. وكان إله الشمس/شمش/شماس في معتقدات العراق القديم، يمثّل بدائرة ذات أربعة أشعة، تتخللها أشعةُ مجعدة، كدلالة على المعبود الشمسي. أما رمز طيران الشمس وحركتها، فكان يصوّر على شكل كرة ضوئية ذات أجنحة، ومذيّلة بذيلٍ من الأشعة على شاكلة ذيل طائر. ولإله الشمس/شماس في ميثولوجيا العراق القديم دورٌ مماثلٌ لدور الشيخ شمس/شيشمس/طاووسي ملك، فكلاهما يمنحنان العالمَ النورَ والحيوية. إضافةً إلى تجسديهما للخير والكمال المطلق في ذاتيهما.

الثالثة: فرضية "المثرنة

أصحاب هذه الفرضية، يخلصون إلى القول: بأن الإيزيدية هي بقايا الديانة الميثرائية، وطاووسي ملك ـ حسب زعمهم ـ هو رب الأرباب الميثروي/ميثرا نفسه. كلاهما يجسّدان الخيرَ والشرَّ معاً كقوتين إلهيتين في ذاتيهما. فـ "طاووسي ملك" هو الوجه الآخر للألوهة، بل هو الإله/خوه دي ذاته، وإسمٌ من أسمائه، حسبما يورد في التراث وعلم الصدر الإيزيديين. والإله الإيزيدي الواجب عبادته، كما أسلفنا هو الإله الشمولي المطلق الكلي القدرة في خيره وشره، والذي لا حدود في صورته، بين الأبيض والأسود. إن ملامح الإله الأكبر/ميثرا، تتشاكل إلى حدٍّ كبيرٍ مع صورة الإله الإيزيدي هذه (إثنان في واحدٍ) ففي ذات الوقت الذي يُعبد فيه ميثرا كإله للخير والبركة والحياة السعيدة، يُعبد أيضاً على أنه إله للحرب والكوارث. وعلى زعم دُعاة هذه الفرضية، فإن ميثرا يشبه لوكوس القديم (إبن الله، أوالكلام الإلهي) فهو إنبعاث الله وندّه وسلطانه (..) والأمر يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ كون "طاووسي ملك" إنبعاثاً من (الله) ومسؤولاً أمامه، وندا له، لحماية العالم وحفظه حسب إعتقاد الإيزيدية. وقد إنبعث فيه بالتناوب ستةُ آلهة، جميعهم عبارة عن ذاتية واحدة.

الرابعة: فرضية تموز/البؤرة

أما دُعاة هذه الفرضية، فيرون أن لفظة طاووس/تاوز/طاوز، مشتقة ومحرّفة من تموز، وتموز هو أسم الإله البابلي المقابل لمرادفه السومري/دوموزي. وأصحاب هذا الرأي، يرون تشابهاً كبيراً على مستوى الدور والوظيفة بين طاووسي ملك في الإيزيدية، وتموز/دوموزي في الديانات السومرية والبابلية: كلاهما يشكّلان مع ذات الإله/الإلهة إقنومين في واحد. ومن المرجّح جداً، أن تكونَ لفظةُ تيئوس THEOS اليونانية، وزيوس ZEOS المسيحية لاحقاً، مشتقة من تموز/تاوز(طاوز)/دوموزي، والتي تفيد على المستويين المورفولوجي والميثولوجي المعنى ذاته، أي رب الأرباب، فتكون بذلك طاووس/تاوز(طاوز)/تيئوس/زيوس، كلها ألفاظٌ متقاربة ومسنودة إلى مرجعية واحدة، هي تموز/دوموزي في كونه البؤرة الإسطورية الأولى. إن هذه الدراسة، تتخذ من الفرضية الأخيرة، أساساً نظرياً لتحرّكها، وستحاول من خلال طرحها لحججها، تقريّ ملامح وجه تموز الإيزيدي، في تخوم محاكاته لـ تموز البؤرة، أي تموز السومري.

أن أية محاولة لدراسة الطقوس التموزية في الإيزيدية، لابدّ وأن تعبرَ في زمانين، يعتبران الأقدس، والأكثر إشكالاً في تاريخ وميثولوجيا هذه الديانة.

الزمان الأول: زمان الإحتفاء بعودة السر المقدس/زمان الحضور

كل شيء يبدو في حضرة هذا الزمان بهيجاً، فرحاً بقدوم ذاك السر من رحلته الشاقة المقدسة. هذا الزمان، هو من الأيام، يوم الأربعاء، ومن الشهور، شهر نيسان، ومن الفصول، فصل الربيع، ويُصادف في الأربعاء الأول من كل نيسان حسب التقويم الشرقي/الكريكوري (تتأخر السنة الشرقية عن السنة الغربية/الميلادية بـ ثلاثة عشر يوما ً)

الزمان الثاني: زمان إستمطار الحزن على رحيل السر المقدس/زمان الغياب

وهو زمانٌ كئيبٌ بكل أشيائه، إلى جانب كونه زماناً عنيفاً لرحيل ذاك السر إلى العالم الآخر/عالم الأموات. يمتد هذا الزمان باستمطاره للعنف والكآبة من 23 ـ 30 أيلول، حسب التقويم الشرقي.

إن هذين الزمانين، يشكّلان في رأيي، إنزياحاً عن زمانين كانا في البدء، هما زمانا إسطورة القمح الميزوبوتامية وأسفاره بين الموت والحياة، كميتٍ حيٍّ حيناً، وحيٍّ ميتٍ حيناً آخر.)) (14)

وللسيد عبد الرزاق الحسني رأياً آخر يذكره في كتابه عن اليزيدية (عقائد اليزيدية) بالصفحة 289 فيقول :

((السنجق)) كلمة تركية معناها العلم أو الراية، وعند اليزيدية تطلق على تمثال من الشبه بصورة طاووس، يسمونه ((طاووس ملك)) ويرمزون به إلى معبودهم ((الشيطان)) وكانت لديهم سبعة سناجق ((طواويس)) لم يبق منها غير واحد. وهذا يحفظ عادة في ((خزينة الرحمن)) في بيت الامارة في قرية باعذارا من قرى قضاء الشيخان بلواء الموصل، ويُعطى بالالتزام إلى جماعة من المؤمنين يسمونهم ((القوّالين)) أي كثيرى القول، فيطوفون به بين قرى اليزيدية ثلاث مرات في كل سنة لجمع الصدقات، ويوقدون حوله الشموع عند مبيته في أحد البيوت، حيث يطوف الاهلون حوله بخشوع واحترام، ويقدمون إليه الهدايا والنذور كل حسب طاقته، فإذا تمّت الزيارة فصّلوا التمثال قطعاً ووضعوه في كيس خاص يسمونه ((هگبه)) وانتقلوا إلى قرية أخرى فيجرى فيها ما جرى في غيرها.)

يقول الكاتب السيد القمني في مقاله له منشورة على الأنترنيت بعنوان (العقائد والتعدد والأسلاف) :

((اما الطوطمية ، التي تعتقد بوجود صلة لأفراد القبيلة بحيوان ما مقدس ، فتظهر في سميات قبائل البشر ، مثل (أسد، فهد، يربوع ، ضبة ، كلب ، ظبيان ... الخ). لذلك كانوا يحرمون لمس الطوطم أو حتى التلفظ باسمه ، لذلك كانوا يكنون عنه ، فالملدوغ يقولون عنه السليم ، والنعامة يكني عنها المحلى ، والأسد أبي حارث ، والثعلب ابن آوى، والضبع أم عامر، وهكذا. هذا اضافة الى

تقديس الأشجار، مثل ذات انواط التي كانوا يعظمونها، ويأتونها كل سنة فيذبحون عندها ويعلقون عليها اسلحتهم واردیتهم .))

وكنا قد ذكرنا سابقاً عدم ايمان الأيزيدية بالطوطمية ، لأنهم لايجسدون الحيوان أو النبات بأعتباره يمثل أصل الحياة في المعتقد ، بسبب إعتقادهم برسوخ أن الله الواحد الأحد هو الأصل والخالق الأزل ، وأن كل المخلوقات لايمكن ان تشكل طواطم ، مع أن السلوك الأنساني القديم كان يجسد مظهراً من مظاهر الطوطمية في العبادات القديمة ، الا أنه لايوجد مايشير الى إعتماد جزء من فكرة الطوطمية في العبادة الأيزيدية .

ويورد الكاتب عباس محمود العقاد في كتابه (ابليس) أنه لم يدخل في مدلولات اللغة ما هو أشهر ولاأدل من أسماء أبليس ولوسيفر وبعلزبول ومفستوفليس وعزازيل ، غير أن الكاتب العقاد مع عدم معرفته بالأيزيدية كمجتمع ودين يعتمد على مايرويه الثقات حسبما يذكر في الصفحة 111 من كتابه المذكور ، حيث يقول :

((ان النحلة اليزيدية التي تقيم في شمال العراق وينتمي ابناؤها جميعا إلى الكرد ولايعرف احد على التحقيق سبب تسميتهم باليزيدية ، ولايعول على اقوال احد علمائهم او جهلائهم لانهم يحرمون التعليم على عامتهم ، ويجعلونه وقفا على اسرة منهم تتولى الكهانة وأمانة الأسرار في هذه الديانة ، فمن كان منهم عالما بتلك الأسرار فهو لايبوح بها ، ومن كان من جهلائهم وعامتهم فهو يتلقى ما يسمعه ويؤذن له بعلمه ، وجميعهم مع ذلك يتوارثون التقاليد ولايفقهون خباياها سواء منهم من أباحوا له العلم أو حرموه عليه ..... وليس في ما رواه الثقات عنهم ما يثبت عبادتهم لطاؤوس ملك ، فالذين سمعوا انهم يعبدون (طاؤوس ملك) الذي أخرج آدم من الجنة ، قد وحدوا بين هذا الملك وبين أله الشر وحسبوهم من النحل الشيطانية التي تعبده عبادة الأرباب .. ويرى العقاد انه لايرى نحله تعبد اله الشر بالمعنى المفهوم من العبادة ، وهو الحب والتنزيه والتسليم ، وانما يقصدون بتلك المراسم التي يسمونها العبادة أن يزدلفوا اليه بالترضية والمداراة ، وأن يتقوا منه الشر الذي لايقيهم منه رب سواه ، لأنه موكل بحكم الأرض إلى اليوم المعلوم .)) (15)

ومن خلال تلك الرؤية التي يطرحها العقاد نستطيع ان نتلمس وجهة النظر ، التي تقول ان الأيزيدية يمارسون العبادة وممارسة تلك الطقوس أتقاء وترضية لأبليس ، مع ان الأيزيدية في الحقيقة يختلفون مع العقاد في أعتقادهم بالله وبقدرة الاله الكبير على كل شيء ، ومن ثم قدرة الاله الكبير حتى على الملائكة ورئيسهم المكلفين بأدارة شؤون الدنيا .

ويقول المستشرق الفرنسي الموسيو (ف . نو) صاحب كتاب النصوص والبراهين على الملة اليزيدية ، إلى أن كلمة (طاووس ملك) محرفة من (ثيؤس) التي تفيد الأله باليونانية ، زيد عليها ملك فأصبحت (طاؤوس ملك) أي الملك الأله (ص 17) ، وبعد أن ذكر (ص 26 و 27) أن

طاؤوس ملك هو الاله السامي الذي كان قبل الموجودات ، وهو لانهاية له ، ويسود الخلائق ، وهو موجود في كل مكان .

الا أن السيد صديق الدملوجي الذي ذكر المعلومة المذكورة نقلاً عن المستشرق الفرنسي ، يقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه العديد من الكتاب ، حين وصف طاووس ملك بأنه رمز الشر الذي اتخذه الأيزيدية ، دون ان يجد سبباً واحداً يدعو الأيزيدية لعبادة الشر أو يدفعهم للتمسك بهذه الظاهرة كل هذا الزمن الطويل ، ودون أن يجد منطق يدعمه لمثل هذا الأعتقاد ، والتاريخ سجل ثابت على مسيرة الأيزيدية وتصوفهم وتقوقعهم وعدم اعتدائهم على الأديان المجاورة أو أفترائهم عليهم ونزوعهم للبساطة والعمل والخير ، بالأضافة الى أن الديانة الأيزيدية تحث على الخير والمحبة وتدعو أتباعها الأبتعاد عن كل مايمت للشر والأفعال التي تحدث ضرراً للأنسان ، مما يتعارض مع الفكرة التي تقول أن الايزيدية من العبادات التي تحترم الشر وتخضع اليه ، ويكفي أن الديانة الأيزيدية من الديانات التي لاتقبل التبشير ولاتقبل أنتماء احد اليها من خارج دينها ، ومع هذا الأمر تجد صلابة الأنتماء وقوة البقاء وحجم التضحيات فيها ، بالأضافة إلى ماعرف عن الأيزيدية من مجتمع فقير وبسيط ومدفوع بمحبة الغير والدعاء للناس الأغيار قبل أن يكون الدعاء لأنفسهم .

أن الأيزيدية لاتعبد الطاووس ملك بالنظر لأقرارهم بوحدانية الله أولاً ، ولم يصدر عنهم مايشير إلى أعتقادهم كون الملاك الذي يسمونه بالطاووس ملك هو تجسيد إلى صورة الله جل وعلى ، أذ ان في الأمر تناقض واضح وصريح ، ومما يفند هذه المزاعم والقصص ماورد بالنصوص الواردة في الجلوة ومصحف رش والتي تشير وتوضح أن الله العلي هو الذي خلق الحياة وهو الذي خلق الملائكة بما فيهم كبيرهم (طاووس الملائكة) .

بالأضافة إلى ذلك فأن الأيزيدية تقدس الشمس والقمر بأعتبارهما جزء من النور الألهي مثلما تقدس طاووس ملك بأعتباره من المقربين الى الله ، فالتقديس ليس بسبب الأبهار والأعجاز الصادر منهما في تشكيل أسس الحياة البشرية والطبيعية ، وانما كون هذه الظواهر مقدسة لأنها جزء من الذات الألهية ومن الأرادة الخالدة في الخليقة .

اننا سندرك من خلال التباين والتنوع الكامن في أسس هذه الديانة التي تحمل معها أسرارها وديمومتها ، الصراع الذي تواجهه مع العقائد والمصالح والعقليات الدينية المتطرفة المختلفة ، مما يوجب علينا أن نتابع ليس فقط علاقتها بالظواهر الطبيعية أو المقدسات ، وإنما صراعها الفكري الداخلي أو الخارجي حتى نجد مقياساً او أطارا عاما يبلور أحكام التقييم بهذا الصدد .

أن طاووس ملك في الأعتقاد الأيزيدي لايصل إلى قدسية الله ، الا انه من الملائكة المقدسة بل هو كبير الملائكة وطاؤوسهم ، وهذا الأمر لم يكن زعماً أو دفعا من الأيزيدية ، وانما لم يختلف عليه احد من المؤرخين وأتفقت عليه جميع كتب التاريخ والميثولوجيا دون أستثناء .

وهناك من يذكر أن طاووس الملائكة هو (جبرائيل) الأمين ، وهو أمين الوحي ويقال له الروح الأمين والناموس الأكبر . (16)

والحقيقة أن الملاك جبرائيل هو غير الملاك عزازيل ، حيث أن الأخير هو رئيس الملائكة حسب المعتقد الأيزيدي ، بينما يكون الملاك جبرائيل المسؤول عن الايحاء والوسيط بين الخالق والأنبياء والرسل ، وتختلف مهمة كل منهما عن الآخر .

في حين يعتبر بعض الكتاب فكرة تقديس الطاووس ملك هي فكرة صوفية دخلها الغلو حتى اتخذه الأيزيدية الأله المتسلط على الألهة . (17) .

و ورد أسم عزازيل في التوراة العبرية (اللاويين 16: 8 و10 و26.) ولكنهم اتخذوا قصة خروجه من الزرداشتية .

أن حصر فكرة الطاووس ملك بالصوفية لايجد تبريراً منطقياً أذا أسلمنا أن تسمية الطاووس ملك قديمة قبل أن تتشكل الصوفية ، وأن التسمية أجمع عليها اغلب الذين بحثوا في تاريخ الأيزيدية لأنها عريقة وموغلة في القدم ، لذا فأن إلحاق فكرة الطاووس ملك بالصوفية يجعل الفكرة تعاكس المنطق ، يمكن أن تكون الصوفية من أعتقد بفكرة الطاووس التي كانت موجودة قبلهم ، لأن فكرة الصوفية بالأساس ارتبطت بمعنى التقشف والتصوف في الأسلام .

غير أن الكاتب السيد سعيد الديوه جي يعود ليذكر بان الأيزيدية في الوقت الحاضر مع اعتقادهم بتعدد الألهة وأن طاووس ملك رئيس الالهة ، فانهم يعترفون بان الله هو الخالق ، وبهذا يقطع السيد الديوه جي مع من يقول بتوحيدهم لله ، غير انه يعود إلى إتهامهم بإنهم أشركوا مع الله عبادة الطاووس ، وأن له ادارة العالم في الوقت الحاضر ، وهذه وجهة نظر قابلة للتقليب والنقاش معه .

ويستمر السيد الديوه جي فيقول :

((ويرون أن طاووس ملك له سلطة مطلقة على العالم ، وانه يفعل مالا يقدر عليه غيره من الآلهة ، حتى ولو كان خلافاً لأمر الله عز وجل ويروون حكايات ...))

وحسب السيد الديوه جي فأن الأيزيدية يقولون أن حروف الطاووس ترمز :

الطاء : الطاعة للرؤساء الأيزيديين .

الالف : للألفة بين الأيزيديين .

الواو : للود بين الأيزيديين .

السين : للتسليم إلى الرؤساء في أمور الدين والدنيا . (18)

لاشك ان الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية والاسلامية والصابئة المندائية) كانت قد حددت في جوانب نصوصها المقدسة فكرتي الخير والشر ، والمتمعن في قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة بسبب أغوائهما من قبل الشيطان بأكل التفاحة تكاد ان تكون متطابقة في السرد او المعنى في جميع الأديان ، والتي تعبر أيضاً عن فكرة أغواء الشر للإنسان .

أن السور التي وردت في القرآن لها معالجة خاصة في هذا الأمر .

ففي الآية 33 من سورة البقرة ((وأذ قلنا للملائكة أسجدوا لأدم فسجدوا الا ابليس أبى وأستكبر وكان من الكافرين * وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعض لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتع إلى حين)) ، وفي سورة الأعراف الآية 10 ومابعدها :

((ولقد خلقنكم ثم صورنكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لأدم فسجدوا الا أبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك الا تسجد أذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فأخرج انك من الصاغرين * قال أنظرني إلى يوم يبعثون * قال أنك من المنظرين)) .

وورد في الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي للآيات الواردة مايلي :

((تصف الآيات بدء خلقة الإنسان و تصويره ، و ما جرى هناك من أمر الملائكة بالسجدة له ، وسجودهم وإباء إبليس، و غروره آدم و زوجته، و خروجهما من الجنة.و ما قضى الله في ذلك من القضاء.

قوله تعالى: «و لقد مكناكم في الأرض و جعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون» التمكين في الأرض هو الإسكان و الإيطان فيها أي جعلنا مكانكم الأرض، و يمكن أن يكون من التمكين بمعنى الإقدار و التسليط، و يؤيد المعنى الثاني أن هذه الآيات تحاذي بنحو ما في سورة البقرة من قصة آدم

و إبليس و قد بدأت الآيات فيها بقوله: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا»: البقرة: 29، و هو التسليط و التسخير.

أن هذه الآيات التي نحن فيها لما كانت تنتهي إلى قوله: «و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين» كان المعنى الأول هو الأنسب و قوله: «و لقد مكناكم في الأرض إلخ كالإجمال لما تفصله الآيات التالية إلى آخر قصة الجنة.

والمعايش جمع معيشة و هي ما يعاش به من مطعم أو مشرب أو نحوها، و الآية في مقام الامتنان عليهم بما أنعم الله عليهم من نعمة سكنى الأرض أو التسلط و الاستيلاء عليها، و جعل لهم فيها من أنواع ما يعيشون به، و لذلك ختم الكلام بقوله: «قليلا ما تشكرون.

قوله تعالى: «و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» صورة قصة تبتدىء من هذه الآية إلى تمام خمس عشرة آية يفصل فيها إجمال الآية السابقة و تبين فيها العلل و الأسباب التي انتهت إلى تمكين الإنسان في الأرض المدلول عليه بقوله: «و لقد مكناكم في الأرض و جعلنا لكم فيها معايش».

و لذلك بدىء الكلام في قوله: «و لقد خلقناكم» إلخ بلام القسم، و لذلك أيضا سيقت القصتان أعني قصة الأمر بالسجدة، و قصة الجنة في صورة قصة واحدة من غير أن تفصل القصة الثانية بما يدل على كونها قصة مستقلة كل ذلك ليتخلص إلى قوله: «قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر» إلى آخر الآيتين فينطبق التفصيل على إجمال قوله: «و لقد مكناكم في الأرض» الآية.

و قوله: «و لقد خلقناكم ثم صورناكم» الخطاب فيه لعامة الآدميين و هو خطاب امتناني كما مر نظيره في الآية السابقة لأن المضمون هو المضمون و إنما يختلفان بالإجمال و التفصيل.

و على هذا فالانتقال في الخطاب من العموم إلى الخصوص أعني قوله: «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» بعد قوله: «و لقد خلقناكم ثم صورناكم» يفيد بيان حقيقتين: الأولى: أن السجدة كانت من الملائكة لجميع بني آدم أي للنشأة الإنسانية و إن كان آدم (عليه السلام) هو القبلة المنصوبة للسجدة فهو (عليه السلام) في أمر السجدة كان مثالا يمثل به الإنسانية نائبا مناب أفراد الإنسان على كثرتهم لا مسجودا له من جهة شخصه كالكعبة المجعولة قبلة يتوجه إليها في العبادات، و تمثل بها ناحية الربوبية.

و يستفاد هذا المعنى أولا من قصة الخلافة المذكورة في سورة البقرة آية 30 – 33 فإن المستفاد من الآيات هناك أن أمر الملائكة بالسجدة متفرع على الخلافة، و الخلافة المذكورة في الآيات كما استفدناه هناك – غير مختصة بآدم بل جارية في عامة الآدميين فالسجدة أيضا للجميع.

و ثانيا: أن إبليس تعرض لهم أي لبني آدم ابتداء من غير توسيط آدم و لا تخصيصه (عليه السلام) بالتعرض حين قال على ما حكاه الله سبحانه: «فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم» إلخ من غير سبق ذكر لبني آدم، و قد ورد نظيره في سورة الحجر حيث قال: «رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين»: الحجر: 39، و في سورة ص حيث قال: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين»: ص: 82، و لو لا أن الجميع مسجودون بنوعيتهم للملائكة لم يستقم له أن ينقم منهم هذه النقمة ابتداء و هو ظاهر.

و ثالثا: أن الخطابات التي خاطب الله سبحانه بها آدم (عليه السلام) كما في سورة البقرة و سورة طه عممها بعينها في هذه السورة لجميع بنيه، قال تعالى: ((يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم)) إلخ.

و الحقيقة الثانية: أن خلق آدم (عليه السلام) كان خلقا للجميع كما يدل عليه أيضا قوله تعالى: «و بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين»: السجدة: 8 و قوله: «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة»: المؤمن: 67، على ما هو ظاهر الآيتين أن المراد بالخلق من تراب هو الذي كان في آدم (عليه السلام).

و يشعر بذلك أيضا قول إبليس في ضمن القصة على ما حكاه الله سبحانه في سورة إسراء: «لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا» الآية، و لا يخلو عن إشعار به أيضا قوله تعالى: «و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم» الآيات: الأعراف: 172 على ما سيجيء من بيانه.

و للمفسرين في الآية أقوال مختلفة قال في مجمع البيان،: ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال: « و لقد خلقناكم ثم صورناكم» قال الأخفش: «ثم» هاهنا في معنى الواو، و قال الزجاج : و هذا خطأ لا يجوزه الخليل و سيبويه و جميع من يوثق بعلمه إنما «ثم» للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، و إنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولا فالمراد أنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتدأ خلق آدم من التراب ثم وقعت السورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» بعد الفراغ من خلق آدم، و هذا مروي عن الحسن، و من

كلام العرب: فعلنا بكم كذا و كذا و هم يعنون أسلافهم، و في التنزيل: «و إذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور» أي ميثاق أسلافكم.

و قد قيل في ذلك أقوال أخر: منها أن معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، عن ابن عباس و مجاهد و الربيع و قتادة و السدي.

و منها: أن الترتيب واقع في الإخبار فكأنه قال: خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل : أنا راجل ثم أنا مسرع ، و هذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى و القاضي أبو سعيد السيرافي و غيرهما، و على هذا فقد قيل: إن المعنى: خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء عن عكرمة و قيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع و البصر و سائر الأعضاء انتهى.

أما ما نقله عن الزجاج من الوجه ففيه أولا أن نسبة شيء من صفات السابقين أو أعمالهم إلى أعقابهم إنما تصح إذا اشترك القبيلان في ذلك بنوع من الاشتراك كما فيما أورده من المثال لا بمجرد علاقة النسب و السبق و اللحوق حتى يصح بمجرد الانتساب النسلي أن تعد خلقة نفس آدم خلقا لبنيه من غير أن يكون خلقه خلقا لهم بوجه.

و ثانيا: أن ما ذكره لو صح به أن يعد خلق آدم و تصويره خلقا و تصويرا لبنيه صح أن يعد أمر الملائكة بالسجدة له أمرا لهم بالسجدة لبنيه كما جرى على ذلك في قوله: «و إذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور» فما باله قال: «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» و لم يقل: «ثم قلنا للملائكة اسجدوا للإنسان».

قوله تعالى: «فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين» أخبر تعالى عن سجود الملائكة جميعا كما يصرح به في قوله: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون»: الحجر: 30، و استثنى منهم إبليس و قد علل عدم ائتماره بالأمر في موضع آخر بقوله: «كان من الجن ففسق عن أمر ربه»: الكهف: 50، و قد وصف الملائكة بمثل قوله: «بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون»: الأنبياء: 27، و هو بظاهره يدل على أنه من غير نوع الملائكة.

و لهذا وقع الخلاف بينهم في توجيه هذا الاستثناء : أ هو استثناء متصل بتغليب الملائكة لكونهم أكثر و أشرف ؟ أو أنه استثناء منفصل و إنما أمر بأمر على حدة غير الأمر المتوجه إلى جمع الملائكة و إن كان ظاهر قوله: «ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك» أن الأمر لم يكن إلا واحدا و هو الذي وجهه الله إلى الملائكة.

و الذي يستفاد من ظاهر كلامه تعالى أن إبليس كان مع الملائكة من غير تمييز له منهم و المقام الذي كان يجمعهم جميعا كان هو مقام القدس كما يستفاد من قصة ذكر الخلافة «و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك»: البقرة: 30، و إن الأمر بالسجود إنما كان متوجها إلى ذلك المقام أعني إلى المقيمين بذلك المقام من جهة مقامهم كما يشير إليه قوله تعالى في ما سيأتي: «قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها» و الضمير إلى المنزلة أو إلى السماء أو الجنة و مآلهما إلى المنزلة و المقام و لو كان الخطاب متوجها إليهم من غير دخل المنزلة و المقام في ذلك لكان من حق الكلام أن يقال: ((فما يكون لك أن تتكبر)) .

و على هذا لم يكن بينه و بين الملائكة فرق قبل ذلك؟ و عند ذلك تميز الفريقان، و بقي الملائكة على ما يقتضيه مقامهم و منزلتهم التي حلوا فيها، و هو الخضوع العبودي و الامتثال كما حكاه الله عنهم: «بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون فهذه حقيقة حياة الملائكة و سنخ أعمالهم، و قد بقوا على ذلك و خرج إبليس من المنزلة التي كان يشاركهم فيها كما يشير إليه قوله: «كان من الجن ففسق عن أمر ربه» و الفسق خروج التمرة عن قشرها فتميز منهم فأخذ حياة لا حقيقة لها إلا الخروج من الكرامة الإلهية و طاعة العبودية.

و القصة و إن سيقت مساق القصص الاجتماعية المألوفة بيننا و تضمنت أمـرا وامتثالا وتمردا و احتجاجا و طردا و رجما و غير ذلك من الأمور التشريعية والمولوية غير أن البيان السابق على استفادته من الآيات يهدينا إلى كونها تمثيلا للتكوين بمعنى أن إبليس على ما كان عليه من الحال لم يقبل الامتثال أي الخضوع للحقيقة الإنسانية فتفرعت عليه المعصية، و يشعر به قوله تعالى: «فما يكون لك أن تتكبر فيها» فإن ظاهره أن هذا المقام لا يقبل لذاته التكبر فكان تكبره فيه خروجه منه وهبوطه إلى ما هو دونه.

على أن الأمر بالسجود – كما عرفت – أمر واحد توجه إلى الملائكة جميعا وإبليس معهم بعينه، و الأمر المتوجه إلى الملائكة ليس من شأنه أن يكون مولويا تشريعيا بمعنى الأمر المتعلق بفعل يتساوى نسبة مأمورة إلى الطاعة و المعصية والسعادة و الشقاوة فإن الملائكة مجبولون على الطاعة مستقرون في مقر السعادة كما أن إبليس واقع في الجانب المخالف لذلك على ما ظهر من أمره بتوجيه الأمر إليه.

فلو لا أن الله سبحانه خلق آدم و أمر الملائكة و إبليس جميعا بالسجود له لكان إبليس على ما كان عليه من منزلة القرب غير متميز من الملائكة لكن خلق الإنسان شق المقام مقامين: مقام القرب و مقام البعد، و ميز السبيل سبيلين: سبيل السعادة و سبيل الشقاوة.

قوله تعالى: ((قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين)) يريد ما منعك أن تسجد كما وقع في سورة ص من قوله: ((قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) : ص: 75، و لذلك ربما قيل: إن ((لا)) زائدة جيء بها للتأكيد كما في قوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله»: الحديد: 29.

و الظاهر أن ((منع)) مضمن نظير معنى حمل أو دعا، و المعنى: ما حملك أو ما دعاك على أن لا تسجد مانعا لك.

و قوله: ((قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين)) يحكي عما أجاب به و هو أول معصيته و أول معصية عصي بها الله سبحانه فإن جميع المعاصي ترجع بحسب التحليل إلى دعوى الإنية و منازعة الله سبحانه في كبريائه ، و له رداء الكبرياء لا شريك له فيه، فليس لعبد مخلوق أن يعتمد على ذاته و يقول: أنا قبال الإنية الإلهية التي عنت له الوجود، و خضعت له الرقاب، و خشعت له الأصوات، و ذل له كل شيء.

و لو لم تنجذب نفسه إلى نفسه، و لم يحتبس نظره في مشاهدة إنيته لم يتقيد باستقلال ذاته، و شاهد الإله القيوم فوقه فذلت له إنيته ذلة تنفي عنه كل استقلال و كبرياء فخضع للأمر الإلهي، و طاوعته نفسه في الائتمار و الامتثال، و لم تنجذب نفسه إلى ما كان يتراءى من كونه خيرا منه لأنه من النار و هو من الطين بل انجذبت نفسه إلى الأمر الصادر عن مصدر العظمة و الكبرياء و منبع كل جمال و جلال.

و كان من الحري إذا سمع قوله: ((ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك)) أن يأتي بما يطابقه من الجواب كأن يقول: منعني أني خير منه لكنه أتى بقوله: «أنا خير منه» ليظهر به الإنية، و يفيد الثبات و الاستمرار، و يستفاد منه أيضا أن المانع له من السجدة ما يرى لنفسه من الخيرية فقوله: ((أنا خير منه)) أظهر و أكد في إفادة التكبر.

و من هنا يظهر أن هذا التكبر هو التكبر على الله سبحانه دون التكبر على آدم.

ثم إنه في قوله: ((أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين)) استدل على كونه خيرا من آدم بمبدإ خلقته و هو النار و أنها خير من الطين الذي خلق منه آدم و قد صدق الله سبحانه ما

ذكره من مبدإ خلقته حيث ذكر أنه كان من الجن، و أن الجن مخلوق من النار قال تعالى: «كان من الجن ففسق عن أمر ربه»: الكهف: 50 و قال: ((و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون و الجان خلقناه من قبل من نار السموم)) : الحجر: 27، و قال أيضا: ((خلق الإنسان من صلصال كالفخار و خلق الجان من مارج من نار)) : الرحمن: 15.

لكنه تعالى لم يصدقه فيما ذكره من خيريته منه فإنه تعالى و إن لم يرد عليه قوله ((أنا خير منه خلقتني من نار)) إلخ، في هذه السورة إلا أنه بين فضل آدم عليه و على الملائكة في حديث الخلافة الذي ذكره في سورة البقرة للملائكة.

على أنه تعالى ذكر القصة في موضع آخر بقوله: ((إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس استكبر و كان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين)) إلخ.

فبين أولا أنهم لم يدعوا إلى السجود له لمادته الأرضية التي سوي منها، و إنما دعوا إلى ذلك لما سواه و نفخ فيه من روحه الخاص به تعالى الحاملة للشرف كل الشرف و المتعلقة لتمام العناية الربانية، و يدور أمر الخيرية في التكوينيات مدار العناية الإلهية لا لحكم من ذواتها فلا حكم إلا لله.

ثم بين ثانيا لما سأله عن سبب عدم سجوده بقوله: ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) أنه تعالى اهتم بأمر خلقته كل الاهتمام و اعتنى به كل الاعتناء حيث خلقه بكلتا يديه بأي معنى فسرنا اليدين، و هذا هو الفضل فأجاب لعنه الله بقوله: ((أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين)) فتعلق بأمر النار و الطين، و أهمل أمر تكبره على ربه كما أنه في هذه السورة سئل عن سبب تكبره على ربه إذ قيل له: ((ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك)) فتعلق بقوله: ((أنا خير منه)) إلخ، و لم يعتن بما سئل عنه أعني السبب في تكبره على ربه إذ لم يأتمر بأمره.

بلى قد أعتنى به إذ قال: ((أنا خير منه)) فأثبت لنفسه إستقلال الإنية قبال الإنية الإلهية التي قهرت كل شيء فاستدعاه ذلك إلى نسيان كبريائه تعالى و وجد نفسه مثل ربه و أن له استقلالا كاستقلاله، و أوجب ذلك أن أهمل وجوب امتثال أمره لأنه الله بل اشتغل بالمرجحات فوجد الترجيح للمعصية على الطاعة و للتمرد على الانقياد و ليس إلا أن تكبره بإثبات الإنية المستقلة لنفسه أعمى بصره فوجد مادة نفسه و هي النار خيرا من مادة نفس آدم و هي الطين فحكم بأنه خير من آدم، و لا ينبغي للفاضل أن يخضع بالسجود لمفضوله، و إن أمر به الله سبحانه لأنه يسوي بنفسه نفس ربه بما يرى لنفسه من استقلال و كبرياء كاستقلاله فيترك الآمر و يتعلق بالمرجحات في الأمر.

و بالجملة هو سبحانه الله الذي منه يبتدىء كل شيء و إليه يرجع كل شيء فإذا خلق شيئا و حكم عليه بالفضل كان له الفضل و الشرف واقعا بحسب الوجود الخارجي و إذا خلق شيئا ثانيا و أمره بالخضوع للأول كان وجوده ناقصا مفضولا بالنسبة إلى ذلك الأول فإن المفروض أن أمره إما نفس التكوين الحق أو ينتهي إلى التكوين فقوله الحق و الواجب في امتثال أمره أن يمتثل لأنه أمره لا لأنه مشتمل على مصلحة أو جهة من جهات الخير و النفع حتى يعزل عن ربوبيته و مولويته و يعود زمام الأمر و التأثير إلى الم صالح و الجهات، و هي التي تنتهي إلى خلقه و جعله كسائر الأشياء من غير فرق.)) . (منشور في الانترنيت في صفحة القرآن الكريم) .

والمتمعن في النص القرآني يجد جملة من الحقائق منها :

أن الله سبحانه وتعالى اوصى آدم وحواء بأن يسكنا الجنة وأن لايقربا الشجرة فيكونا من الظالمين ، غير انهما عصيا أمر الله بغواية من إبليس الذي أزلهما ، فأكلا من الشجرة التي سبق وأن حذرهما الله بان لايأكلها منها ولايقربا منها كأمتحان لهما في الالتزام بوصايا الاله ، وكنتيجة لهذه المخالفة فقد أمتثلا لإمر الله بأن يهبطا إلى الأرض .

وان آدم وحواء نزلا إلى الارض ليكون فيها الانسان خليفة بأمر الله . وبنو آدم في جميع الأحوال مكرمين من الله ومفضلين على كثير من المخلوقات ،سورة الأسراء الآية 70 ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبت وفضلناهم على كثير من المخلوقات ممن خلقنا تفضيلا)) ، وتلقى آدم كلمات من ربه فتاب عليه ، لكن أمر الهبوط من الجنة الى الأرض بقي قائماً فتحقق بالرغم من تحقق التوبة .

وأن الله سبحانه وتعالى أمر إبليس أيضاً بالهبوط الى الأرض ، غير أن إبليس طلب من الله أن يمهله الى يوم يبعثون ، فقال له أنك من المنظرين . (الآية 14 من سورة الأعراف) .

وفي تفسير أبن كثير : { إِنَّك مِنْ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْم الْوَقْت الْمَعْلُوم } وَذَلِكَ إِلَى الْيَوْم الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللَّه عَلَيْهِ فِيهِ الْهَلاك وَالْمَوْت وَالْفَنَاء لِأَنَّهُ لَا شَيْء يَبْقَى فَلَا يَفْنَى , غَيْر رَبّنَا الْحَيّ الَّذِي لا يَمُوت , يَقُول اللَّه تَعَالَى ذِكْره : { كُلّ نَفْس ذَائِقَة الْمَوْت } وَالانْظَار فِي كَلام الْعَرَب : التَّأْخِير , يُقَال مِنْهُ : أَنْظَرْته بِحَقِّي عَلَيْهِ , أُنْظِرُه بِهِ إِنْظَارًا . فَإِنْ قَالَ قَائِل : فَإِنَّ اللَّه قَدْ قَالَ لَهُ إِذْ سَأَلَهُ الأَنْظَار إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ : { إِنَّك مِنْ الْمُنْظَرِينَ } فِي هَذَا الْمَوْضِع , فَقَدْ أَجَابَهُ إِلَى مَا سَأَلَ ؟ قِيلَ لَهُ : لَيْسَ الأَمْر كَذَلِكَ , وَإِنَّمَا كَانَ مُجِيبًا لَهُ إِلَى مَا سَأَلَ لَوْ كَانَ قَالَ لَهُ : إِنَّك مِنْ الْمُنْظَرِينَ إِلَى الْوَقْت الَّذِي سَأَلْت , أَوْ إِلَى يَوْم الْبَعْث , أَوْ إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ , أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلّ عَلَى إِجَابَته إِلَى مَا سَأَلَ مِنْ النَّظِرَة.

وأن الله خلق أبليس من نار وخلق آدم من طين (تراب) ، وأن خلق النار خير من خلق الطين حسب أعتقاد أبليس .

وكما أمر الله الملائكة جميعاً أن يسجدوا لآدم عند اكتمال خلقه ، ونفخ الله به من روحه ، فسجد الجميع الا أبليس (ابى واستكبر) ، ولما سأله الله جل جلاله مامنعك من السجود ، اجاب انا خير منه خلقته من طين وخلقتني من نار ، فغضب عليه الرب وأمره ان يهبط ، فطلب من ربه أن يمهله لأنه سيغوي البشر ويحرفهم عن طريق الهداية وأن الأنسان ظلوم لايستحق تلك المنزلة التي منحها له الرب – حسب أعتقاد أبليس – ، فوافق الله العلي القدير أن يمهله إلى يوم يبعثون ، (قال انظرني إلى يوم يبعثون * قال انك من المنظرين * قال فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولاتجداً أكثرهم شاكرين) ، فهل في ذلك الأمهال تأجيل للحساب والعقاب ؟ وأذا كان الله عزوجل هو الذي يمهل ويؤجل فمن اين جائت أسس اللعن والشتم التي يرفضها الأيزيدية ويتمسك بها المسلمين .

كما أن خطاب الله في سورة البقرة الآية 34 موجهاً للملائكة ، فأذا كان من يعتبر إبليس من غير الملائكة ، فأن الخطاب لايشمله وبالتالي لماذا تم إنسحاب العقوبة بعدم السجود لآدم ؟ بينما أعتبرت الآية 50 من سورة الكهف أن إبليس من الجن .

كما ان الملائكة ارفع شأنا من البشر مرتبة عند الله وهم من المخلوقات الروحية التي خلقها الله سبحانه وتعالى من النور ، والتي لاتسجد الا لله . وأذا كان آدم وزوجه في الجنة قبل ان يقربا الشجرة التي نهاهم عنها الله ، فهل أن إبليس وهو من الجن كان أيضاً في الجنة حين عمل غوايته لآدم ؟

وفي تفسير أبن كثير للآية المذكورة يورد :

((قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّك مِنْ الْمُنْظَرِينَ " أَجَابَهُ تَعَالَى إِلَى مَا سَأَلَ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الْحِكْمَة وَالأَرَادَة وَالْمَشِيئَة الَّتِي لا تُخَالَف وَلا تُمَانَع وَلا مُعَقِّب لِحُكْمِهِ" وَهُوَ سَرِيع الْحِسَاب .))

وفي الوقت الذي أطلق أسم ابليس على الملاك طاووس الملائكة ، فأن التفسير اعلاه يخرجه عن صف الملائكة ، مع ان النص القرآني يشير إلى مخاطبة الخالق لجميع الملائكة بما فيهم (إبليس) ، الذي يسميه بعض (إنكار) أو (عنكار) و(عزازيل) و (بيرافات) كما ورد في الميثولوجيا الأيزيدية (ورئيس الملائكة)، (ونور الله أو اله الشمس) ، ويضيف الكاتب سعيد الديوه جي أسم (الحارث) في كتابه عنهم ، و (تموز) أيضاً .

ويذكر الباحث الدكتور خليل جندي أن قسما من الباحثين أكدوا بأن اسم طاؤوس ماهو الا تحوير من كلمة تموز (Tamuz) الرب البابلي المشهور ، ويعتبر الايزيدية اول من عرفوا حقيقة

الوحدانية إلى جانب ايمانهم بآلهة الظواهر الطبيعية الاخرى ، كما ترد احيانا للأشارة إلى كلمة (الشيطان) التي ينفر منها الأيزيدية ، بالنظر لأشارتها الصريحة لمصدر عمل الشر والإغواء والمعصية ، وهو مايتناقض مع مفهوم مهمة الملاك وفكرة الخير التي هي صفة من صفات الله ، ويطلق الأيزيدية بشكل عام على شخصية الملاك المذكور اسم (طاووس ملك) أو طاووس الملائكة كما ورد آنفاً . (19)

ويتضح أن الملاك تعرض إلى أمتحان من خلال أمر الله سبحانه وتعالى ان يسجد لآدم ، هذه التجربة يجهلها الملاك عزازيل ، وليس في ذهنه سوى الأمر السابق بأن لايسجد لسواه ، وبغض النظر عن النتائج فأن المقبول والمعقول أن الله عز وجل يملك كل شيء وهو على كل سيء قدير ، ولو اراد ان يجعل الجميع خاضعين وساجدين لآدم لأمر أمره الرباني ، وخضع الجميع لمشيئته دون نقاش ، الا أن الأمر هنا يختلف تماما .

أن التجربة التي خضع لها الملاك عزازيل لاشك لاتخلو من صعوبة ، وكان عليه وفق فهمه للأمر الرباني السابق ، بين أن يتوه في عدم الطاعة والسجود لغير الله ، او أظهار التمسك وفق اعتقاده بالنجاح في الأختبار ، وهو ما يقوله الأيزيديون ، حيث يقولون ان الملاك اجتاز تلك التجربة بنجاح .

وبالنظر للتواتر والتكرار الذي وردت فيه قصص عن الملاك عزازيل في الكتب المقدسة وضمن الديانات البشرية المختلفة ، فأن وجوده حقيقي ومقدس لايأت من باب الخيال الديني أو التصور الرمزي لمفاهيم متعاكسة ، ولهذا فأن الخيال الدجيني لم يستطع أن يجد تبريرا أو تحليلا لما قام به ، تمسكا من القيمين على الدين وهم من البشر ، بما وجدوا عليه آبائهم ومن سبقهم من الأسلاف على هذا الدين .

غير إننا لايمكن أن نعتقد إن الله سبحانه وتعالى يريد توريط أحد أقرب ملائكته في امتحان خاسر سلفا ، كما ننفي أن يكون الله سبحانه وتعالى قد نسي انه أمر الملائكة ، أن لايسجدوا الا لسواه ، لأن الله عز وجل لاينسى ولايريد تحميل الملائكة أخطاء وخطايا دون سبب وتبرير ، وأن التبرير الذي اوردته الديانة اليزيدية ، تبريرا مقبولا ومعقولا .

كما أن الله سبحانه وتعالى لايحتاج لأحد الملائكة ليكتشف الشرور في قلوب وضمائر البشر ، فهو الذي منحهم الحياة ، وهو ايضا من يستطيع أن ينهي هذه الحياة حتى دون سبب ، وأن تحميل الشر الصادر من الإنسان الى الغير لامبرر له ، حيث إن الله حين يبث الروح في جسد الإنسان يلهم النفس البشرية الفجور والتقوى ، الخير والشر ، وما على الإنسان سوى الأختيار والالتزام في التصرفات والأعمال الدائرة ضمن دائرة الخير ، والأبتعاد عن محور الشر ، وتلك القيم والتعاليم ما أوردته جميع الأديان البشرية ، ومنها الأيزيدية التي أكدت على ذلك .

ودأب العديد من المؤرخين الى أدخال هذا الملاك في الكثير من أعمال البشر ، وعدوا الحركات السياسية والدينية المخالفة أو المنحرفة عن ديانتهم نوعا من الغواية والأفعال التي يدفعهم اليها ، وكأنهم بلا قرار ولاعقل ولافهم في ما يقومون به وما يتحملونه من نتائج الأفعال والأعمال ، بالأضافة الى امتلاكه لكل تلك القدرات الخارقة التي تسيطر على العقل البشري ، في نتيجة يراد بها التخفيف من عبء الأثم البشري والأفعال التي وصفها الله بالفجور التي الهم بها النفس البشرية .

بالأضافة الى الغمز من تلك الحركات الفلسفية التي ارادت النظر الى القصة وموضوع أبليس من زاوية أخرى ، فتكاتف التكفير والتطرف ليحث الخليفة بأعتباره الأمير الديني والسياسي للأمة على قطع دابر تلك الأفكار ، وما الحلاج الا أنموذجا واحدا من تلك العقول التي ارادت مجرد التفكر في الحال من زاوية غير الزاوية التي يراد تحجيمها في العقل البشري .

ولم ينج أبليس حتى من الموروث والساطير حيث تم أدخاله في العديد من تلك الميثولوجيا ، ونسجت بحقه العديد من القصص ، بالأضافة الى الخيال الذي طالما التقى به وشاهده وعانده وحاربه في مرات عدة ، غير أن السائد بقي مطبقا لايمكن لأحد أن يناقش تلك الفكرة وما ينتج عنها من نتائج ، ويمكن أن تشكل مجازفة .

وجاء في كتاب تلبيس أبليس للأمام عز الدين المقدسي :

((وأنت الذي خلقك الله بيد قدرته، وأطلعك على بدائع صنعته، ودعاك إلى حضرة قربته، وألبسك خلع توحيده، وتوّجك بتاج تقديسه وتحميده، وجعلك تجول في مجال ملائكته، يقتبسون من نورك، ويستأنسون بحضورك، ويهتدون بعلمك، ويقتدون بعملك، فما برحت في الملأ الأعلى، تشرب بالكأس الأملى، وتتلذذ بالخطاب الأحلى، طالما كنت للملائكة معلماً وعلى الكروبيين مقدماً .)) (20)

ومن المتعارف عليه خشية الأيزيدي من اطلاق كلمة الشيطان على صفة الملاك عزازيل أو طاووس ملك ، وعدم تقبله ان يطلق غيره تلك التسمية أمامه أوبحضوره ، ليس بسبب أنه يعتقد بالربط بين هذه الكلمة والملاك المقدس ، أو بين مهمة الشر وبين الملاك ، وانما حسب رأينا المتواضع من ناحية الفلسفة الدينية ، حيث أن الملاك عزازيل من ضمن الملائكة التي خلقها الله ، بالأضافة إلى ماعرف عن هذا المخلوق من أنه لاتوجد بقعة في الأرض او في السماء ليس له فيها سجده لله تعالى ، وهو بالتالي كبير الملائكة والمقرب إلى الله تعالى ، وهذا الملاك (حسب اعتقاد الديانة الأيزيدية) ، أن الله العلي القدير الذي كان قد أمر الملائكة جميعاً بما فيهم عزازيل أن لايسجدوا الا لله ، أراد أن يمتحنهم في توحيد الله ، وأمرهم بعد إتمام خلق الإنسان أن يسجدوا لآدم ، فسجدوا عدا الملاك عزازيل الذي امتنع ، وتمسك برفضه السجود لغير الله ، وهنا نقطة من نقاط التعارض بين الإسلام والأيزيدية ، فالديانة الأسلامية تذكر وفقاً للنصوص المقدسة انه (أبى وإستكبر)(سورة طه والأعراف والكهف والأسراء والحجر من القرآن الكريم) ، في حين تقول

الأيزيدية أنه نجح في الأختبار الآلهي الذي أراد الله به ان يمتحن الملائكة في سجودهم لغير خالقهم ، كما أن النصوص القرآنية تذكر من أن الله إمهل هذا المخلوق ، ولم يحكم عليه بالسخط والعذاب حتى يوم يبعثون ، بينما يذكر الأيزيدية أن الملاك عزازيل بعد ان نجح في الامتحان ، كافأه الله وجعله رئيسا للملائكة ، وقد أشيع أن الأيزيدية لايلفظون حرف الشين ولاينطقون كل كلمة مقترنة بهذا الحرف أحتراماً للشيطان وتلك فرية تم الصاقها بهم ، والأمر لايعدو الا ضمن رد الفعل الذي كانت المخيلة والمجتمع الأيزيدي يمارسه تجاه الحملات النفسية والدينية التي يلقونها .

طرحت تساؤلات عديدة في شأن الأمر الألهي في قصة خلق آدم وطلب الله عز وجل من الجميع أن يسجدوا ، منها أن الله اذا أراد ان يقول للشيء كن فيكون ، وأن الملائكة أقرب المخلوقات لتنفيذ أوامر الباري ، بأعتبارها مخلوقات علوية لاتتشابه مع البشر ومخلوقة من النور، وبالتالي فهي أقرب إلى الله ، ثم أن رئيس الملائكة المصنوع منهذا النور أو النار لم يرد أن يساوي بين الله الكبير الأزل وبين الانسان المخلوق من الصلصال ، ويقول رأي آخر أن الله لو أراد غير إمتحان رئيس الملائكة لبث الطاعة في أرواح الملائكة وأمرهم ساجدين ،غير أن الرأي القائل بأن عزازيل بعد حواره مع الله وأصراره وثباته على توحيد الله ، فأنه بذلك الأمر نجح في الأختبار ، كما أن مافعله رئيس الملائكة لايعدو الا تنفيذا لأمر الله لأنه كتب عليه أن يكون بهذا الموقف في حضرة الله ، بالأضافة إلى ثبوت أن النار أكثر طهارة من الطين ، وفي هذا الصدد يقول الشاعر الأعمى بشار بن برد :

أبليس أفضل من أبيكم آدم فتبـينوا يامعشر الأخيار

النار معدنه وآدم طيـنة والطين لايسمو سمو النار

الشمس مشرقة والأرض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

وأن كان الأيزيدية تخشى إطلاق الكلمة في الزمان السابق بالنظر لعدم قدرتهم على ولوج الحوارات والمناقشات مع من يريد التنكيل والأساءة اليهم ، ولذلك كان الأيزيدي يواجه تلك الكلمات بالرفض والأفعال المعبرة عن ردة الفعل ، والتي كان العديد من أبناء الأيزيدية يعتبرها اساءة بليغة موجهة لديانته ورموزه ، وبالنظر لعجزه عن الرد بأساليب دينية او فقهية أو علمية أو تربوية يفتقدها مع افتقاده للتعليم ، وما عكست عليه حياة العزلة والتوجس والخوف الدائم من الأنتقام من تصرفات تجاه الاخر ، الا أن جيلاً جديداً متسلحاً بالأضافة إلى المعرفة الثقافية العلمية بالشعور الديني المنفتح ، يتصدى لهذه القضية ويواجهها بثقة وبصبر وبعقلية منفتحة على الآخر ، كما انه متسلح بالأيمان الحقيقي بعقيدته ومعرفة التاريخ وفلسفة الديانات وكذلك بقوة الشخصية ، ويطرح فكرة الديانة الأيزيدية وأسسها ويبحث فلسفة طاؤوس ملك والمقدسات والأعراف في المنتديات

والأجتماعات والندوات بالإضافة إلى الصحف والكتب متسلحا بتلك المعرفة ، ما يجعلهم أكثر قوة وثباتاً وحججاً في المناقشات أو المناظرات التي تجري ، ولايتوانى هذا الجيل من الأستماع إلى جميع وجهات النظر دون أستثناء ودون أن يخشى أطلاق كلمات أو الأستماع لألفاظ كانت لايتم السماح بها في الماضي أو يتم تجاوزها أو تلافي اطلاقها ، بقصد الأقناع والأُقتناع .

يقول الكاتب خدر بير سليمان : (في اول يوم من رأس السنة الجديدة سيبعث الله جل جلاله ملاكاً من الملائكة السبعة إلى الأرض ليدير شؤون هذا الكون في هذا العام ويشرف على سير الأمور).

(وتقول الأيزيدية أن طاووس ملك واحد من ملائكة الله السبعة وهم عزرائيل ، جبرائيل ، ميكائيل ، دردائيل ، شمقائيل ، عزازيل ، وأسرافيل وهم الملائكة السبعة الكبار ، قبل الأولياء ببضعة عصور ، ذهبوا متلهفين لرؤية الملاك الجليل عزازيل واحد من اولئك الملائكة السبعة وهو الذي لم ينس وصية الله سبحانه وتعالى وعندما أمرهم الرب بالسجود لآدم قال عزازيل السجود لك وحدك واجب ياعزيزي ، فكرمه الله آنذاك ونصبه رئيساً للملائكة ، ومنذ ذلك الحين سمي بطاووس ملك) (20)

أن فكرة الخير والشر قديمة قدم الأنسان ، ويمكن ان يكون الشيء ونقيضه تعبير عنهما ، فالنور ضد الظلام ، والحر ضد البرد ، والأسود ضد الأبيض وغيرها العديد من المتناقضات ، ومن الثابت ان هذه المتناقضات كانت مع وجود الأنسان لازمته طيلة حياته ، يعجز أحيانا أمام غواياته أن يردها ويصمد أحيانا أخرى ، يندفع لعمل الخير ويحجم احيانا ، بل ويمتنع بأصرار ، تبرز الفضيلة والرذيلة معا أو تنفصلان ، هذا التلازم موجود في عمق النفس البشرية ، قد تعكس التربية والمجتمع خصائص الفعل والتصرف ، سلبا او ايجابا ، البحث في الخير والشر ياتي من خلال ماكان داخلا في الامور التي تسيطر على الانسان ، أو من خلال الأمور الدائرة التي يسيطر عليها الانسان ، الأولى أن الانسان تقع منه او عليه افعال يرغب القيام بها و يكرهها ،وهي بالنتيجة تجلب له النفع أو الضرر ، وكل عمل من الأعمال التي يحبها وتنتج له النفع يسميها الخير ، وبالعكس فأن كل فعل يقدم عليه ولايحبه وينتج له وللاخرين ضررا يسميه الشر ، ووفق مفهوم القضاء والقدر يري بان الافعال التي تقع على الانسان او تصدر عنه في الدائرة التي تسيطر عليه ، إنما هي من الله باعتبار الثواب والعقاب ، و ليست من الانسان ، فإنه لا يعرف الخير من الشر فيها ، فقد يطلق على فعل ما وصف الخير ، وفي حقيقته شر ، و العكس صحيح . إذ هي آتية من الله باعتبار الثواب و العقاب ، فليس للانسان ان يطلق عليها وصفي الخير والشر . وبالتالي فالخير والشر في الدائرة التي تسيطر على الانسان هما من الله ، ولا يدركهما العقل . غير ان جميع الديانات تحدثت عن الجانب المضيء المشرق في حياة الأنسان ، وحددت المحرمات وأبرزت له الحلال ، ومنعته من ارتكاب افعال

الشر ، غير ان مايؤديه الضمير هو ما ينعكس من أفعال كمقياس لمعرفة أي من هذه المتناقضات من يتغلب على الاخر ، فصفات الملائكة سامية غير ملوثة ، ويولد الأنسان طاهرا غير ملوثا ، ولكنه يلوث ذاته من خلال عوامل عديدة ، ولايمكن ان يخلق الله العلي العظيم الجبار الرحيم العفو بشرا ممتلئين بالخطايا والاثام وغيرهم من الأخيار ، ومن السهل جدا أن نرمي خطايانا على شماعات ، ونخلق التبرير لنقتنع به ونقنع الآخرين ، ولكن من الصعب جدا ان نجد الحقيقة ، وقد بحث العديد من الكتاب في هذا الجانب .

فقد اخذت بها جميع الاديان القديمة ، اذ ترتب على كل فعل خاطيء جزاء مادي ، كما تم فرز الأفعال الخاطئة غير العمدية ، والجزاء المفروض ربما يكون على شكل امراض وعاهات يعتقدون بأن الاله عاقب بها الانسان ، وأن الخطايا هي من فعل الأنسان ويعتقد القدماء أن الأعمال الشريرة متناقضة مع أرادات الالهة ، وأن كل فعل شرير هو خطيئة ليس بحق الناس وانما بحق الأله ايضاً .

ومع ان الايزيدية أخذت بفكرة الخير والشر ضمن أعمال البشر الا ان تقنينات مكتوبة لقوانين وشرائع جزائية لم تتوفر ، ولم تصل الى أعين المؤرخين والمتابعين ، وبقيت هذه الاعمال التي تدور بين الخير والشر ضمن الفلسفة العامة التي تؤمن بها الديانة الايزيدية ، من أن الخير من عند الله ، اما الشر فهو من حيثيات النفس البشرية التي تخرق ناموس الحياة وترتكب المعاصي ليعاقبها الله ، مع ان مرتكب المعصية يمكن ان تتم معاقبته مادياً ، ومن الممكن ان يفلت من العقاب في الدنيا لكنه في كل الأحوال لن يفلت من عقاب الله .

وتتوسع الأيزيدية في مسألة العقاب وتخالف بهذا التوسع العديد من الأديان في المنطقة بأعتقادها بالحلول والتناسخ في العقاب ، فالروح المذنبة تنتقل الى جسد وحياة حيوان أو أنسان ليشملها العذاب الالهي بسبب ارتكابها الخطايا وعدم كسف امرها في الدنيا ، مما يعزز قدرة الأنسان الأيزيدي على مراجعة نفسه ومحاسبتها بغية التوبة وتجنب ارتكاب المعصية والتوبة والميل الى فعل الخير والمحبة بين الناس وعدم العودة لأرتكاب أية معصية بالنظر لتأنيب الضمير الذي سيجيش في قراره نفسه .

يقول الكاتب أبو داسن في مقال له منشور في دورية (روز الصادرة عن مركز الايزيدية خارج الوطن في المانيا) : ((يقول العالم الفيلسوف (بوهمه Bohme) أن في الوحدة الألهية عنصران متضادان مختلفان ، وكل شيء في الوجود له ضد ونقيض ، ولما كان الله هو على كل شيء ، لزم أن يكون في طبيعته هذان الجانبان المتناقضان ، ففيه الشر إلى جانب الخير ، ولكن الشر وجد ليكشف كما يكشف الأناء المعتم ضوء الشمس اللامع ، فبغير الشر يستحيل أن يكون هناك في

الوجود حركة أو حياة ، اذا كانت تنطمس معالم الأشياء التي تتميز بعضها من بعض ، وكان يستحيل الكون كله إلى وحدة مشابهة وتيبة ، وهذا التضاد بين عنصري الله قد جعلا منه المجرد والمحسوس في وقت معا ، ولولا الاثنية في طبيعة الله لما خلق هذا العالم المادي الذي نعيش فيه .)) (21)

والأعتقاد السائد بين الأيزيدية أن الشر من عند الأنسان ، ولايمكن بأي حال من الأحوال أن يكون من عند الله ، وفي هذا الأعتقاد لاتختلف الأيزيدية عن غيرها من الأديان ، وكما يعتقد الأيزيدية أن لاعلاقة للطاووس ملك بمفهوم الشر ، حيث أن الأيزيدية لاتعتقد أصلاً بوجود الشيطان كما لاتعتقد مطلقاً بأن يكون الملاك (طاؤوس ملك) مكلفاً بقوى الشر أو أنه مسخوط عليه ، وأن منزلة الطاووس ملك وهو الملاك المقرب إلى الله ورئيس الملائكة انه يتلقى الاوامر من الله لتدبير أمور الكون ، وهو أيضاً رمز للتوحيد والطاعة لنجاحه في الأختبار ، ولايمكن الأعتقاد بأنه رمزاً للشر بأعتباره من ملائكة الله المقربين ، ولايمكن القبول حسب اعتقادهم أن يقوم الله عز وجل بأفعال الشر كنزعة صادرة من الله جل شأنه ، انما هي نزعة تصدر من البشر يستحق عنها العقاب مثلما يستحق الثواب عن فعل الخير الذي أمر به الله ، فالشر هو فعل المخلوق ضد أرادة الخالق بينما يكون الخير تنفيذ أمر المخلوق لأرادة الخالق ، وليس سوى الملاك عزازيل من جسد وحدانية الله قبل أي مخلوق آخر وهو رئيس الملائكة وهو طاؤوس ملك والذي يرمزون اليه بتمثال من البرونز سنبحثه في فصل لاحق .

بينما يجد الباحث جاميس دار ميستيتير في مقدمته لزند آفيستا – القسم الاول – الفنديداد ص47 نقلا عن الدكتور داود الجلبي : انه من الطبيعي ان يقترب المذهب اليهودي الذي نشأ منه فيما بعد المذهب المسيحي ، بشكل كبير من المعتقدات الميثرائية ، ويقص علينا التراث الزرادشتي بأن (اهريمن) قد خلق طيراً جميلاً يسمى بالطاووس ، ليظهر لنا بانه لم يقم بعمل الشر لعدم استطاعته عمل الخير ولكن فعل ذلك من ارادة شريرة .

((جايمس دار ميستيتير مستشرق فرنسي 1849–1894 متخصص بالأيرانيات ، أحتل كرسي الأستاذية في الكولج دي فرانس ، وتخصص في الحقل العلمي باللغة الآيرانية والدراسات الأدبية ، نشر اعماله عن الأبستا والديانة الزرادشتية ، وقام بعمل ترجمة جديدة للأبستا ولزند آبستا ونشرها مع تعليقات تأريخية بثلاث مجلدات))

وضمن هذا المجال فقد وقع العديد من الكتاب في خطأ الأعتقاد أن الأيزيدية يعبدون (صنم) الطاووس ويقدسونه لذاته ، فيذكر السيد الدملوجي في كتابه أنهم لم يعبدوا الطاووس الا بعد ان ذهب بهم الخيال إلى ايجاد شيء يرمزون به عن الشيطان الذي حظر عليهم تسميته بهذا الأسم عندما

أتخذوه آلهاً ، فقد جاء في الفصل الرابع من كتاب الجلوة : ((لاتذكروا أسمي ولاصفاتي لأنكم لستم تعلمون مايفعله الأجانب)) . (22) .

وبالرغم من معرفة السيد الدملوجي في إعتقاد الأيزيدية بالله وتوحيدهم له ، ليس فقط في المرويات الشفاهية التي يتناقلونها أمامه ، بل حتى في نصوص كتبهم الدينية التي أطلع عليها حيث ورد في الفصل الأول من كتاب الجلوة :

((اني خلقتكم اجمعين واحسنت خلق السماوات والارض

كنت ولم يكن احد ، ولم يكن لي شريك ، وكنت واحداً فرداً ، وسوف اكون ولايكون معي احد بلا صاحب فابقى واحداً

لا احتاج إلى احد ، وكلكم تحتاجون اليّ ، اني انا الله العظيم ، اله واحد في السماء والأرض)) .

كما يشهد الأيزيدي بالقول :

شه هدا ديني من ئيك ئهللا

طاووسي مه له ك حه ق حه بيب ئه للا

(وتعني أن أشهد أن الله هو الواحد الأحد

وطاؤوس الملائكة حقاً حبيب الله) .

الا ان السيد الدملوجي تجاوز تلك المعلومة التي لمسها بيديه والتي تؤكد توحيدهم لله دون كل الأشياء .

والأتهام الموجه إلى الأيزيدية في عبادة الطاووس يشابه إلى حد ما إتهام المسيحيين بعبادة الصليب ، وبالرغم من أن السيد صديق الدملوجي يذكر في الصفحة الاولى من بحثه قصة الخليقة في معتقد الايزيدية ، والتي ورد فيها أن الله خلق الكائنات وأوجدها من نوره الأزلي ، والأيزيدية بأعتراف الدملوجي نفسه يعبدون الله فكيف ينسجم الحال مع عبادة الأيزيدية للطاووس الذي يزعم انهم صيروه آلهاً .

ويذكر السيد سعيد الديوه جي ((أنهم في الوقت الحاضر مع اعتقادهم بتعدد الالهة وان طاووس ملك رئيس الالهة ، فانهم يعترفون بأن الله هو الخالق ويشركون معه عبادة طاووس ملك ، وان إليه إدارة العالم كله في الوقت الحاضر)) . (23)

أن الأيزيدية يعتقدون بوجود الملائكة وتعتقد بوجودهم أغلب الديانات مع وجود الخالق الأزل ، ولايلغي هذا الأمر الأقرار بوحدانية الله لديهم ، بل العكس فأنهم يؤكدون على أن الله واحد ، وهو خالق الملائكة الذين توزعت عليهم مهام إدارة الدنيا ، وإن لكل منهم مهمته وواجبه المحدد حسب الأعتقاد الأيزيدي ، بالأضافة الى إقرار الأيزيدية بالأخرة والحساب ، وان الجنة الخالدة نتيجة منطقية لاعمال الخير ، والارواح الشريرة التي يتم تطبيق التناسخ عليها بان تتحول الى مخلوقات اخرى يتم عذابها في الدنيا سيتم عذابها في الاخرة في جهنم ، وأن كل الأرواح تذهب الى (لالش) حين تخرج عن أجسادها وهناك يتم تصنيفها وفق اعمالها وماقدمت في حياتها .

بينما يذكر السيد عبد الرزاق الحسني من أنهم يعبدون الشيطان خشية وخوفاً منه ، وهو زعم كثيراً ماسمعناه من عراقيين وعرب لم يتعرفوا بعد على حقيقة الديانة الأيزيدية ، ولاتقربوا من حقيقتها ، وأعتمدوا في معلوماتهم على مغرضين نقلوا تلك الأفتراءات بقصد ، وهي إشاعة مفتراة ترسخت في الذهنية المتلقية ، لعدم وجود من يتصدى لها بالبينة والأثبات ليدحضها ويفندها ، ومما زاد من انتشار هذا الأفتراء الظروف التي عاشتها الأيزيدية في العراق ، وتأثير الفتاوى الظالمة التي اطلقها بعض من رجال الدين بحقهم ، ويزعم الحسني بان الأيزيدية تركوا عبادة الله إلى عبادة الطاووس ، غير ان الكاتب يتناسى صلاة الأيزيدي واعتقاده (بخودا) وهو الله العلي القدير وتمسكهم بوحدانية الله الخالق الأزل ، ولم يترك الأيزيدي صلاته وعبادته لله مطلقاً مهما كانت الأحداث التي تمر به صعبة ، وحتى حين يتغير الزمان والمكان ، وأن لاعلاقة تساوي بين الله والطاووس مطلقاً في الموروث الديني الأيزيدي ، وأن السيد الحسني مطلع على العديد من الادعية والاقوال الدينية التي يرددها الايزيدية شفاها ، وليس اوضحها الدعاء الذي يردده الأيزيدي على لسان طاؤوس ملك حيث يقول :

((يارب انت مالك الملك الكريم

وانت ملك العرش العظيم

يارب انت ازلي قديم

يارب انت ملك الانس والجان

يارب اسمك فوق الأسماء

لاشبيه لأسمك كم انت عظيم يارب .)) .

ومع هذه المعرفة والعلم بصلواتهم وترديدهم كلمة الله والخالق والأحد والأزل وخالق الكون ومالك العرش العظيم والكبير ، ومع كل هذه التسميات التي يرددها الأيزيدي ، الا أن السيد الحسني كان مصّراً أن يكتب عن تكفيرهم وعبادتهم للشر وللشيطان ، لأعتقاده المسبق بمروقهم من الدين وعبادتهم لرمز الشر ، لأنه كان متلبساً بفكرة تكفيرهم وإرتدادهم ، التي كانت تغطي مساحة العقل العراقي في ذلك الزمن الذي كتب به السيد الحسني معلوماته عنهم ، بناء على وجود ثقافة موجهة ضدهم و ذات مصدر واحد لايقبل النقاش ، ولم يزل بيننا اليوم من يؤمن بتلك العقلية .

كما يتهمهم القس سليمان الصائغ من أنهم يقومون بعبادة الطاووس ملك أتقاء لشره ، وان الله لايفعل بهم شراً لأنه صالح ، فيعبدون الشيطان بأسم الملك العظيم أو ملك القوة المقهور من مبدأ الخير . (24)

ويذكر السيد محمد عبد الحميد الحمد أن الأيزيدية لايحملون الأعتقاد الطوطمي ، فهم أقرب إلى العبادة (الفيتشية) وهي عبادة صنم على صورة حيوان ، وهم يحرمون ذبحه (يقصد الطاووس) وتقديس أسمه ويتقربون اليه بالصلاة ويحملون تمثاله في احتفالاتهم الدينية ، ويعللون تعظيمهم له بآراء مختلفة .

ثم ذكر ان الباحثين اليزيديين يحاولون عن قصد وتصميم ربط هذه الديانة بالديانة الزرادشتية أو الديانــة الاغريقية القديمية ، وأن حججهم واهية لاتصمد لأي نقد فكري او تاريخي (!!) . (25)

وينضم السيد الحمد إلى مجموعة الباحثين الذين خلطوا صورة تقديس طاووس الملائكة ومسألة توحيد الله ، وأن رفع تمثال الطاووس لايعني مطلقاً انهم يشيرون به إلى تجسيد الله جل شأنه ، لأنهم يرون أن الله لاحدود له ولايمكن أن يجسده تمثال صغير ، وأنه خالق الكون وباعث النور وخالق الناس والملائكة أجمعين ، وهم يجسدون رمزية الملاك رئيس الملائكة مثلما تجسد العديد من الديانات الرموز في دياناتها ، كالصليب عند المسيحيين ، والهلال عند المسلمين والراية عند الصابئة المندائية ، ورموز في أديان عديدة لاتدخل في قضية التوحيد والأعتقاد ، ومسألة تحريم أكل الطاؤوس لاينفرد بها الأيزيدية ، فالمسلمين يحرمون العديد من الطيور الجارحة أو ذوات المخالب والطاؤوس منها ولم يزعم أحد انهم كانوا عبدة للطاؤوس .

وهذه نماذج من الأعتقادات على سبيل المثال لاالحصر و التي توزعت حول الأيزيدية ، غير أنها أتفقت على أمورغيرحقيقية في مفهوم العقيدة الأيزيدية ، وتتناقض مع معرفة بعض المحللين والكتاب من أن الأيزيدية يوحدون الله ويعبدونه ، لكنهم في نفس الوقت يعبدون غيره ، والحقيقة انهم لايشركون مع الله احداً .

ياتي الطاووس بمعنى الراية او العلم ، وهو على شكل تمثال من عدة حلقات يقف على رأسه طير يشبه الديك أو أنثى طير الطاووس ، وللأيزيدية سبعة طواويس كل واحدة منها تمثل أحد الملائكة وخاص بمنطقة من مناطق سكنة الأيزيدية ، تتجول هذه السناجق بمعية (القوالين) ثلاث دورات بالسنة (نيسان – أيلول – تشرين الثاني) بين القرى لغرض نشر تعاليم الدين وجمع الصدقات . (27)

ويرمز الايزيدية لطاووس ملك بتمثال مصنوع من البرونز القديم يتكون من الشمعدان (القاعدة) وترتفع خلالها عدة دوائر نحاسية تنتهي بجلوس الطاووس عليها ، وبجانبه مايشبه الكأس يطلقون عليه (كأس الطاووس) .

أن واقع الرمزية في الديانة الأيزيدية لايأتي دون أساس تاريخي وديني قديم ، يذكر الدكتور سامي سعيد الأحمد في كتابه اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم ، وكتابه الأصول الأولى لفكرة الشر ، بأنه يعتقد بأن يزدان في الاعتقاد اليزيدي قد يمثل (زرفان) في الزرادشتية المتأخرة والذي انبعثت منه كل من (آهور أمزدا) و (آهريمان) إلهي النور والظلمة (الخير والشر) ، فزرفان الأله غير المحدد والمطلق قد نتج عنه ربان متسلطان على الكون لهما سلطانهما وعالمهما : آهور امزدا المحدود وغير المطلق ، وآهريمان المماثل لذلك يمثل الأول قوة الخير والثاني يصدر منه الشر وبهذا يعتقد الدكتور الأحمد انه من المحتمل أن يكون آهور امزدا هو طاووس ملك . (28)

ويذكر زكريا القزويني ان طاووس الملائكة هو جبريل الامين عليه السلام ، وهو أمين الوحي ويقال له الروح الامين والناموس الأكبر . (29) ، وكنا قد ذكرنا سابقاً مايخالف ذلك بالدليل العقلي .

وإذ تتميز الايزيدية بتقديسها (طاووس ملك) من بين جميع الديانات العديدة الموجودة في العراق بأعتباره رئيس الملائكة ، الا انها لاتختلف عن أغلب الديانات الشرقية في إعتماد الرمزية ، وإيجاد رموز مادية تجسد وتمثل تلك المقدسات ومن بينها قضية (طاووس ملك) ، كقضية موجودة ضمن الديانات والشرائع عبر التاريخ ، لذا تجد الأيزيدي أذا أراد القسم فأنه يحلف بالله ويقسم بطاووس ملك ، وكما يقسم بالشيخ عادي (عدي بن مسافر) ، غير أن القسم بطاووس ملك أو

بالشيخ عادي أو بالشيوخ والمزارات لايلغي ولاينفي توحيده لله ، وأن قضية الحلف هذه لاتدخل في ثنايا الديانة الأيزيدية أنما هي جزء من الموروث الشعبي التي تتداولها وتحرص عليها المجتمعات الأيزيدية البسيطة ، حالها حال اغلب الديانات ومايتداخل فيها من موروثها الديني الشعبي .

وفي بحث مقدم باللغة الالمانية إلى معهد الشرق الالماني في هامبورك –المنعقد في مدينة تسلي من 10–11 /2003/10 قدمه الباحث الأيزيدي بير ممو عثمان يتناول فيه فكرة طاؤوس ملك نشر في موقع إيلاف الألكتروني بتاريخ 4 اكتوبر 2004 وأعيد نشره في صفحة الكاتب العراقي – المدار يقول فيه :

((أن فكرة طاؤوس ملك (التسمية الأخرى لطاؤوس ملك هي عزازيل) وأستخدم هذا المفهوم حسين الحلاج (858–922م) والذي يعتقد بأن أسم إبليس أشتق منه ، وفسر الحلاج لفظة (عزازيل) صوفياً : فعينه من علو همته ، والزاء لأزدياد الزيادة في زيادته ، والالف أرؤاه في أنيته ، والزاء الثانية لزهدته في رتبته ، والياء حين يأوي إلى علم سابقته ، واللام لمجادلته في لميته .

أن هذا التقرب إلى موضوع أبليس ومجادلته هو موضوع فلسفي أكثر مما هو ديني في جوهره ، كما يمكن أعتباره صراعاً سياسياً يتمثل في تحدي الطبقات الأدنى للطبقات الفوقية ، فهو صراع طبقي في جوهره ، وبعد حلول شيخ عادي بين الأيزيديين أصبح هذا الموضوع الفلسفي منهاجاً دينياً أستطاع بعد فترة من الزمن أن يحل محل ديانة الكرد القديمة ، لكن فكرة عزازيل كانت ولاتزال موضوعاً فلسفيا تحول بسرعة إلى معارضة للخلافة الأسلامية أو للشريعة التي كان يحكم بدستورها الخليفة الأسلامي . أن الطبقة المناهضة كانت تتمثل بالمعارضين الذين يمكن تسميتهم بالطبقة السفلى ، المغلوب عليها وهي تناهض ضد الطبقة الحاكمة .

لقد أعتبر المختصون بالأديان في الغرب بان الديانة ألأيزيدية هي ديانة متقوقعة أو سرية في منبعها لأنها لا تمارس علنا" من قبل أتباعها . وطبقا لمقايس الغرب فأن الديانة ألأيزيدية تعتبر من المذاهب التلفيقية التي لا تملك بعدا لاهوتيا" حسب المفهوم الغربي لكنها تحتاج الى ذلك بشكل عاجل . أن جوهر فلسفة الديانة ألأيزيدية هي فكرة طاؤوس ملك كأله وليس كأبليس كما يتصوره أتباع بعض الديانات ألاخرى. طاؤوس ملك يفهم كفكرة جمالية يستوعبه ويؤمن به ألأيزيديون فقط أو من يؤمن بها.

يعتبر طاؤوس ملك للفرد ألايزيدي كالنار ذو طبيعتين ، فهو مصدر النور والعطاء من جهة لكنه يحرق من يخالف مبادئه. فهو إله الخير والشر في ألآن ذاته، كذلك الفرد ألأيزيدي متكون من عنصرين: الخير والشر في نفس الوقت، هكذا فأن كل ايزيدي يحمل في نفسه شئ من طاؤوس ملك.

ويعتقد الكثير من علماء الدين بأن " ئيزدان" في الديانة ألأيزيدية يمثل "زورفان" في الديانة الزرادشتية ، فمن ألأله زورفان ولد "أهورا مزدا" إله الخير وفي نفس الوقت " أهريمن" إله الشر والظلمات. وأن زورفان خلق إلهين ذوا جبروت غير محدد مستمران في الصراع ضد بعضهما البعض وينتهي الصراع في النهاية لصالح "أهورا مزدا" إله الخير على حساب "أهريمن" إله الشر. وإذا صح ذلك فأن زرادشت خلق إله أهورا مزدا على هيئة طاؤوس ملك وأن أهريمن يمثل "عنكار" أو ألأبليس كما ورد في ألأديان السماوية. هنالك مصادر عديدة تؤكد بأن ألأيزيدية كانت متواجدة كمذهب قبل قدوم الشيخ عادي الى المنطقة وكان اتباعها معروفين في المنطقة بعبدة طاؤوس ملك (إله الشمس) وتغيرت التسمية بعد قدوم الاسلام.

أن أتباع طاؤوس ملك كانوا يمثلون قوة لابأس بها تعيش خارج حكم الدولة الساسانية. ونتيجة لعدم ولائهم لمبادئ الزرادشية فقد أصدر ضدهم فتوى لأبادتهم لكونهم غير مؤمنين حسبما عرف عنهم أنذاك .

هنالك تيارات كثيرة في الاسلام كالمعتزلة والقادرية تعتقد كاليزيدية بأن منبع كلا الضدين الخير والشر هو ذات ألإنسان وليس الله ، كما أن خلق أبليس يعارض فكرة ألإله الجبار العظيم ، القادر على كل شئ. وإذا أفترضنا بأن الله القدير خلق أبليس بذاته فهذا يوميء إلى ألإعتقاد بأن ألأعمال الشريرة نابعة منه بشكل غير مباشر لأن أبليس، كما يعتقد، هو مسوؤل الشر وبما أن الله قد خلقه فيعني ذلك حتى الشر لا يحدث الإ بمشيئته وهذا يشمل اعمال ابليس ايضا. إن فكرة شيخ عادي والتي تم تطويرها من بعد ذلك من قبل أبن أخيه الشيخ حسن (1194 – 1246 م) استطاعت أن تحصل على نجاح لدى ألكرد ألأيزيدية و الغالبية الساحقة من ألكرد المسلمين لأنهم كانوا من المذهب الشافعي الذي له علاقة مباشرة مع الرسول محمد . يعتبر الشيخ حسن مؤلف الكتابين المشهورين الجلوة و مصحف رش كما أن الرأي المتفق عليه أنه هو الذي وضع الحجر ألأساس للدعوة العدوية وكان يعتبر نفسه مقدسا" متعمدا" في ذلك كي يستقطب الغالبية الساحقة من الأيزيدية الى جانبه للتغلب على والي الموصل آنذك بدرالدين لؤلؤ (المتوفي سنة 1258). ان الشيخ حسن كان ينوي أن يؤسس دولة سياسية لكن لم يتحقق له ذلك عندما تغلب عليه بدرالدين لؤلؤ الذي كان على المذهب الشيعي وبعد فترة قصيرة من ذلك قتله .

أن رمز جمال أبليس أو عزازيل وأحيانا" يسمى أسرافيل هو بمثابة شعار للملك طاؤوس بهيئة علم. عندما حاول الشيخ حسن بن عدي بن أبو البركات صخر بن مسافر أن يدشن أفكاره السياسية في إطار دولة دينية قام بوضع تخطيط رمز أو علم لدولته المنوي تكوينها وسمى هذا الرمز "السنجق"

الذي أصبح يفهم منه بأنه رمز طاؤوس ملك لاحقا". وحين كان يبعث رمز طاؤوس ملك الى إحدى القرى ألأيزيدية كان الساعي أو المبشر يخبر أهل القرية بأن السنجق سيقدم عليهم في ألأيام ألقادمة لكنه لم يكن يقول بأن طاؤوس ملك سيحل بينكم. أن عدد السناجق كانت سبعة وهي باقية ألى يومنا هذا عند ألأيزيديين وهي بقايا الثورة التي كانوا ينوون القيام بها. أن هذه السناجق المتواجدة بين ألأيزيدين يفهم منها خطا" بأنها رمز طاؤوس ملك .

أن أللة عند ألأيزيدية هو المسؤول عن القوتين المضادتين ويحوى في ذاته عليهما. أن هذه الثنائية المعروفة ألنور والظلام ، الخير والشر يسكنان جنبا" الى جنب مع البعض وهما في صراع دائم. يعتقد ألأيزيديوون بأن طاؤوس ملك (إله الشمس) هو ألإله ألأكبرالقابع تحت سلطة الله ولا يحدث أي شئ دون مشيئته. أن ألأيزيدية قبل قدوم ألأديان ألسماوية الى المنطقة كانت تؤمن بعدة ألهة كما كان الحال عند السومريين وألأكديين والبابليين وألاشوريين وكانت بعض هذه ألألهة مسؤولة عن الخير وتقديم المساعدة مثل ألإله شماش وآخرين مسؤولين عن الشر والمعاقبة مثل عشتار ، أما عند ألأيزيدين فما عدى ألألهة ألصغيرة المسؤولة عن ألامراض وظواهر الطبيعة كان هنالك طاؤوس ملك الذي يحمل في يده كافة القرارات وألأوامر لألهته التي كانت تحت أمره، فطاؤوس ملك هو الملاك ألأكبر الذي يعطي كافة ألأوامر بما فيها الخير والشر. أن الوحدانية التي تم ألإعتراف بها عند ألأديان السماوية من بعد ذلك كانت متمثلة في ألأله ألأيزيدي طاؤوس ملك .

ولهذا لايوجد في الديانة ألأيزيدية رمز أو تسمية خاصة للشر ولا يوجد إله مختص به كما أن النطق أوتسمية ألشر يناقض مع مفهوم الله الذي هو قادر على كل شئ، أما بالنسبة للإنسان فأن أللة قد أوهبه العقل وعلى عاتقه تقع مسؤولية إرتكاب الخطأ والصواب وهنا يكمن الأختلاف الواضح مع فكرة ألأديان العالمية (السماوية) بالنسبة لهذا الموضوع. إن مفهوم فكرة الشر وتقرب الأيزيدين الى هذا الموضوع أدى بالكثيرين الى ألإعتقاد بأن ألأيزيديين يعبدون الشر. أن مفهوم الشر كما ورد في ألأديان السماوية بألإضافة الى قصة الخليقة التي تداولها ألأيزديون بعد قدوم ألأديان السماوية الى المنطقة وبألأخص بعد حلول شيخ عادي بينهم تطابق فكرة المتصوفة في هذا المضمار حول رفع الحجاز بين الله وألإنسان ، أي فكرة حلول الله في ألإنسان وبالعكس. إن مفهوم الشر كما ورد في الكتب السماوية من التوراة الى ألإنجيل ثم القرآن تختلف عن مفهوم الشر أو ألديوا (أهريمن) المتميز عند الديانة الزرادشية. لكن المفهومين ليس لهما علاقة بألإله ألأيزيدي طاؤوس ملك الذي يمثل إله الشمس وهو إله الثواب والعقاب في نفس الوقت أما كلمة الشر فهي من منتوج ألأديان السماوية كنقيض للخير.

بعد قدوم ألأديان السماوية الى المنطقة اختلق ألأيزيديون لهم قصة مماثلة لقصة الخير والشر

والخليقة لكنها تختلف من حيث الوجهة الفلسفية والوحدانية المتمثلة في الإله القادر على كل شي وبمشيته تجري ألأمور.

وفي إحدى النصوص الدينية ألأيزيدية "به دشا" (ألإله) يتبين مفهوم قصة الخليقة ودور طاؤوس ملك في الكون:

إلهي غفور ، من عنده تأتي القرارات
للأرض وأركانه ألأربعة.
ألهي خلق الكون ، حددها وأتم مفاهيمها
وشاء ان ينعم جنس آدم فيها.
إلهي هو سر السماء ، وهو الليل والنهار والزمان
من عنده تأتي الكرامات.
ألهي هو رب الملائكة، وهو رب ألأسرار الخفية العظيمة
إله ألملائكة العظماء السبعة.

ألهي خلق الكون من الجوهرة والدرة وسلمها الى ألأسرار الأزلية ألسبعة
وجعل طاؤوس ملك يرأسهم.
إلهي هو رب أدم، من عنده تأتي الكرامة
في كل زمان ومكان.

لقد ورد ذكر عزازيل في التوراة ويلقب فيها برئيس الملائكة الذي هبط الى ألأرض ثم لقب بألقاب أخرى متعددة. يرجع علماء الدين أسم أبليس وألقابه ألأخرى الى أصل الكلمة اليونانية (Dia-Bolos) والكلمة Dia ترتبط بكلمة أبليس وتعني نفس المعنى وكذلك مرتبطة من حيث المعنى بالكلمة Divine أي المقدس وفي كثير من قصص ألأديان السماوية يوصف أبليس بأنه كان أجمل الكل وأعظمهم وله صفات مشتركة مع الله لأنه أقرب ألملائكة الى الله ومن صفاته أيضا" بأنه نور الله أي نور خلق من نور كضوء شمعة من مثيلها كما أن أتباعه الصوفيين وصفوه بانه يعكس الضوء ألإلهي كالمرآة فلقبوه لذلك ب (لوسيفر Lucifer) أي حامل ألضياء. أن حامل الضياء هذا هو نفسه عزازيل وأحيانا" ملاك الموت جبريل.

وبشكل عام فأن المجادلة اللاهوتية بين الله وأبليس هو الصراع بين قوتي الخير والشر والتي شغلت بال الإنسانية منذ تواجدهم على وجه ألأرض. أن هذا الصراع يكمن في الطبيعة حول البقاء للأفضل كما أنه ورد أيضا" في القصص الدينية القديمة عند المصريين وسكان بلاد مابين النهرين ولدى الصينيين و الهنود الحمر.

ويعتقد بعض علماء الدين بأن التقرب الصوفي لموضوع عزازيل أو طاؤوس ملك كما سمي لاحقا"، هو موضوع فلسفي ولاهوتي في طبيعته. يشير الى طاؤوس ملك بأنه رئيس الملائكة السبعة وهو الوحيد الذي يملك الجبروت المطلق على وجه الأرض .

أن أسم عزازيل هو عربي ويعني "الحارث" ، يعتبر عزازيل من اجمل الملائكة وأشدهم قوة وأكثرهم علما" ومن الناحية الجمالية يمكن إعتباره ظاهرة السمو، أن الله قد منحه الحرية المطلقة بما يعمل على وجه ألأرض. وتعتبر الصوفية بأن أبليس ليس نقيض الله بل هو الوحيد الذي يعرف قيمته ويقدره وأيضا" الوحيد الذي يطبق أحكامه وأوامره على طريق التوحيد وهو سيد الموحدين. لقد رفض السجود لأدم كي لايناقض إرادة الله تعالى. كان حسين الحلاج يصرخ في الناس بأن أبليس أي عزازيل هو سيد الموحدين ، وهو الموحد ألأول على ألأرض وفي السماوات. ففي السماوات نادى الملائكة وألفت نظرهم الى عظمة الله ومعرفته وعلى ألأرض نبه الإنسان باليقضة والتعرف على ألظلام والشر لأنه لولا ذلك لصعب عليه معرفة النور والخير. ويذكر أن أبو الفتوح أحمد بن محمد ألغزالي (المتوفي سنة 1126) وعظ في بغداد وقال بأن أبليس هو سيد الموحدين ونادى على المنبر : من لم يتعلم من أبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير سيده فأبى .

أن جميع المتصوفين كان يرفضون لعن أبليس أو تسميته بملاك الشر ، وكما أنهم كانوا يرفضون تسميته بنقيض الله أو انه خالف أوامره . كان المتصوفة يعتقدون بوجود ديك في السماوات هو ديك العرش، وهو الذي يصيح خمس مرات للصلوات الخمسة وأن المتصوفيين وحدهم يسمعون صياح هذا الديك ويصلون. ولقد سمت الصوفية هذا الديك طاؤوس جميع الملائكة. إن هذه ألآفكار الصوفية انتشرت بين ألأيزديين في حوالي القرن الثاني عشر.

لكن الديانة الايزيدية تختلف عن الديانات السماوية بنقطتين مهمتين في هذا المضمار، أولهما بأن اله ديانة الكرد القديمة ، وهنا نقصد الايزيدية اله غير شخصي وغير معروف، فالله هو كل شئ

وكل شيْ يحتوي على جزء من الله ، وكذلك الإنسان فروحه جزء من الكل أي من الذات الإلهية وهنا تنطبق مبادئ النظرية الرواقية Stoicism والتي هي جزء من الفلسفة الهلينستية التي تتضمن الأفكار التوحيدية، فمستقبل الروح حسب الديانة الايزيدية يرسم وراء ما يجري في الطبيعة ولكل ذات وحدته ولكل شي مكانه الضروري من أعضاء الجسد البشري إلى وحدات عناصر الطبيعة، والإنسان ينظر إلى نفسه ومستقبل روحه في إطار الكل. أما حريته في تحديد مستقبل روحه والعمل على تطهيرها كي ترجع إلى الكل بأسرع وقت ممكن تكمن في التمييز بين قدرته وتلك القدرة الكلية، فإرادة الفرد الايزيدي تقع ضمن إمكانياته في استخدام عقله للتحكم بين عواطفه وعقله.

وكل هذا تركز في مبدأ التصوف الذي أتى به الشيخ عادي إلى اتباع ديانة الكرد القديمة ألا وهو تحرير النفس من الأهواء التي تبعدها عن إرجاع الجزء الإلهي إلى منبعه (طاؤوس ملك) كمصدر رئيسي للإله الواحد. أما اله الديانات السماوية حسب الإنجيل والقران فهو شخصي وانه يقف منفصلا عن مخلوقاته فهو في واد وكافة المخلوقات الأخرى في واد آخر وهنالك فقط وسيط ألا وهو يسوع المسيح:

"قال له توما يا سيد لسنا نعلم أين نذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق. قال له يسوع المسيح: أنا هو الطريق والحق والحيوة، ليس احد يأتي إلى الأب إلا بي ولو كنتم عرفتموني لعرفتم أبى أيضا. ومن ألآن تعرفوه وقد رأيتموه. قال له فيلبس ياسيد أرنا الأب وكفانا. قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يافيلبس. الذي رآني فقد رآى ألأب فكيف تقول أنت أرنا الأب. ألست تؤمن أني أنا في ألأب وألأب في. ألكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب ألحال في هو يعمل ألأعمال. صدقوني أني في ألأب وألأب في... إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وأليه نأتي وعنده نضع منزلا". ألذي لايحبني لا يحفظ كلامي والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني." (إنجيل يوحنا: الإصحاح 14: 25/4) وكذلك الرسول محمد له نفس الدور في الديانة الإسلامية ، وهم يتوسطون بين الله سبحانه وتعالى وبين البشر (مخلوقاته).

أما النقطة الرئيسية الثانية التي تفرق ديانة الأكراد القديمة عن الديانات السماوية هي فكرة تناسخ الأرواح ورجوع الروح تكرارا إلى الجسد حتى يتم تنقيتها ومن ثم تعود إلى الكل. ففي الديانات السماوية يأتي الإنسان مرة واحدة إلى الحياة ، وعندما يموت يحاسب يوم القيامة أمام الله، وروحه ليست جزءا من الذات الإلهية بل مجرد نفحة إلهية في جسد يبعث للاختبار.

يعتبر الكثير من الباحثين بأن فكرة أبليس هي صوفية المنبع . ويعتقد بعض علماء الدين بأن ألأيزيدية بدأت تنحرف من المبادئ الجديدة بعد موت شيخ عادي، إذ كانوا يعتبرونه من المتصوفيين المتطرفين، أما فكرة شيخ عادي حول قصة أبليس والصراع الميثولوجي الذي ذكر في ألأديان

السماوية فهي متأثرة بأفكار حسين الحلاج حول هذا الموضوع ، وبدأ اليزيديون في فترة شيخ عادي ومابعده بحوالي مائة سنة يعتقدون بأن الله سبحانه تعالى كان ينوي أن يمتحن عزازيل ، وبعدما رفض عزازيل السجود لأدم كافأه الله وجعله رئيسا" للملائكة ، بعدما أدرك بأن عمله يجسد فكرة التوحيد، ولذا أعتبرت ألأيزيدية في هذه الفترة بأن عزازيل هو سيد الموحدين وأول من أدرك وحدانية الله. ومن بعد ذلك ظهرت فكرة أخرى عن اليزيديين بأنهم يعبدون إله الشر أبليس لأنه مصدر الشر والمصائب ، وإذا ما عبده ألإنسان ولم يشتمه فأنه سيصان من شروره ، وهكذا ليس هنالك سبب لعبادة الله إذا ما إستطاع أن يتقي شر إبليس بالسجود له. لقد أعتبر بعض فلاسفة الدين بأن الفكرة هذه مقنعة لأن ألإنسان لايخاف من مصدر الخير ألأ وهو الله بل عليه أن يتقي مصدر الشر بالطاعة والسجود له وعدم تحدي أوامره.[لقد أتفق أغلبية علماء الدين بأن أبليس وعزازيل هما نفسهما ، كما أن عزازيل هو طاؤوس ملك ومن خلال فكرة تناسخ ألأرواح دخلت روحه ئيزيد ومن ثم شيخ عادي على وجه ألأرض، وفي النص الديني الأيزيدي " شيخ عادي شيخي شارا" نسمع:

" شيخ عادي وطاؤوس ملك وسلطان ئيزيد هم ذات واحدة
لا تفرقوأ بينهم
هم الذين يحققون ألآمال"

أن طاؤوس ملك يمثل عند ألأيزيديين في أساسه فكرة الله تعالى (اله الشمس في منبعه) نفسه ولكن بعد قدوم شيخ عادي وأفكاره الجديدة نشأت عند ألأيزيديين الفكرة الجديدة حول الله تعالى وممثله طاؤوس ملك. إن الفكرة الفلسفية حول ألإتهامات الموجهه الى أبليس تعتمد على النقاط الثلاثة ألتالية:

1. إستبداده بألرائ على موضوع أوامر الله.
2. حريته ألأختيار في أوامر الله (عدم تطبيق ألأوامر كما جاءت اليه).
3. إستكباره الغير مقنع بالنار أو الضوء (المادة التي صنع منها) مقابل الصلصال الذي صنع منه قالب آدم.

أما طاؤوس ملك أو أبليس كما تسميه ألأديان السماوية، فيستند تصرفه ألى المعتقد بأنه لايحدث أي شئ في الكون بدون مشيئة الله ويؤكد بأن الباري ربه ورب الخلق أجمعين وهو قادر على كل شيئ فأن أراد شيا" قال : كن فيكن:
وعليه يستند تصرفه مقابل مشيئة الله الى ألنقاط التالية:

1. إن الله كان على علم قبل أن يخلق أي شئ في ألأرض والسماوات بأن أبليس سيعارض أمره

فلماذا خلقه؟

2. إن الله خلق أبليس على مشيئته فلماذا كلف الله أبليس بإطاعته فقط ولايسجد لغيره وكان يعلم مقدما" بأن أبليس لا ينسى هذا الشئ فلماذا هذا ألإمتحان العسير؟

3. إن أبليس طبق أوامر الله في إطاعته والسجود له فقط فما كان مقصده بالسجود لأدم بالرغم من معرفته الخاصة بأن أبليس سيرفض ذلك مقدما"؟

4. إن إبليس كان ذكيا" ولم ينس كلام الله فما معنى اللعنة عليه وطرده من الجنة بالرغم من إلتزامه بالوحدانية أي انه لايسجد إلأ لله فقط؟

5. بعد أن غضب الله من إبليس طرده من الجنة فلماذا أدخله ثانية كي يغري آدم بأكل الثمرة من الشجرة الممنوعة ،وهكذا أخرج آدم من الجنة مع إبليس ، وإن لم يدخل الله إبليس الجنة بعد طرده لما طرد آدم وحواء من الجنة وكانوا سيبقون فيها خالدين؟

6. ما ذنب البشرية من شر إبليس إذا سلط عليهم الله هذا ألأذى غير المرئي، فلماذا لايزيله الله حتى ترتاح البشرية من شره والله قادر على كل شئ. فهو يخرجه من الجنة مرة ويدخله من باب آخر ثانية ثم يسلطه على بني آدم، وماذا يعني الله بأستمهاله لأبليس الى يوم الآخرة؟

فلو كان الله قد أزال هذا الشر من البداية لأرتاحت البشرية وأزال الشر من الكون وكان قد عم ألأرض خيرا" فقط بدلا" من إمتزاجه بالشر ألأبدي، ولكن الله ينبه البشر فقط من هذا الشر بالرغم من قدرته على إزالة هذا الشر الخطر كما في سورة البقرة (ألآية 161).

لكن الظاهر من الكتب المقدسة حول موضوع إبليس بأن موقفه كان سليما" لأنه تصرف بمشيئة الله وهكذا كان موقف المتصوفة منه من أمثال: جنيد البغدادي وحسين الحلاج وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي وعدي بن مسافر...غيرهم.

يعتبر شيخ عادي من مؤسسي الدعوة العدوية ولقد سمي أتباعة بالمريدين، وبعد إنتشار الإسلام في المنطقة أمتزجت ألأفكار الصوفية وألأديان السماوية بألإعتقاد ألأيزيدي القديم وألذي كان معتقدوه منتشرين في كافة أنحاء كردستان. يعتقد ألكثير من الباحثين بأنه حتى فكرة تناسخ الارواح أخذها ألأيزيديون عن طريق الدعوة العدوية. أما الشيخ عادي نفسه فقد كان يؤمن بأن الله لايمكن أن يخلق قوة تساويه في المقدار وتعاكسه في ألإتجاه. ففي كتابه: إعتقاد أهل السنة والجماعة، يقول شيخ عادي بأن الله مصدر كل شيء وأن الضلالة والهدى من إرادة الله ويستند بذلك الى قول الله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا" حرجا" (سورة ألأنعام ، آية 125). وفي موضوع " رب يسر ولاتعسر" تحت الرقم (5) : دليل ثاني يقول: " لما روي عن النبي (ص) أنه قال: " سيكون من أمتي قوم يكفرون بالله وهم لايشعرون" قيل: يارسول الله كيف

يقولون؟ قال: "يقولون الخير من الله والشر من إبليس ومن أنفسنا ثم يقرؤون على ذلك القرآن، فيكفرون بالله والقرآن". وتحت الرقم (6) دليل ثالث: أن الشر لو كان بغير إرادة الله لكان عاجزا" والعاجز لايكون إالها". لأنه لايجوز أن يكون في داره ما لا يريد، كما لا يجوز أن يكون في داره ما لا يعلم. وتحت الرقم (7) دليل رابع: ما روي عن النبي (ص) أنه قال: "لو أراد الله أن لا يعصي ما خلق إبليس" ولأنهم فتكوا في الكفر فجعلوا إرادة إبليس وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى، فقالوا: أراد إبليس المعصية فوجدت وأراد الله أن لا تكون فكانت، فجعلوا إبليس وأنفسهم أقوى من الله تعالى.

أما عن موضوع ألحية وأرتباطها بأبليس والطير طاؤوس ففي العقائد القديمة هنالك إرتباط وثيق بين إبليس وطير الطاؤوس والحية فتذكره قصص ألأديان كما في المسيحية وإعتبرت الحية معبودا" أبليسيا" وفي ألأصحاح يسمى إبليس بالحية القديمة الذي يضلل العالم. وهنالك حديث منسوب للإمام علي يقول: "قلت : يارسول الله ـ فتلقى آدم من ربه كلمات ـ فما هي الكلمات؟ قال: ياعلي إن الله أهبط آدم بالهند، وأهبط حواء بجدة، والحية بأصبهان، وإبليس بميسان ولم يكن شيئ في الجنة أحسن من الحية والطاؤوس، وكان للحية قوائم كقوائم البعير فدخل إبليس في جوفها فغر آدم وخدعه ، فغضب الله على الحية وألقي عنها قوائمها وقال: جعلت رزقك التراب وجعلتك تمشين على بطنك، لارحم الله من رحمك."

كل ذلك يدل بأن الميثولوجيا القديمة خلقت إرتباطا" بين رئيس الملائكة عزازيل وطير الطاؤوس والحية إذ يوصفون من قبل علماء الدين بأنهم المتأمرون الثلاثة، خاصة عندما أراد إبليس أن يدخل الجنة لأغراء حواء وآدم فذهب الى الطاؤوس وكان سيد طيور الجنة ليتحايل عليه كي يدخله الجنة فدله على الحية لأنها أقدر على ذلك وكانت صديقة لأبليس فأدخلته في فمها بدون علم الخزنة الى الجنة وأغرت حواء بأكل الثمرة الممنوعة.

لكن كل هذه القصة وتفاصيلها لم تكن معروفة عند ألأيزيدين قبل قدوم ألأديان السماوية الى المنطقة وأقبلت لديهم واصبحت معروفة عندهم عن طريق المتصوفة الإسلاميين في حوالي سنة 1120م وما بعدها.

إن مابقي عند ألأيزيديين من التراث الديني يتمثل بألأقوال الدينية الشفوية ذا مغزى فلسفي حول ألإله (طاؤوس ملك) ومستقبل الروح. إن مايتداوله ألأيزيديين من تراث ديني شفوي يبدأ غالبيته بعد قدوم شيخ عادي الى المنطقة حوالي (1120م) مستثنيا" من ذلك ألأعياد ألقديمة التي يرجع تاريخها بحوالي 1000 الى 2000 سنة قبل الميلاد وهذا هو تاريخ فلسفة الديانة ألأيزيدية من

الناحية التاريخية أيضا". أن ما بقي متداولا" عند ألأيزيديين من أفكار فلسفية تتعلق بالله ومصير الروح هو إمتداد تطوري ونسيج من التاريخ قبل مجيئ ألإسلام الى المنطقة وبعده. ولذا لايمكن إعتبار قبول ألأفكار الصوفية والفلسفية الجديدة التي ظهرت في المنطقة بعد ظهور ألإسلام بأنها حدث منفصل عن مجرى حياة الكرد ، فهذه ألأفكار التي باركها الايزديون لم تكن إسلامية صرفة بل قريبة عن مجمل تفكيرهم السابق حول طبيعة البشر وتقربه الى آلههم ألأكبر طاؤوس ملك وألآلهة ألأخرى (خودان) التي كانت تابعة سلطتها الى ألآله ألأكبر طاؤوس ملك.
إن الصوفية كانت تنادي بالزهد والقناعة وترتكز على مبادئ الفرد ذاته. إن الفرد كان نقطة أهتمام المتصوفة كما أن علاقته بإلالهة كانت علاقة مباشرة حسب إعتقاد المتصوفة، كل هذا كان يتطابق مع مبادئ الديانة الكردية القديمة وبألأخص ألأيزيدية. إن مركز ثقل ألأفكار الجديدة ألتي قدمت الى المنطقة حينذاك كانت مرتكزة على أشكال متعددة من المعرفة عن إله ألأديان السماوية الجديد، بما في ذلك من علاقة هذا ألإنسان الضعيف بألإله الجبار ، إضافة الى التعاليم الجديدة عن معرفة الطبيعة ومركز ألإنسان ودوره ومسؤلياته في هذا الكون.

إن الفكرة ألأساسية للتعاليم الجديدة التي قدمت المنطقة والتي كانت ترتكز عليها ألأديان السماوية هي فكرة التوحيد كعقيدة إيمانية وكإطار إجتماعي . أما بالنسبة للأيزيدية فتمثلت بإله واحد ((إله ألأديان السماوية)) كبديل عن عبادة عدة آلهة مبتدأ باله الشمس (طاؤوس الملائكة) ومنتهيا بالألهة المختصة لكل مرض ولكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة. إن هذه الفكرة الجديدة قلصت دور الفرد وعززت في نفس الوقت دور وسلطة الرئيس الديني ، خلافا لما كان عليه سابقا في المنطقة. فبعد قدوم ألإسلام الى المنطقة التي كانت تقطنها أتباع ألديانات الكردية القديمة ، إختلفت طريقة تفكير وتحليل أتباع هذه الديانة للكون والخليقة رأسا على عقب . فقد إتخذ طريقة تفكيرهم طابعا يميز الظروف التاريخية لتلك المنطقة، فبعد قدوم ألإسلام وفلسفة التصوف عن طريق شيخ عادي، إنشغل أتباع هذه الديانة الذين لم يدخلوا ألإسلام علنا بهذه المفاهيم والتقربات الجديدة لله والكون والروح. لقد أفرزت طبقة من الشعراء المتصوفة مبدعي ألأناشيد الدينية ألأيزيدية والمتعلمين الذين قدموا الى المنطقة بصحبة الشيخ عادي ، فرضت نفسها على البقية الباقية من أتباع ديانة ألكرد القديمة التي كانت تساير الظروف التاريخية للمنطقة حين ذاك ، ولا تعارض المبادئ ألأساسية للخلافة في حينها ، بغض النظر عن التعاطف السري مع الاسلاف . إن جمهرة هؤلاء الكتاب والمفكرين المتصوفين الذين قدموا مع الشيخ عادي ومن بعده بحدود 100 سنة لم يكنوا جميعهم من أصل كردي أو من أهالي المنطقة بل إستوطنوا هناك وأصبح لهم مريدون موالون، تتبعوا سيرهم وتعاليمهم ، ومهما يكن من أمر ألأيزيديين ألأوائل قبل ظهور وإنتشار ألإسلام في المنطقة فأنهم لم يكونوا ساذجين من الناحية الفكرية (نقصد عبادة آلهتهم ، أله الشمس) ودفن الموتى ومايرافقها من

مصير الروح ومصدر الخير والشر. إن رووٴساء الطائفة الدينية للأيزيديين تقبلوا أفكار الشيخ عادي وأتباعه ، لأنها كانت قريبة من فلسفتهم الدينية القديمة ، وكذلك لأن ألأفكار الجديدة لم تمنعهم بالإستمرار في تقديس ومزاولة عاداتهم الدينية القديمة بما فيها ألأعياد والمراسيم. أن بعض المحاولات التي جرت بعد شيخ عادي من قبل أولاد أخيه وأتباع العائلة حول وضع حد فاصل لتاريخ ألأيزيدية مبتدأ بقدوم شيخ عادي ، ودفن ما قبل ذلك من التراث الديني ، كانت محاولة لم يكتب لها النجاح لحسن حظ أتباع هذه الديانة ، وإلا لأندثر ما يمكن أن يفتخر به الى ألآن.

إن عبادة الشمس لم تنتقل الى ألأيزيدية عن طريق العبادات البابلية بل أنتقلت اليها من العبادات ألأيرانية (ألمثرائية) وذلك لأن ألأخمينيين بعد أن أحتلوا بلاد بابل أخذت الديانات ألأيرانية تؤثر في الديانات البابلية. أما بعد قيام الدولة الساسانية فقد جرت محاولات لإرغام كافة الشعوب الخاضعة لها على إعتناق الديانة الزرادشية التي كانت ديانتها وتحكم بها ، والتي تعتبر من الديانات الأولية في المنطقة التي مزجت نظام الدين والدولة وعززت بها مواقع رجال الدين. أما ألأيزيديين فقد سمحوا لهم بمزاولة طقوسهم الدينية بسبب عبادتهم الشمس والنور. كما إقتبست الزرادشتية فكرة طاؤوس ملك (إله الشمس) منها، وخلقت بموجبه إله الخير الزرادشتي أهورا مزدا. وبالمقارنة يتضح بأن كل من طاؤوس ملك و أهورا مزدا لهم نفس الواجبات والسلطة مع الفرق بأن طاؤوس ملك هو إله العقاب والثواب أما أهورا مزدا فهو إله الخير فقط وفي صراع دائم مع إله الشر أهريمن.

وفي علم الفلك فأن الكوكب السيار عطارد ويومه هو ألأربعاء، ((شاب يركب طاؤوسا)) ، بيمناه حية وبيسراه لوح يقرؤه . وعند ألأيزيديين فلازال يوم ألأربعاء هو اليوم المقدس لديهم ويقابل الجمعة عند ألإسلام ، وألسبت عند اليهود وألأحد عند المسيحيين ، ويعتقد ألأيزيديون بأن هذا اليوم هو يوم طاؤوس ملك، وهو اليوم الذي خلق فيه ذاته، وخلق بدوره ألكون. ويظهر تأثير هذا جليا بصورة الحية التي لازالت مرسومة على جدار المدخل الرئيسي لمعبد ألأيزيديين في لالش.

ويذكر علماء الدين بأن تسمية طاؤوس ملك إنما تطلق على الملائكة التي تتوسط وتنقل اوامر الله الى البشر، ففي ألأديان السماوية يطلق على جبرائيل طاؤوس ملك ، أما عند ألأيزيديين فيطلق أسم طاؤوس ملك أحيانا"على عزرائيل وبألأخص على تلك الملائكة التي تحمل الصفات ألإلهية، وحدث كل ذلك بعد قدوم ألأديان السماوية الى المنطقة وبتأثير مبادئ التصوف بين ألأيزيديين عن طريق الشيخ عادي.

أما بالنسبة الى ألأيزيدية وإستنادا" الى قصائدهم الدينية الشفوية فيعتبر طاؤوس ملك ألإله الوحيد الذي له كافة السلطات العليا ويتجلى ذلك في النص الديني ألأتي "به دشايى مه ن :

"طاؤوسي هو رئيس كافة الملائكة
هو خالق ألأرض والسماوات
هو نفسه السلطان شيخ عادي
يتجلى ذاته بوضوح

طاؤوسي هو رئيس كافة ألملائكة
هو خلق إثنان وسبعين ملة
و ثمانين ألف مخلوق
قبل ألأرض وقبل ألسماوات
كان الله موجودا" وهو نور ألأنوار

ومن قدرته خلق ألكون
وألأرض والعرش وألأيمان
وسمي نفسه طاؤوس الكائنات"
وفي قول ديني آخر:
أن ألجبار العظيم لقب نفسه بألف إسم وواحد
لكنه إسمه ألأعظم هو الله.

وبسبب الخاصية المشتركة والباقية الى يومنا هذا حول عبادة طاؤوس ملك فقط فأن ألأيزيديين يعتقدون بأن الشخص ألأيزيدي يولد وفي روحه وجسده شيء من ألإله ألأكبر طاؤوس ملك، لهذا يعتقد ألأيزيدي بأنه منذ الولادة يحمل في نفسه شئ مقدس لكن درجة قدسيته لا تساوي الخالق (طاؤوس ملك) ولاتصل الى منزلته ، لأن الخالق هو المصدر الذي يستوحي منه قوته ، فالمصدر واحد لكن درجة تمويل القوة تختلف نوعيا" وكميا" من فرد إلى آخر ، وأن تمويل القوة يستند الى درجة العلاقة المباشرة ومدى وفاء الشخص لخالقه ودرجة تحكم عقله في هذه العلاقة. إن دور الفرد يكمن في خلق توازن لا في نفسه فقط بل في الكون أيضا" ، كوسيط بين ألأرض والسماء، لأن مايجري في نفسه من صراع بين أجزاء جسده هي مماثلة عما يجري في الكون بين ظواهرها المتناقضة المتعددة. فحسب تعاليم الديانة الكردية القديمة فإن الفرد يكمن في ذاته المبادئ الروحية للأرض والسماء ومن خلال علاقته النقية بطاؤوس ملك يستطيع الفرد ألأيزيدي أن يوازن بين قوى الخير والشر في ذاته، لأنهما تسكنان في ذاته كما في الطبيعة، جنبا" الى جنب ويستطيع من خلال

علاقته المباشرة بالأله التوازن بينهما ، لذا يكمن ألإنسان في ذاته قلب السماء (العنصر الذكري) وكبد ألأرض (العنصر ألأنثوي) أما فكر ألبشر فهو الوسيط لأيجاد توازن بين العنصرين أي بين ألأرض والسماء ، الخير والشر. أن نور ألإنسان ، حسب المفاهيم القديمة لهذه ألديانة، منبعه من النور ألأصلي طاؤوس ملك ، فهو نور وضياء لمن أهتدى به، لكنه نار يحرق من يعارضه ويخالف أوامره ، فطاؤوس ملك هو منبع ألإثنين يهب ألأرواح ويأخذها، لهذا فالقتل إثم عند ألأيزيديين. تحت مصطلح ألوحدانية تكمن العبادة لإله واحد ، وهو ألإله الذي عبده النبي إبراهيم ثم السيد المسيح وأخيرا" النبي محمد ، كما يفهم بأنه هو نفس ألإلـه الذي تعبده أتباع الديانات السماوية الموما اليها، ويشبه مركز الدائرة كل ينظر اليه من زاويته ، والأيزيدية أيضا" تؤمن بوحدانية الله (مع فارق التسمية) فهو مصدر الثواب والعقاب وأن علاقة الشخص به مباشرة بلا وسيط)) .

ويؤكد آخرين بأن أسم طاووس ماهو الا تحوير لأسم تموز (Tamuz) الرب البابلي المشهور ، وقد ربط السيد (ارشيبالد سايس) اسم طاووس مع ثياس (Thoas) أو (ثواس) والذي عرف على حد قوله في أماكن كثيرة كزوج لمرينا ، ابنا لادونيس وميرها ، وبذلك فان (تاوز – ثواس) في تقويم حران على حد إعتقاد البعض مطابقة لتموز ، وتاوز نفسها مطابقة لطاووس . ويذكر الآخر بأن طير طاؤوس عند الأيزيدية ماهو الا تعبير للشمس ، وهو عبارة عن تموز النبطيين الأقدمين والاله الذي يتكلم عنه حزقيال النبي ، ويقول الكثير من البحاثة بأن عبادة تموز – تاوز كانت منتشرة في مناطق واسعة جداً مثلاً في وادي دجلة ومنطقة سنجار حتى نصيبين ، وكانت منتشرة بين المسيحيين في عهد الدولة الساسانية وكذلك بين أيزيدية آسيا الصغرى .

وفي مقالة للكاتب صدقي عز الدين يقول فيها : من الملاحظ في القاموس اللغوي كلمة (oscar) والتي تلفظ بصيغة (os- kar) وهي اسم علم مذكر ومركب مكون من مقطعين هما (os+car) وهو مأخوذ أصلاً من كلمة (osgar) ومدلول المقطعه يعني (Os) ويعني (God) أله ، أما كلمة (Gar) فتعني (spear) تعني الرمح ، أذا فأن معنى الكلمة هو رمح الاله .

كذلك بالنسبة لكلمة (oswald) وهي مركبة ايضا من مقطعين هما (os) وتعني الاله و(wald) ويعني القوة ومن هذا الاستنتاج يتضح لنا بان معنى الكلمة هو قوة الاله .

كذلك فأن لكلمة ass النورسية تعني اله .

لنعود الى كلمة طاؤوس وكما هي باللاتينية (Tawos) ، المعلوم ان كلمة Taw أو Tav تاو او تاف في الكوردية تعني النور أو الشعاع ، حيث ان كلمة تاؤوس مركبة من مقطعين هما تاو + وٴس ومن هذا يتضح لنا معنى الاسم وهو نور الاله أو الاله النور .

كذلك فان كلمة تاو لها مرادف وأشتراك في اللغات الهندو أوربية كما هي بالنسبة (وٴس) وقبل الدخول الى المقارنة أود أن اوضح مايلي حرف الواو يمكن ان يصبح حرف (ف) والتاء الى (د) ، كذاك يتغير حرف (v) الى (w) و(T) الى (d) و(H) الى (S) حسب قانون hremm slaw ذلك القانون الذي استطاع تحديد التغييرات الحاصلة في الحروف الهجائية ذات النهايات الساكنة في اللغات الهندو أوربية ، مقارنتها مع كلمة (deiw) والتي تعني النور أو الشروق ، والتي هي أصلاً جذر هندو أوربي ، ولها العديد من الأشتقاقات مثل السماء الاله الفضاء الجنة . ووجوده بصيغة (deiwos) وهو أله السماء لدى الأقوام الجرمانية ، كذلك وجدت بصيغة (Tawaz) أيضاً لديهم حيث كانت في الأنجليزية القديمة بصيغة (Tiw) و (Tig) وهو الأسم الذي أطلق على أله الحرب والسماء في آن واحد وتدريجيا أصبح بصيغة (Tiu) وكما ذكرنا سابقاً انه كرم باطلاق هذه التسمية على يوم الثلاثاء (Tuesday) أي يوم تاؤوس ، ووجدت لدى الاقوام النورسية بصيغة Tyr وهو أسم الذي اطلق على أله السماء لديهم أما مقارنتها مع اللغات اللاتينية حيث وجدت العديد من الأشكال والأشتقاقات وكما يلي :

(Deus) وتعني Deity أي إلهي أو الوهية .

(Divus) وتعني سماوي ، الهي ، مقدس ومنها أشتقت الكلمتان Diva و Divine .

(Dive) وتعني الاله الخصب المثمر الغني .

مع وجود لاحقة وبصيغة (Deiw-yo) المنير ، المضيء ، كما هو الحال في كلمة (Diana) والتي تعني الاله او اله القمر (Moon goddess) .

في السنسكريتية وجدت بالشكل التالي :

(Devah) كذلك Devas وكلاهما يعني اله كما هو الحال في كلمات Devi ، Deohar;Devanagri .

6- في الافستيا كلمة Daeva تعني Demon وتعني مارد ، عفريت أو جن .

ومقارنتها مع كلمة (Dye) اللاتينية وبصيغة (Dies) والتي تعني النهار – الفترة التي تشرق الشمس فيها فقط – أيضاً وجدت بشكل تركيب بصيغة (juppiter Pater-Dyeu) .

وأخيراً وجدت في الأغريقية بصيغة (Zeus) وهو أله أغريقي معروف ، كذلك بصيغة (Delos) والتي تعني النظيف بالمصطلح الفكري .

مما ذكرناه يتضح لنا :

مقارنة (Tiwaz) الجرماني مع (Tawos) الكردي لهما نفس المعنى والمدلول ، كذلك الاعتقاد السائد ولحد الان بين الكرد المسلمين بعدم الاغتسال يوم الثلاثاء ، والذي هو يوم تاووس كما هو لدى الأقوام الجرمانية ماهو الا توارث ورثته الأجيال عن الأعتقاد الديني القديم بعدم القيام بأي نشاط يوم الثلاثاء لأنه يوم تاؤوس .

مقارنتها مع اللغات اللاتينية في (Deus) أو (Diva) أو (Dives) أو (Deiw-ye) والتي لها نفس المعنى والمدلول على وجه التقريب للدلالة على الصفة الالهية .

في السنسكريتية (أم اللغات الهندية) يتطابق بالمعنى والمدلول في (Devi) أو (Devanagari) مع الكوردية .

أما بخصوص الأفستيا ولها مدلول مغاير وقد أشرنا الي ذلك في أعداد سابقة من مجلة لالش وهو أن (Diva) الأفستي هو الجبار الذي يعبد خوفا من بطشه . (30)

ويحاول باحث آخر أن يعطي دليلا أثرياً ويربط هيكل طاؤوس مع الطيور المقدسة الاشورية التي نراها على منحوتاتهم .

لا يحتاج المتابع لكثير من الجهد , ليجد العلاقة الوثيقة بين الشمس وكثير من المفاهيم والعبادات القديمة , فكلمة وشكل الشمس تكرر في العديد من النقوش والكتابات القديمة .

فالشمس في الديانات الوثنية استقطبت العديد من المفاهيم الرمزية المتعلقة بعلاقة الأنسان بالألهة وكانت غالبا محورا للعبادات والطقوس , وهي دائماً رمز معنوي ومادي لهذا العبادة وترمز في كل الأحوال للقوة والنور والضوء والدفء , وكان العرب قديماً يعبدون الشمس بأعتبارها اله, ومن الجدير بالذكر أن احد فروع قبيلة قريش تسمى ((عبد شمس)) , فالديانات الوثنية التي كانت الشمس محور عبادتها , كانت ابتهالاتها لهذا الاله يرتبط بحركته في السماء .

أما (هنري لايارد) فيقول أن هذه الطيور نوع من العفاريت التي تفرض نفوذها على البشر ويربطها مع الطيور في الديانة الزرادشتية والتي يصفها زرادشت بأنها قوى صادرة من الاله ، ويقال بأن أشكالاً من هذه الطيور كانت مصنوعة من الذهب موضوعة في قصر ملك بابل لها علاقة قوية بالسحر .

وتعتقد طائفة الدروز بأن طير الطاؤوس كان الرسول الخادع لآدم وحواء ، وهم يطلقون – أي الدروز – أسم الطاؤوس على مبتدعي المذاهب المخالفة لمبادئهم ، وهذا نفس ماقام به زرادشت ، وربما يطابق طاؤوس الأيزيدية مع دروزي ، أي العجل المقدس عند الدروز . والأيزيديون على

رأي الكاتب يعبدون مبدأي الخير والشر ، فيعتقدون بالكائن الأعلى والذي اشتق منه أسم الأيزيديين ، ويمكن مقارنة ماجاء حول ذكر الطاؤوس والعجل المقدس مع رأي الكاتب (علي الشرقي) بين تضحية الثور عند الأيزيدية في عيد الجماعية . (31)

في تاريخ ألأديان تبين بأن الشعوب التي كانت تعبد الشمس كانت ترمز لها بأنواع متباينة من الطيور، فعند المصريين القدماء كان الباز رمزه وعند الأغريق الوز وعند الهنود طير النسر ، أما عند ألأيزيديين فكان ولازال طير الطاؤوس رمز إله الشمس وأنقلب تسميته بمرور الزمن وبتأثير ألأديان ألأخرى الى الملك طاؤوس. أما في الديانة الهندية القديمة فيرمز طير الطاؤوس الى إله الشمس وهناك إشارة تاريخية الى أن الطاؤوس لم يكن موجودا" في وادي الرافدين بل جاء على هيئة ضريبة من الهند، ففي ألألف ألأول قبل ألميلاد يصف الحاكم ألأشوري توكلتي ئبيل ئيسار (745–727 ق م) بأن من بين ضرائبه "طير سماوي أجنحته ذا لون إرجواني" وكان هذا الطير هو طير الطاؤوس الذي موطنه من الهند ولم يكن من قبل ذلك معروفا" في وادي الرافدين.

إن تعدد ألوان وجمال طير الطاؤوس أدت بالايزديين الى ربطه بالملك طاؤوس وجعله رمزا" له لمطابقته مع منبع الفكرة الفلسفية المثرائية التي قدمت على ألأيزيديين حوالي 2000 سنة قبل الميلاد من الهند الى كردستان، لذا ليس هناك تعارض في أرتباط طير الطاؤوس بأله الشمس ألأيزيدي طاؤوس ملك. إن طير الطاؤوس كان معروفا" لدى الأكراد قبل مجيئ ألإسلام كرمز لإله الشمس لأن عبادة الشمس كانت سائدة في المنطقة:

" ولابد من ألإشارة الى أن عبادة الشمس كانت سائدة بين عديد من الشعوب القديمة منها الهندو – أوربية كالهندوس والفرس والكرد. يقول (لانكلة: M. Langies) المستشرق الفرنسي أن

الشمس التي ترى على النقود ألايرانية القديمة آتية من عبادتها من العصور السالفة ويضيف كسروي بأن الطاؤوس كان يحتل أحياناً" مكان الشمس هذا على تلك النقود.) (32)

ومن خلال أناطة أدارة شؤون العالم بالملائكة السبعة كل وفق أختصاصه الذي كلفه به الخالق ، فأن الأيزيدية تقر بأن خلق الأنسان منوط بمشيئة الله وحده ، فهو الصانع الكريم لكل شيء ، وأن الملاك عزازيل هو كبير الملائكة وأعظمهم .

وهناك من يرى بأن قصة الملاك (عزازيل) ، ورفضه السجود لآدم ، وطرده من أمام مرأى الله ، هو اعتقاد قديم معروف لدى اليهود ، والمسيحيين ، والمسلمين على حد سواء ، وبات أسم عزازيل اليوم قليل الاستعمال ، وأبدل بالمصطلح التعسفي المستخدم من قبل العقائد الأخرى . (33)

ويتابع الحسين بن المنصور الحلاج في طواسينه أن الله قال له استكبرت ، قال : لو كان لي معك لحظة لكان يليق بي التكبر والتجبر ، انا الذي عرفتك في الأزل (أنا خير منه) ، لأن لي قدمة في الخدمة ، وليس في الكونين أعرف مني بك ، ولي فيك إرادة ، ولك فيّ إرادة ، إرادتك فيّ سابقة ان سجدت لغيرك ، فان لم أسجد فلا بد من الرجوع إلى الأصل ، لأنك خلقتني من النار ، والنار ترجع إلى النار ، ولك التقدير والأختيار . (34)

<u>الهوامش</u>

(1) إسماعيل بك جول – اليزيدية قديما وحديثا – منشورات الجامعة الأمريكية بيروت 1934 ص 73

(2)) صديق الدملوجي – اليزيدية –مطبعة الاتحاد – الموصل 1949 الصفحة الأولى

(3) د . سامي سعيد الاحمد – اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم – مطبعة الجامعة – بغداد 1971/ الجزء الثاني ص10

(4) سعيد الديوه جي_ اليزيدية– مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل 1973 ص119

(5) أحمد ملا خليل – من أذربيجان إلى لالش – تحقيق وتعليق د. خليل جندي – مطبعة سبيرز دهوك 2006

(6) د. روزاد علي – بعض ملامح المعتقدات الدينية في جبل الكرد (عفرين) في فترة ماقبل الميلاد صفحة عفرين نت (http://www.efrin.net/cms/erebi/index.php?option=co)

(7) عامر حنا فتوحي – الكلدان .. منذ بدء الزمان – دار النعمان للطباعة والنشر – ديترويت 2004

(8) الدميري – حياة الحيوان الكبرى /ج2– منشورات الشريف الرضي 1396 هـ مطبعة الحلبي القاهرة ص 279

(9) ابن ابي الحديد – شرح نهج البلاغة –المجلد الخامس – الجزء التاسع – تحقيق محمد ابو الفضل أبراهيم – دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي – القاهرة 1967 ص 266

(10) القاموس المحيط – للفيروزآبادي – طبع مؤسسة الرسالة – بيروت 1987 ص 715

(11) د. ممو عثمان – مقالة منشورة في صفحة الكاتب العراقي / المدار على الأنترنيت

(12) د. بير ممو – صفحة داسن – منشورة على الأنترنيت

(13) سيد محمود القمني – الأسطورة والتراث – سينا للنشر القاهرة 1993 ص 38

(14) هوشنك بروكا – الأيزيدية والطقوس الدموزية –المانيا – صفحة لالش

(15)عباس محمود العقاد _ ابليس – الطبعة الثالثة شركة نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة 2003

(16) زكريا القزويني – عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات –دار الافاق الجديدة بيروت 73 ص91

(17) سعيد الديوه جي_ اليزيدية– مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل 1973 ص 120

(18) سعيد الديوه جي – المصدر السابق –ص 121

(19) الدكتور خليل جندي – نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية –السويد دار رابوون 1998 ص36

(20) الأمام عز الدين المقدسي – تفليس إبليس/ مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1906، ص 11

(21) خدر بير سليمان – تقاليد القرية الايزيدية –ترجمة عيدو بابا شيخ الطبعة الأولى بيروت 85 ص 11 و22

(22) أبو داسن – حول مفهوم الشر في المعتقدات – مقالة منشورة في مجلة روز العدد 10

(23) صديق الدملوجي – اليزيدية –مطبعة الاتحاد – الموصل 49 ص10

(24) سعيد الديوه جي – اليزيدية –المصدر السابق ص 120

(25) القس سليمان الصائغ – تاريخ الموصل –الجزء الاول ص 296

(26) محمد عبد الحميد الحمد – الديانة اليزيدية بين الاسلام والمانوية –دار الاوائل للنشر – دمشق 2002 ص 227– 228

(27) الدكتور خليل جندي – نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية –المصدر السابق ص 122

(28) د . سامي سعيد الاحمد – اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم – مطبعة الجامعة – بغداد 1971 ص29

(29) زكريا القزويني – عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات –المصدر السابق ص 91

(30) صدقي عز الدين البيرموسي – مقالة بعنوان (طاووس ملك وعلاقته بالأديان القديمة) منشورة في مجلة لالش العدد 13 – دهوك آب 2000 ص 9–12

(31) د. خليل جندي – المصدر السابق – ص 36–37

(32) د. بير ممو – المصدر السابق

(33) جون س . كيست – الحياة بين الكرد .. تأريخ الأيزديين – ترجمة عماد جميل مزوري – دار سبيرز دهوك 2005 / ص 81

(34) الحلاج الحسين بن المنصور – الطواسين تحقيق لويس ما سينيون دار الينابيع دمشق 2003 ص 154

الفصل الثالث

الطواف بالسناجق

يمتلأ المحيط الديني المقدس في منطقة لالش بالبشر، كتل بشرية تتوزع بين ثنايا الوادي وفوق الصخور المشرفة على المكان المقدس ، تستمع إلى زغاريد النسوة من أماكن بعيدة وهي تملأ المكان تعبيراً عن فرحها وأبتهاجها ، ويتقافز الأطفال المرحين والمنفلتين الذين يستغلون المناسبة للتعبير عن سرورهم ومشاركتهم ببراءة ومرح ظاهر في وجوههم ، شيوخ طاعنين في السن وعجائز تتعكز على مرافقيها وعلى العصي التي تعاونها في الوقوف والمسير ، أفواج من البشر من معتنقي الديانة الأيزيدية من مختلف الأعمار و الطبقات والأشكال ، يقصدون ملامسة الخرقة التي يعلقها أحد رجال الدين في مكان مرتفع ، تتلامسها الأيادي وتتبرك بها الوجوه الممتلئة بالعرق الذي يغسل الوجوه ويزيدها وهجاً نتيجة الفرح وجهد المشاركة ، فتشم روائح الأجساد ضمن هذا الحشد البشري المتماوج ، حشود من الأيزيدية من مختلف الأعمار والأجناس تتجمع في الوادي منتشرين بأنتظار لحظة خروج السنجق بأتجاه القرية التي يقصدها ، تتعلق أبصارهم نحو جهة واحدة وبأنتظار صرخة من أحدهم ليتم التراكض والتدافع نحو مكان خروج السنجق ، جميعهم يؤمنون بممارسة الطقس ونيل الثواب ، تقربا إلى الله وحبا بطاؤوس الملائكة .

يخرج أحد الرجال وهو يرتدي عباءة ويغطي التمثال المفكك إلى قطع ، و المحفوظ في كيس من القماش الأحمر اللون المحاك من خيوط الصوف ، يحمله على كتفيه ليتدلى بين جوانب صدره ، ليرمز للمكانة الكبيرة التي يكنها الأيزيدي لهذا الرمز ، هناك من يقوم بترتيب ملابس حامل الرمز ، وتعديل العباءة التي تتمايل بين حين وآخر ، آثر ملامسة الأيادي للسنجق المحفوظ ، ويقف خلفه ومن آثر المسير بين الحشد حيث تتابعه العيون ، ويتقدم بخطوات ثقيلة وبطيئة بين الأفواج ، ماراً وسطهم تملأ أسماعه الهلاهل ، وتملأ خياشيمه المباخر التي تحملها النسوة يمرجحن المباخر بين الحشود ، ويمتلأ المكان برائحة البخورالذي يغطي المكان ، فينشر عبقه في الأجواء ، فتزيد طقسه مهابة وخصوصية على ما هو فيه ، ويتوجه الجمع إلى القرية منطلقين من لالش سيراً على الأقدام خلف الرجل الذي يحمل السنجق ، في الطريق يتبادل الرجال المهمة (مهمة حمل السنجق) بين حين وآخر وفق طقس مهيب ، وعلى جوانب الطريق يتجمع الناس من القرى القريبة الواقعة على طريق مرور السنجق ، أو من ينذر نفسه تبركا لمسيرة ترافق السنجق حتى القرية التي يقصدها ، ويختلف الناس في مقاصدهم للتبرك بمرور السنجق أومشاهدة المسيرة والأحتفال الشعبي بقدوم المهيب رمز تمثال رئيس الملائكة .

الناس تتلمس بيديها أطراف العباءة وأطراف الكيس الأحمر المحمول على كتف الشخص الذي يحمل التمثال المغطى وهو يحمل الرمز بزهو وسرور ، يصاحبه نقر الدفوف والعزف على الناي من قبل مجموعة من القوالين المصاحبين للسنجق ، كذلك تتبرك الناس بملامسة كل شيء حتى الآلآت الموسيقية (الناي والدف) ، فهي تشكل في عرفهم جزء من منظومة التقديس والمباركة ، مادامت تقوم بمهمة مصاحبة تمثال طاووس ملك ، ومادامت تطلق انغامها الشجية والحزينة المؤثرة في النفس .

يتبادل عدة رجال مهمة حمل التمثال والسير في مقدمة الجمع بأتجاه بيت محدد في القرية التي يقصدها حامل السنجق ، وما أن يشرف على الوصول إلى البيت حتى تجد أن الجمع البشري صار أكبر ، وجاء آخرين من قرى مجاورة للمشاركة في هذا الأستقبال للأيفاء بنذره الذي قطعه احدهم على نفسه ، او لربما خشيتهم من عدم تمكنهم الحصول على الثواب والتبرك بملامسة أو مشاهدة الطقس والرمز في هذا العام ، يدخل الرجال إلى البيت مع حامل السنجق على كتفيه وهم حفاة ، ويتقدم أهل البيت للأستقبال وتفرش الوسائد في مكان فسيح ، ويتم تحديد مكان تنصيب الرمز حيث تصطف الوسائد خلف التمثال ويتم تركيبة قطعة قطعة ، من الأسفل إلى الأعلى ، وبعد ان ينتهي التركيب يتم وضع الكيس الأحمر خلفه فوق الوسائد ، ويتم وضع الكأس بجانبه ، اثناء ذلك ينشد المنشدون التراتيل الدينية والأناشيد التي تستقبل القادم ، في حين يقوم العازفين بالعزف أمام مكان تواجده وقرب تجمع الناس .

يقوم أحد القوالين بقراءة الأدعية ، بعد ذلك يلملم الموسيقيين أدواتهم الموسيقية ويتوقف عزفهم برهة ، ويتقاطر الناس لرؤية التمثال والحصول على بركاته ، في جانب من جوانب المكان يتم طبخ الطعام للمدعوين ، النساء تقوم بجزء من عملية الطبخ ، في حين يتبرع بعض الرجال للمعاونة في هذه المهمة ، لأطعام أكثر من 150 شخص من الوافدين مع السنجق على الأقل ، وبينما يجلس الرجال يستمعون إلى ترديد الأناشيد والتراتيل الدينية بالكردية التي تطلقها مجموعة القوالين بمصاحبة عزف الناي ونقر الدفوف يتم توزيع الطعام .

يجلس أمير الأيزيدية أو من ينيبه عنه بجانب البيش أمام والبابا شيخ ، وبعد تناول الطعام حيث تهدأ اصوات الناي ويتوقف نقر الدفوف ، غير أن أصوات الناس تبقى تطغي على كل الأصوات الأخرى ، يستمر العزف الديني المميز ببحة حزينة يصاحب اناشيد رجال الدين من القوالين وهم يرتلون الأدعية والتمنيات بالكردية .

تبدأ زيارة الناس للسنجق والتبرك بقدوم تمثال صورة الملائكة أو طاووس ملك ، يبدأ الفقراء بالزيارة وسط طقس تصاحبه الهلاهل ، يبدأ الفقراء بالوقوف صفاً واحداً ويتقدم كل منهم خطوة خطوة تبجيلاً وأحتراماً ، رافعاً كل منهم يده اليمنى على كتفه الأيسر إجلالا وإحتراماً والكل حفاة في حضرة الطاووس ، وحين يصل الفقراء أمام الطاووس ينفض كل منهم أياديه ، ويلمسه كل منهم حسب دوره ثم يمسد وجهه ، وتجمع الأدوات الموسيقية وتتجمع الناس في صفوف طويلة من كل الأعمار والأجناس ، شيوخ وشباب ، رجال ونساء ، كبار وصغار، أغنياء وفقراء ، يبدأون بالتبرك بصورة رئيس الملائكة ، يركع الشخص ويقوم بتقبيل القاعدة ثم يرتفع إلى الوسط ثم يقوم بتقبيل جسم الطاووس ، منهم من يعطي نذره أو ثوابه على شكل نقود ورقية ، يرميها بالقرب من الطاووس ، ومنهم من يكتفي بهذا الطقس ، قسم منهم من يلتفت إلى القوال الجالس بالقرب من التمثال ليقبل يده هو الآخر ، النسوة يطلبن بركات الطاووس لتمنيات خاصة ، فيمرر القوال التمثال على ظهورهن أو فوق الرؤوس ويقرأ لهن شيئا من الدعاء .

في اليوم التالي يتم تحضير وعاء كبير مملوء بالماء والسماق البري ، يجتمع القوالين حوله بعد ان قاموا قبلها بتفكيك التمثال ، ويتم تغطيس القطع في ماء السماق الحامض ، ويخرج أحدهم القطع بتأني وتبجيل ، يناولها للحاضرين الذين وزعت عليهم قطع من القماش لتنظيف قطع التمثال المفككة لتلميعها ، يصاحب كل هذا أناشيد وتراتيل بالكردية يقوم بها القوالين وبعض الناس الذين يساهمون تبركاً ، يصاحب عملهم هلاهل النسوة والفرح الذي يغمر النفوس ، والطافح على وجوه المشاركين ، مع نقر على الدفوف وعزف على الناي ، وبعد أن تستكمل عملية التنظيف ، يقوم أحد القوالين بمهمة تركيب قطع التمثال ، في حين ترتب الوسائد الساندة للتمثال مرة اخرى ، ويقوم بتثبيت مكان تمثال الطاووس وبجانبه الوعاء المعدني (كأس الطاووس) وهي عبارة عن جرة معدنية من النحاس الأحمر ، وتزداد حماسة الناس، وكتعبير عن فرحهم بقدوم الرمز يتحلقون في دبكة مختلطة تصاحبها الدفوف والعزف على المزمار .

يبدأ القوالين مرة أخرى في الأنشاد والترتيل مع العزف بالمزمار والضرب على الدفوف العريضة ، تتسم الأنغام الدينية بنغم حزين ورتيب يؤثر في النفس الإنسانية ، في حين يقوم أحد القوالين بتفكيك أجزاء التمثال مرة أخرى ووضعها في الكيس الأحمر الخاص بها ، ثم يضعها فوق أكتاف صاحب الدار الذي أستضاف الرمز ، يحملها بفخر وأعتزاز وزهو وسط الحشد ، ويخرج وسط ضجة الناس وتجمعهم وهلاهل النساء ، يتبعه الناس وهم يمدون أياديهم للتبرك بالخرقة التي تحتوي على أجزاء الطاووس ، وتلمس بعض الناس حتى الآت العزف التي يقوم القوالين بأستعمالها أثناء المسيرة ، يتبادل حامل التمثال عملية الحمل مع عدة رجال لطول الطريق وكثرة الناس وأزدحامهم

، تصاحب كل هذا النسوة اللواتي يحملن المباخر التي تملأ الجو بروائح البخور المحروق حتى يمتلأ المكان عبقاً ، بأتجاه لالش تكون المسيرة لأعادة الطاووس إلى مكانه مرة أخرى ولكن قسم من الناس تبقى ملازمة لمسيرته حتى لحظة الوصول .

الطقوس لاتعني الدين ، وأنما هي وسائل تعبيرية وأفعال تعارف عليها المجتمع للتعبير عن علاقة الأنسان مع العقيدة بواسطة هذه الأفعال التي تناقلها المجتمع وألتزم بها دون تفريط ، وأعتبرها من الأعراف المقيدة لمن ، فالدين يكمن في نفس الأنسان وترتبط طقوسه بمسألة الأيمان ، والأسس الجوهرية للعقيدة المرتبطة هي ايضاً بشعور الفرد الحقيقي تجاه هذه العقيدة ، والعقيدة الأيزيدية تنطلق من هذا الجانب ولاترتبط طقوسها بالعقيدة فقط ، لأننا نجد العديد من الطقوس ما فرضه العراف والتقاليد ، والطقوس تعبير لسلوك متكرر يرتبط بالمعتقد بأي شكل من الأشكال ، يأخذ شكلاً ثابتآ في الأداء توخيا لتحقيق التأثير المطلوب، بل ولأغراض هذا التأثير توضع له مراسيم وشعائر، وقد يحاط بهالات قدسية لكي يكون التأثير أشد . من الممكن أن لاتجري الطقوس دون أن ينتقص هذا من الجانب الديني كما لايؤثر على الأسس الدينية ، وأنما هي جوانب من التقاليد والطقوس التي ترتبط بالموروث الأيزيدي ، توارثتها الأجيال وحرصت عليها الأقوام التي تعاقبت على ممارستها من خلال الفرائض والمعتقدات التي تحاول أن تبجل المقدس وتظهر الخضوع للألهة ومحاولة لاضفاء المقدس على الطقس ، فالعديد من الطقوس يتغير أو يتبدل أو يتحول أو يتم نسيانه لعدم مجاراته الزمن ، غير أن الأساس لايتحمل التغيير ولايمكن لأحد المطالبة في تغييره ، والجوهري لايمكن تحريفه بل لايستطيع أحد أن يجازف بالتحريف أو التغيير .

ولكل عشيرة مقدسات وأعياد ورقصات مشتركة وآلهة تمثل الطبيعة الموروثة من قدماء الآريين ونعتقد بأن الطوافات – مثلاً الموجودة لدى الأيزيديين حالياً هي من بقايا تلك الأعياد التي كانت تمارس أيضاً في العهود القديمة عند الآريين والسومريين والبابليين والآشوريين وعند عشائر الرومان والأغريقيين والهنود الحمر .. الخ .(1)

كما أن الأيزيدية نفسها حرمت من ممارسة طقوسها سنوات عديدة خلال زمن القتل والفتاوى الظالمة والملاحقة من قبل المتطرفين من الغلاة ، ومن جيوش السلطات الجرارة ، ولهذا فأنهم لم يستطيعوا أن يستكملوا اداء طقوسهم الدينية لعدم توفر الفسحة من الآمان ، ومع هذا فلم يتم التأثير على أسس ديانتهم وعمق عقيدتهم ، كما لم يتسن لهذه الأحداث أن تؤثر على الذاكرة الجمعية أو المجتمع الملتزم بالأعراف والتقاليد الدينية .

يقول الباحث بير خدر سليمان : قصة هذه السناجق وقدمها تغور في اعماق التاريخ وموغلة في القدم حتى ان بعض آثار العراقيين القدامى في آثار البابليين والآشوريين (عندما أكتشفت) وجد

ان هناك صورة طاووس وكانت بمثابة (راية) لهم وقد نصب المتحف العراقي في بغداد تلك البيارق حيث نرى مواطناً حضرياً يقدم ضحية لراية الطاووس وبحضور السادن وقد وقف على رأسهم ملاك مجنح ، أذن هل لطواويس الأيزيدية صلة بذلك العصر أم تمتد إلى ما قبله أو استحدثت بعده ؟ هذا ما لايستطيع المرء أن يبت فيه بأطمئنان .

ولكن كيفما يكون فالأيزيدية يرددون : أن نياشيننا ومقدساتنا موغلة في القدم وعلى مر التاريخ (الدهر) لحقها الكثير من المصائب والويلات وحوادث السلب والنهب بالأيزيدية عامة وبالقوالين الذين رافقوا الطواويس خاصة ، وقد سمي العديد من الجبال والمضايق في سنجار وفي غيرها من المناطق بأسم القوالين .

الأيزيدية بذلوا الكثير وعانوا الأمرين في سبيل أن لايرى الغرباء طواويسهم حتى وصل الحد ببعض الغرباء أن يشعلوا نار الحرب ليسلبوا أو يشاهدوا هذه الطواويس سواء بالقوة أم بغيرها من الوسائل ، وقد افلحوا أحياناً لذلك فالأيزيدية لاتنسى قط ذلك اليوم الذي اعلن فيه الباشا التركي (عمر وهبي) فريق باشا سنة 1892 م حملته الشاملة عليهم . وأخذ طواويسهم السبعة وبعض نياشينهم الأخرى بعد ان أباد الأيزيدية ، وخاصة أيزيدية منطقة الشيخان (مه ركه هـ شيخان) ونجا منهم ذلك الذي فر إلى الكهوف والجبال فقط ، وذهب بالطواويس والنياشين إلى المتحف العسكري في بغداد ، هكذا حزن الأيزيديون وغمرت الهموم افئدتهم وأصابهم الذهول والأرتباك تائهين لايعرفون ماذا يفعلون إلى أن جاء والي (باشا) آخر يدعى سليمان نظيف باشا سنة 1895م يقال انه كان كردياً وأمه كانت أيزيدية من عشيرة خالتيا ، قدم الوالي الجديد إلى عين سفني وذهب إلى باعذرا (مقر أمارة الأيزيدية) ومن ثم قصد لالش وقد سمعت شخصياً من بعض معمري وعجائز عين سفني كيف انه أتى إلى عين سفني وأراد أن يجبر خاطرهم ويكسب ودهم فقال لهم : ماذا تطلبون ؟ ماذا فقدتم من مال ومتاع ؟ فقالوا نحن لانريد غير طواويسنا ونياشيننا ، فذهب إلى بغداد ليرجع الطواويس والنياشين ، يقال انه لم يعدهما كاملة ، وصل سليمان نظيف باشا الشيخان يوم 21 شباط 1895 وخيم عساكره في بيادر القرية ، وذهب الباشا لزيارة (بابا شيخ) وبعث بخبر إلى أمير الشيخان (علي بك) ليكون حاضراً وخاطبهم : هذه هي طواويسكم ونياشينكم ، الأيزيدية أيضاً من شدة فرحها وأبتهاجها ، قامت كل عائلة بنحر ذبيحة وقدمت الذبائح وصواني الزاد إلى عسكر سليمان باشا الذي كان قد أصدر أمراً بعدم دخول أي فرد من قواته القرية ، لأنه كان يعلم أن الأيزيدية نا كانوا يحبذون رؤية الجنود الأتراك ، وفي صباح اليوم التالي ذهب الناس ليعيدوا صوانيهم الفارغة ، حسبما رواه لنا جدي وجدتي ، انهم رأوها كاملة غير ناقصة لحد الملعقة وكأنهم لم يكونوا جنود الأمس جنود الروم العثمانيين .

قال لهم سليمان باشا : افحصوا طواويسكم ونياشينكم ، هل هي كاملة أم لا ؟ أخبروني أن كان هناك نقص ، فتشاور الأمير (علي بك) والبابا شيخ أن هذا الرجل تفضل علينا كثيراً فلا نثقل كاهلة ونكلفه أكثر من هذا ، أي انهم استثقلوا أن يخبروه بنقص ثلاثة طواويس وبعض النياشين ، والظاهر أنه أي الباشا لم يجد غير هذه في المتحف .

ونحن (والحديث للكاتب خدر بير سليمان) إلى الان لا نعرف أي خبر عن تلك الطواويس ، وقد بعث لي دكتور الأماني عام 1972 صورة لأحدى تلك الطواويس الموجودة في متحف ألماني ، وكتب رؤية الطاووس وبيعه وقد صورها وبعثها لي .

خلال المئتي سنة الماضيين وبخاصة بعد حملتي الأضطهاد اللتين قادها الأمير محمد باشا سنة 1832م أنزوى الأيزيديون وآثروا العزلة والأنطواء ولجأوا إلى ممارسة طقوسهم بكتمان وتحفظ شديدين ، فأصبح حتى الناس الذين حولهم وكذلك الغرباء والمستشرقون متلهفين ومشتاقين لمعرفة طقوس الأيزيدية وبخاصة رؤية راياتهم ، ولكن الأيزيدية لم يفسحوا المجال لأحد إلى أن وصل الأمر بأن كان يفتخر الشخص الأجنبي أذا أطلع على شيء من أسرار الديانة الأيزيدية ، لذلك نرى واحداً مثل الأثاري (لايارد) يقول سماع العقيدة اليزيدية في مضيف لالش مخيف ومدهش ومرعب . (2)

ان هذه البحوث والدراسات عن الايزيدية ورموزها ذللت الكثير من العقبات بالرغم من اختلاف افكارها وتنوع التفكير والاعتقاد عند الباحثين ، الا إنها تمثل محاولات لوضع الخطوط التي تطور وتساهم في عملية الوصول إلى الحقيقة الايزيدية ، التي ارادوا لها ان تضيع بين ركام الاساطير والمرويات الباطلة ، والخرافات والمزاعم البعيدة عن الصحة والواقع ، فالأيزيدية لم تزل مثل تلة مليئة بالأسرار والحقائق التي يتم اكتشافها يوماً بعد يوم بعد ان غطاها الزمن وأمعنت ايادي كثيرة في طمر حقيقتها ، ويمكن للمرء أن يتسائل عن أسرار أحتفاظ هذه الديانة بمكانتها حتى اليوم ، بالرغم من تعرضها للحملات الوحشية والمجازر التي طالت معتنقيها ، وأن اثارة مثل هذه البحوث مع تنوعها يبقى التصنيف العلمي والمتابعة التاريخية تتحكم في الكثير من جوابها ، وفي هذا الأمر العديد من الفوائد في ايصال الحقيقة أو جزء منها إلى نور الشمس ليتمعن بها القاريء والمثقف والمتابع ، فبعد أن كانت الدراسات والبحوث مقتصرة على نظرة أحادية الكثير منها ظالمة ومشوهة وقاصرة ، فانها بقيت تفتقر إلى مصداقية الوصول إلى حقيقة الرموز الأيزيدية بتجرد ، ومنها على سبيل المثال لاالحصر رمزية الطاووس ملك ، فالبحث في جزئيات الديانة الايزيدية لايخدش الاساس وضمن هذه الجزئيات يمكن الوصول إلى خيوط المعرفة الكلية بما يخدم حقيقة أسس الديانة الأيزيدية ، ويميط اللثام عن العديد من حقائقها ، ولهذا فأن الكتابات التي يطرحها الباحث الأيزيدي أو الباحثين من

أبناء الديانات الأخرى ، تصب في المجرى العام لخدمة الثقافة الدينية الأيزيدية ، مهما كانت توجهاتها وتنوع أطروحاتها ، فانها تشترك في السعي إلى طريق الحق الرئيسي ، بغض النظر عن الطرق المتشعبة التي يسلكها كل باحث ، وفق منهجه وعلميته وضميرة في الكتابة التاريخية ، وتجرده من الأغراض المبيتة والمسبقة في كتابة البحث التاريخي .

يقول الدملوجي : لليزيدية سبعة طواويس يرمزون بكل واحد منها على أحد آلهتهم ويسمونها السناجق (كناية عن تخصيصهم كل واحد منها لأحد الجهات التي توجد فيها اليزيدية) مصنوعة من النحاس على شكل طير أو بطة يعتقدون أنها من صنع القدرة يحتفظ بها الرئيس الديني للملة اليزيدية ، الجالس على كرسي يزيد تسمى ((خانة طاؤوس)) (خاني طاؤوس – الكاتب) ، وهو وحده الذي يأمر بأخراجها من محلها وأعطائها ((للقوالين)) للطواف بها ، والعادة أن يذهب القوالون بها إلى مرقد الشيخ عدي فيباركوها بالماء المقدس ، ويزيلون الصدأ الذي علق بها بماء السماق ثم يدهنونها بدهن الزيت ويأخذون من جوار المرقد تراباً فيعجنونه بالماء المقدس ويضعون منه بنادق صغيره يهدونها إلى اليزيدية عند زيارتهم الطاؤوس .

وبعد أكمالهم هذه العملية يذهب القوالون بالسنجق إلى الجهة المختصة به ، وعندما يقتربون من القرية أو الجماعة التي يقصدونها يرسلون أحدهم اليهم لأعلامهم بمجيئهم ، فيهرع اهل القرية جميعاً رجالاً ونساءاً لأستقبالهم ، وقد لبسوا أفخر ملابسهم وهم يرتلون الأغاني الشعبية الدينية ، والنساء يزغردن فيأخذ ذوو الثراء والوجاهة بالمزايدة على السنجق فمن أعطى ثمناً أعلى من غيره يأخذه ضيفاً إلى داره ، وهو في حقيبة يحملها القوالون على اكتافهم ، وهناك من يخرجونه ويضعونه في المحل المعد له بعد أن يتأكدوا من عدم وجود أحد من غير اليزيدية ، ثم يأتي أهل القرية زرفات ووحدانا فيسجدون له ويقبلونه ويقدمون له خيراتهم الموسمية ويتضرعون له أن يغفر خطاياهم ويقيهم هم واولادهم وأهل بيتهم شره وسخطه . ثم يقف القوالون وهم بين زامر بالمزمار وناقر على الدف فيعزفون بايقاع حار يذوب فيه التفكير اليزيدي الذي مازال حالما في طفولة ضيقة فيستحوذ على الجميع وحدة من الحس تضطرب بين الخوف والرجاء ، فيرقصون على الأيقاع الشرقي الحزين رقصات خاصة ، وقد يبلغ بهم طغيان الحس إلى أن يرفعوا الطاؤوس من مكانة فيشركونه معهم بهذا النوع من الأضطراب الموزون .

وفي هذا اليوم المبارك يكثرون من أحراق البخور وإيقاد الشموع والقناديل ويسهرون على حراسة السنجق خوفاً عليه من أن تمتد اليه يد أجنبية ، وينحر صاحب الدار الذي نزل السنجق ضيفاً عليه بقرة أو ثوراً إ كراماً له ، ويصنع اهل القرية طعاماً وافراً فيأكلون ويشربون ويأنسون ، وفي اليوم الثاني يضع القوالون السنجق في حقيبتهم ويذهبون به إلى قرية أخرى . (3)

ومما يذكر أن السيد صديق الدملوجي ربما يكون أول شخص من غير الأيزيدية يتمكن من مشاهدة الطاووس ، غير انني سألت بعض الأيزيدية بحضور(كريفي) الأستاذ عمر خضر حمكو الساكن في بحزاني عن إمكانية مشاهدتي للطاووس عن قرب ، فأبدى الجميع سرورهم وفرحتهم من تمكينهم رؤيتي له ، خلال عيد الطوافة في شهر نيسان خلال قدومه إلى منطقة بحزاني في العام 1994 ، ولذا أزعم أنني من بين الآشخاص القليلين من غير أبناء الأيزيدية بعد المرحوم الدملوجي أستطاع مشاهدة الطاووس عن قرب ، وفعلاً تمكنت مع كريفي الأستاذ عمر خضر حمكو (ابو خضر) من مشاهدة الطاووس عن قرب ، ومتابعة الطقوس الجارية عند وجوده في قرية بحزاني عصر يوم الجمعة 22 / نيسان / 1994 ، كما قام كريفي الأيزيدي المذكور بإستضافة الطاووس بداره العامرة في بحزاني من أعمال الموصل في 21 نيسان 2001 ، وبناء على طلبي بأن يرسل لي نسخة من الفلم التسجيلي المصور لعملية نقل الطاووس من لالش إلى بعشيقة – بحزاني مع تسجيل كافة الطقوس والمراسيم التي تمت في ذلك الفلم ، فقد قام مشكوراً بأرساله حيث احتفظ بتلك النسخة من الفلم .

الأ ان أحد ابناء الأمراء أخبرني بأنه لايمكن تلبية طلبي بمشاهدة الطاووس في غير أيام الأعياد الدينية للأيزيدية ، أي حين يكون الطاووس في خزانة الرحمن .

يقول الكاتب محمد عبد الحميد الحمد :

تطوف السناجق في المدن والقرى التي فيها اليزيدية في الموصل وديار بكر وأورفا وعينتاب وحلب وأطراف العجم وسنجار ، أما (طاووس عنزل) فيبقى في قرية باعذرا وأظن أن اسمه الحقيقي (طاووس عزازيل) ، وله اناشيد ترتل على عزف الدفوف والمزامير ويحفظ مع السناجق المقدسة في (خزينة الرحمن) والتي يسميها العوام منهم (خاني طاووس) يقول الأستاذ درويش حسو ((ويجب ان يكون باب هذه الخزنة مفتوحاً بصورة دائمة لأستقبال الزائرين ولايجوز تحريكها من مقرها الا في الاعياد ويبقى طاووس عنزل في مكانه)) .

يمشي القوالين وهم يطوفون بالسنجق (طاووس ملك) حفاة ، ويسير معهم من يريد استقبالهم وهم حفاة ايضاً تقديسا للزائر المقدس ، ويطوفون حوله سبع مرات وايديهم على صدورهم وهم ينصتون خاشعين لأناشيد القوالين التي هي مزيج من اللغتين العربية والكردية ، ويضعون السنجق في منزل من يعطيهم اكثر الصدقات وهذه الزيارة المباركة تحمي المنزل واصحابه بل والقرية كلها من أي شر او مكروه . (4)

يذكر السيد سعيد الديوه جي : ان لليزيدية سبعة تماثيل (لطاووس ملك) وهي كما علمنا ، تماثيل كانت مثبتة في أعمدة الدعوة التي كان يسعى اليها الشيخ حسن ، ووزع الأعلام على البلاد التي لاقت حركته أقبالاً فيها ، وهم على مايقولون كما يلي :

بلاد الهكارية ولالش

منطقة سنجار ومايجاورها

منطقة تكريت

منطقة حلب والشام وحران وسروج وأورفة

منطقة بلاد سعرت وشرقي الأناضول

منطقة قفقاسيا (بلاد المسقوف)

بلاد الخالدين

هذه الأعلام – السناجق – كانت عند اتباع الشيخ حسن ، تسلموها منه ، وبعد فشل الحركة والقضاء عليها ، فأنهم احتفظوا بالعلامة التي أتخذها شيخهم للثوزرة ، وصارت تعرف عندهم بالسناجق – أي الأعلام – وحفظ بعضها في خزينة الرحمن عند مير الشيخان – وهو من احفاد الشيخ حسن كما فقد بعضها في الحملات التي شنت على اليزيدية . (5)

يقول الكاتب بير خدر سليمان :

الان يطاف بطاؤوس عه نزه ل (سنجق) ثلاثاً في السنة بين أيزيدية العراق بأستثناء جبل سنجار، وبكل حرية دون أن يعترض عائق أو عقبة في سبيله أو أن يصيبهم أحد بأذى ، كما أن طاؤوس حلب يؤخذ اليها بين سنة وأخرى .

وكذلك طاؤوس (خالتيا) يطاف بها بين أيزيدية تركيا ، كما أن طاؤوس سنجار يطاف به مرة كل عام في قرى جبل سنجار ، غير أن سنجق (طاؤوس مسقوفا) بلاد الأرمن لايدخل إلى تلك المنطقة لأن دستور ذلك البلد لايسمح بأقامة مثل هذه الطقوس . (6)

ويذكر أسماعيل بك جول في كتابه أن السناجق تسعة وهي :

الأول على بلاد الأمير سنجق الغربي

الثاني على جبل سنجار

الثالث على مملكة تكريت وسامراء

الرابع على وسنة وحرير أي مملكة بير هسن ممان بين أربيل وشيخان

الخامس على حلب والشام وأورفة ومملكة سروج وحران

السادس على بلاد سعرت

السابع على بلاد مملكة شيخ حسن البصري وعلي

الثامن على مملكة نصيبين ومديات وهكارية

التاسع على مملكة وان وتيارية وجبل حكارة ودشنة خان شرق بلاد التيارية . (7)

الا أن الامير بايزيد الاموي يؤكد في مقال له منشور في مجلة التراث الشعبي في بغداد بالصفحة 57 العدد الخامس السنة الرابعة 73 ، بان السناجق هي سبعة وليست تسعة ولايختلف في اسماؤها مع اغلب الكتاب .

ان الطواويس سبعة وهي ليست متساوية في الحجم ، ويرمزون لكل واحد منها بأسم السنجق وفق المنطقة المخصص لها وهي :

سنجق سورية (سنجق الشام) وتشمل منطقة الطواف حلب واللاذقية والحسكة والقامشلي وحران وعفرين ويسمونه (طاووسه شام)

سنجق تركيا (بلاد الأناضول) وتشمل منطقة شرق الاناضول وديار بكر وماردين وإنطاكية وسعرد وسيواس وديران شهر ويسمونه (طاووسه زوزانا)

سنجق العجم (آيران) ومنطقة طوافة تبريز ويسمونه (طاووسة تاوريز)

سنجق بلاد روسيا (بلاد المسقوف) ويشمل جمهورية إرمينيا وجورجيا ورستوف ويسمونه (طاووسة مسقوف)

سنجق الشيخان في العراق – نينوى وماحولها من القرى ويسمونه (طاووسة شيخا)

سنجق سنجار في العراق – نينوى وماحولها من القرى ويسمونه (طاووسة شنكار)

سنجق الخالدين وهو المحفوظ دوما في خزانة الرحمن في بيت الامير في ناحية باعذرا من اعمال قضاء الشيخان مقر الامارة الايزيدية ويسمى (طاووسة عنزل) .

و تعرضت هذه الطواويس للنهب والسلب من قبل السلطات العسكرية الحاقدة التي تعاقبت على حكم المنطقة ، كما تعرضت هذه الطواويس لحملة من البحث والتحري عنها من قبل الأغراب بقصد سرقتها والأستيلاء عليها منها بقصد الأستفادة من أثمانها أو ابتزاز الأيزيدية ، او منها بقصد أيصالها إلى المتاحف الأوربية لتسريبها مقابل مردود مالي كبير بالنظر لرمزيتها وأهميتها .

ويذكر السيد اسماعيل بك جول ان الطواويس تم الاستيلاء عليها جميعا من قبل عمر باشا ، ولكنها أخيراً وفي زمن الوالي سليمان نظيف باشا تمت اعادتها واسترجاعها بعد ان حصل على الاذن باعادتها إلى اصحابها الشرعيين ، وانها موجودة الان لدى الامير في الشيخان . (8)

كما اورد السيد اسماعيل بك جول حادثة تتعلق بالطاووس ضمن كتابه ملخصها انه استطاع ان ياخذ الطاووس الذاهب إلى سنجار من القوال (سليمان خجولة) ، وقام بايداعه كأمانة لدى الشيخ خدر ابن الشيخ عبدال وهو ايزيدي يسكن مدينة الموصل ، وطلب منه ان لايجعله يخرج من داره مهما حصل ، ثم قاسم اسماعيل بك بنقله إلى دار صديق آخر له في منطقة النبي يونس في الموصل ايضاً ، ثم عاد ليخفيه لدى الدكتور الانكليزي (ستانلي) ، وبنتيجة الضغط والتهديد فقد قاموا باستعادة الطاووس منه . (9)

ويذكر جون . س . كيست انه كانت هناك ست نسخ مطابقة ، كل واحدة تدعى بأسم المنطقة المخصصة لها : شيخان (شمال العراق) ن سنجار ، زوزان (الأناضول) ، الشام (سوريا) ، تبريز وموسقوف (موسكوفي) والسنجاق الموسكوفي أبطل العمل به خلال السنوات الطويلة من الأضطهاد السوفيتي ، ولحد الان لم يتم أستخدامه بعد في زيارة القرى الأيزيدية بمنطقة ماوراء القفقاز ، وتوقف التجوال بسنجاق تبريز ، وكان يحتفظ بهذه النماذج – في الوقت الذي لاتكون في تجوال وطواف – في قصر الأمير في باعذرى ، أما الان فهي مخزونة في أماكن مختلفة . (10)

ويذكر الاب انستاس الكرملي بان طاووس من الاربعة طواويس التي سرقها رشيد باشا عام 1838 م عثر عليه في دكان ببغداد لشخص يدعى علي او فتح الله عبود من اهالي بغداد ، الا ان الاستاذ يعقوب سركيس فند ذلك في كتابه (مباحث عراقية) بقوله : ((أن الخبر الصحيح لهذا الطاووس عندي ، وما أقوله هو عن علم مؤكد أكيد مستند إلى تدوين سجل فتح الله عبود يوم شراءه لهذا الطائر وأنا سبطه – والحديث ليعقوب سركيس – وأنه في داره في غرفة الأستقبال ، ثم توفي

وبقي هناك باقياً عنده حتى سنة 1935 ، وأظنه باقياً عنده اليوم في غرفة الأستقبال ، ولاأبت في الأمر لأنه ليس في وسعي أن أسأل عنه .

أنه في بلاد الأنكليز في هذا الوقت ، وختم مقاله أن هذا الطاووس من صنع الهند للزينة ، وقد أشتراه فتح الله عبود من مخزن عام 1893 م ، في احد الأسواق القريبة من المدرسة المستنصرية في بغداد المتخذة يومذاك دائرة للكمرك ، وهذا الطاووس تحفة للزينة ، ليس من طواويس اليزيدية . (11)

سبق وأن اقتنى المتحف البريطاني تمثالا يقال انه خرج من معبد لليزيدية في الدهادية ! قرب ديار بكر في كردستان عام 1838 م كان لدى اليزيدية الساكنين في منطقة الخالتية ، وقد أهداه للمتحف المستر (إيمر شويغر) من كلكتا عام 1912 م وقد بحث المؤرخ السيد ر.هـ . و . أمبسن في كتابه ((طاووس ملك)) المطبوع في لندن عام 1928 م وزين به اول صحيفة من كتابه ، وقال عنه أنه متشكل من ثلاث قطع ومرتكز على قاعدة ومطلي بالأثمد (الأنتيمون) وقد زينت حاشية ذيله بصور بشر وحيوانات (تتعاقب صور الأنسان والغزال في القسم العلوي منه) ورأسه مرصع بأحجار الفيروزج ويبلغ أرتفاعه 35 عقدة ، ونحن ننكر أن يكون هذا الطاووس من طواويس اليزيدية وقد خرج من أيديهم ، فأن الطواويس السبعة الموجودة عند اليزيدية تخالفه شكلاً وحجماً ، وجميعها على شكل واحد وهي مابين الحمام والبطة وكل منها يكون من قطعة واحدة .

وليس عليها طلاء ولانقوش ، وأرتفاع الواحد منها لايزيد على ثماني عقد .. وأذا سلمنا جدلاً بأن لليزيدية طاؤوساً على الشكل الذي وصفه ، وقد خرج من ايديهم حقيقة فيجب أن يكون قد خرج من ((الشيخان)) لا من ((الدهادية)) في منطقة الخالتية في ديار بكر ، أذ التقليد الديني لم يبح لأحد من اليزيدية مهما كانت منزلته الدينية أن يكون في حوزته سنجق عدا الأمير الجالس على كرسي أيزيد وهو خليفته ، ولو كان ليزيدية الخالتية سنجق سنجق لوجب أن يكون ليزيدية سنجار وطور عابدين وحلب وبدليس ووان سنجق مثلهم ، وهذا لاتجوزه الشريعة اليزيدية مطلقاً ثم أين هو معبد ((الدهادية)) في منطقة الخالتية في ديار بكر ؟ ونحن واثقون بأنه لايوجد محل تسكنه اليزيدية يحمل هذا الأسم في هذه المنطقة لافيما مضى ولافي الحال الحاضر . (12)

يبدو للمتابع ان هذا الطاووس المقتنى من قبل المتحف البريطاني لاعلاقة له بالطواويس الدينية التي يحتفظ بها ويحافظ عليها الأيزيدية ، ذلك أن الأشكال والصور التي صنعت فيها تلك الطواويس تدل على قدمها لأنها تخلو من أية لمسة وظاهرة من معالم الفن الحديث ، فشكل الطاووس رمزي وتعبيري وهو يشبة بطة أو طائر بحجم كف اليد او اكبر بقليل في حالة الجلوس

وبشكل بسيط بعيد عن التعقيد ، و يرتكز على قاعدة تستند على قاعدة أعرض منها تنتهي بقاعدة كبيرة نوعا ما تلتحق بها قاعدة ثالثة ويستند الجميع على القاعدة الأساس التي يقف عليها التمثال مع قواعده ، ويستطيع الناظر أن يتلمس بساطة الصنع وعدم تدخل الفنون الحديثة في تجسيده .

ولم يتم التعرف على الزمن الذي صنعت فيه هذه الطواويس او المكان الذي صنعت فيه أو الأشخاص الذين أشرفوا على تصميمها وصنعها ، ونتيجة كثرة الحوادث والأنتهاكات فقد بقيت لدى الأيزيدية تمثالين للطاووس ، احدهما موجود في خزينة الرحمن الموجودة في دار الامير بالشيخان في خانة طاووس ملك ، وهو يتنقل بايدي امينة ضمن عائلة الامارة وهو في الوقت الحاضر بحوزة الامير تحسين بك الزعيم الروحي والامير العام للايزيدية في العالم .

اما الطاووس الثاني فهو طاووس الشيخان ، ويتم استلامه من مرقد الشيخ عدي بن مسافر عند ممارسة الايزيدية طقس زيارة الطاووس ملك للقرى الايزيدية بمصاحبة القوالين .

وبالرغم من أن الأب انستاس الكرملي يؤكد ضمن مقالة له منشورة في مجلة (أنثروبوس) في عددها السابع من العام 1911 م بأن الطاووس المهدى للمتحف البريطاني من قبل السيد شويغر هو أحد الطواويس الأربعة المسروقة من قبل رشيد باشا عام 1838 م ويزعم انه عثر عليه في دكان بائع عاديات ببغداد مسلم يسمى علي باعه بعد بضع سنوات إلى مسيحي مثر أسمه فتح الله عبود .

الا أن الحقيقة أن الطواويس التي استولى عليها رشيد باشا قسراً وأرسلها إلى بغداد تمت أستعادتها من قبل نظيف باشا وسلمت مرة أخرى إلى الأيزيدية ، كما أن الطواويس لاعلاقة لها بمنطقة الخالتية التي اورد ذكرها حيث تقضي العراف والطقوس الدينية ألآيزيدية أن تبقى الطواويس في مقر الآمارة وفي خزانة الرحمن فكيف تم أخراجها ؟ والحقيقة أنه لاتوجد قيمة مادية لهذه الطواويس فشكلها غير مغري ، كما أن معدنها من النوع العادي والرخيص وليس فيها مايثير الطمع .

كما أن من لم يتعرف على قيمتها الرمزية والدينية لدى الأيزيدية أنفسهم لن يستطيع أن يتوصل إلى قيمتها المادية ، لذا فأن الزعم بسرقة الطواويس الأربعة وأهداء أحدها إلى المتحف البريطاني زعم يعوزه العديد من الأدلة والقرائن ، بالأضافة إلى عدم أعلان المتحف الأنكليزي عن مثل هذه التحفة الدينية أكثر منها فنياً لحد الان ، مما يرجح النفي ، وأن التحف المباعة أو المهداة هي غير الرموز التي بقيت في حيازة الأيزيدية ، والتي بقيت بين أياديهم بالرغم من محنتهم وتاريخهم المليء بالمجازر والمذابح والظلم .

ويذكر السيد الدملوجي أنه طلب من الأب الكرملي أن يزوده بمعلومات عن سرقة هذه الطواويس الأربعة وعن هوية (رشيد باشا) وعن تفاصيل السرقة ، حيث كان في ذلك العهد ثلاثة يتسمون بأسم رشيد باشا ، الأول ((محمد رشيد باشا)) الذي ارتقى مسند الصدارة وعين والياً على سيواس ومأمور للأصلاحات في كردستان ، وقد تعسف وظلم الأيزيديــة ظلماً فاحشاً ، وسلبهم رموزهم وشتت تجمعاتهم وتوفي في العام 1868 م في منطقة ديار بكر ، والثاني ((مصطفى رشيد باشا)) المعروف بالديلومات وقد تقلد مسند الصدارة على عهد السلطان عبد المجيد ست مرات وتوفي عام 1857 م ببغداد ، والثالث ((صربخور رشيد باشا)) وكان مشيرا للخاصة وتوفي في العام 1860 م ، الا أن الكرملي لم يجبه . (13)

لم يقرأ لنا التاريخ أن أحداً من أبناء الأيزيدية من أشتغل بالتماثيل أو أنه عرف أن هذه التماثيل مصنوعة في زمن معين قريب ، او تعرف على صانعيها ، مع أن العديد من المذاهب والأديان القديمة من يعتمد الطاووس في ديانته وطقوسه ، ولايقتصر الأمر على الأيزيدية ، ففي الهند طائفة تتعبد بواسطة الطاووس أو تتخذه رمزاً مقدساً ، كما أن تمثال الطاووس موجود منذ الوجود الموغل في القدم في وادي الرافدين وفي مناطق الآشوريين .

كما وجدت اشكال للطاووس ضمن الأثار القديمة المعثور عليها ضمن مناطق البابليين والآشوريين ، ويستطيع المشاهد ان يجد بين المعروضات في المتحف العراقي رايات تمثل الطاووس ضمن الاشكال المتجسدة في الملاحم القديمة ، ويقول ألأيزيدية أن تماثيلهم المقدسة ونياشينهم موغلة في القدم ولاأثر للزمن الحديث عليها

ومما قام به الفريق ((عمر وهبي باشا)) أنه في العام 1892 م عمل على إجبارهم على تغيير ديانتهم قسراً إلى الأسلام ، ولما امتنع الأيزيدية وخالفوه في ذلك الأمر، قام بشن حملات من الأبادة والمجازر ، وأباح للجند أن يستولوا على ممتلكاتهم وموجودات بيوتهم ، وأمرهم بقتل النساء والأطفال منهم ، وجعل أرض الشيخان مصبوغة بدماء الأبرياء منهم ، ولجأ البعض منهم إلى الجبال والكهوف وتشردوا في الجبال والبراري والقفار يطلبون انقاذ ارواحهم منه ومن جنده ، ثم قام بالأستيلاء على طواويسهم وأرسلها صحبة ثلة من الجنود إلى بغداد للتصرف بها حيث تم حفظها في خزانة الجيش العثماني السادس ، الا أن هذه الطواويس أعيدت اليهم بناء على طلب من (سليمان نظيف باشا) الذي التحق بعمله بتاريخ 21 شباط 1895 م حيث طلب أعادتها اليهم فأستجابت السلطات إلى طلبه ، وأعاد الطواويس كاملة غير منقوصة وسط أحتفال مهيب وأمتنان جماهيري وابتهاج بالحدث ، وصرف الأمر عن أجبارهم في تغيير ديانتهم وزارهم في مرقد الشيخ عدي حيث أكل وشرب معهم بمقر الأمارة في باعذرا مما زاد أطمئنانهم وأمتنانهم له ، بعد أن كانوا يخشون القوات

التركية ويكرهونها بالنظر لتكرار العمليات العسكرية ضدهم ، وتكرار غدرهم والتنكيل بهم من قبل هذه القوات .

تشكل الأعراف والتقاليد التي يتمسك بها الشعب الأيزيدي جزء كبير من القيم الموروثة التي تناقلتها وحرصت عليها الأجيال ، بالرغم من المحن التي عاشتها ، حيث يتدخل الموروث الأيزيدي محاولاً أستغلال المناسبات الدينية ليشيع فيها الفرح والدعوة للبهجة وهما من المشاعر التي كادت أن تغيب عن الأيزيدية زمناً ليس بالقصير ، وربما نجد ان تلك المناسبات تمسكا بالفرح الذي لم يتمتع به الأيزيدية في حياتهم بسبب مانالهم من الحروب والملاحقات .

وهذه الأعراف والتقاليد الكثير منها لم تكن وليدة ظرف تأريخي أو رد فعل لحدث معين ، وإنما كانت تعبيراً عن أنسانية و أصالة وبساطة هذا الشعب ، وتأكيداً على قدم ديانته ، أذ كانت الأقوام القديمة تتمسك بذلك الموروث الديني ، بالأضافة الى ميله الفطري نحو توطيد العلاقات الإنسانية في جانبها السلمي ، الجانح نحو الخير وتفعيل قيم المحبة والتآخي والانسجام والتفاهم الأنساني ، ولهذا تجد أن الدعوة للرقص الجماعي (الدبكة) في كل قرية وبالقرب من أي مزار أو ضريح ، تعني الأنقياد طوعياً لتحويل الطقس الديني إلى انعكاس لواقع أجتماعي يضفي على الطقس مظاهر الفرح والأستمتاع الذي يشترك به الجميع نساءا ورجالا ، كبارا وصغارا .

يقول الدكتور كاظم حبيب : ((هناك مجموعة من الحكايات التي تتناقلها الشعوب شفاها أو مكتوبة تتحدث عن الحية بنوع من التهيب والأحترام والخشية معاً . وفي الميثولوجيا الأيزيدية تكمن في الحية ، كما في طاووس ملك ، قوة الخير والشر في آن ، كما هو الحال مع كل شيء ، ومع الرب أيضاً ، ففي الألهة آنو ونابو وطاووس ملك تتجسد في رؤية وديانات الكثير من الشعوب قديماً وحديثاً ، الثنائية في الواحد ، أي تتجسد في الألـه الواحد قوى النور والظلام ، قوى الخير والشر في آن واحد ، يذكر الدكتور خليل جندي إلى أن الحية منقوشة في مراقدهم (الأيزيدية) المقدسة وخاصة على الباب الرئيسي لمرقد الشيخ (آدي) في جبل لالش . وتقول الأيزيدية بوجود صورتين على باب الجنة أحداهما لطير طاووس والثانية للحية ، ويرد في الميثولوجيا الأيزيدية أن الحية لعبت دوراً مهماً في سد الثقب الذي حصل في سفينة نوح بعد أصطدامها بجبل سنجار ومنعت تسرب المياه اليها ، إذ لولا الحية لغرقت سفينة نوح .

ليست الحية هي الحيوان الوحيد الذي يقدس من قبل الأيزيديين ، فالحية تأتي بعد الطاووس في المرتبة (الحية السوداء من يحترمها الأيزيدية – الكاتب) ، ولكن هناك مجموعة أخرى من الحيوانات التي تقدس والتي كانت فيما مضى أو ماتزال حتى يومنا هذا تقدس أو تعبد أيضاً من جانب

أقوام وشعوب أخرى في هذا العالم الفسيح ، فهم يقدسون إضافة إلى الحية ، الثور والأسد والعقرب والكلب والديك وغيرها ، وهم في ذلك مختلفون ، إذ ليست هناك نصوص ثابتة بهذا الصدد ، وبالتالي متباينة بين الأيزيديين أيضاً ، وفي الوقت الحاضر لايأكل الأيزيديين لحم الخنزير ، ولكن لحم الخنزير غير محرم في ديانتهم ، بل جاء الأمتناع عن أكله بسبب معايشتهم الطويلة والمتداخلة مع الأكراد المسلمين في كردستان العراق أو في المناطق الأخرى .

ويخلص إلى أن تقديسهم الخاص لطاووس ملك ينشأ من أعتباره المخلوق الأول من قبل الله ، وأنــه أول ورأس ورئيس وطاووس بقية الملائكة . (14)

ويقول الدكتور كاظم حبيب ايضاً ((تعتمد الديانة الأيزيدية تمثالاً برونزياً يمثل الطاووس الذي يرمز ويجسد طاووس ملك ، ومكانه في مقبرة الشيخ عدي بن مسافر ، اضافة إلى ستة طواويس أخرى من نحاس أيضاً تسمى بالسناجق وتعطى لأفراد طبقة القوالين أي الدعاة ، الذين يتوزعون ويتوجهون بها صوب الأيزيديين في مناطق سكناهم للتبشير والدعاء والتبرك أتباع الأيزيدية بتلك الطواويس ومن أجل جمع التبرعات ...))

((وتتخذ جولة القوالين بسناجقهم الستة المعبرة عن الملائكة الستة الآخرين والتي تتجسد في الشخصيات الدينية المعروفة مناسبة لجمع التبرعات من الأيزيديين ، أي من المريدين على نحو خاص .)) (15)

ومن الجدير بالذكر أنه ضمن الأيام الثقافية لمهرجان لايبزغ السينمائي للأفلام التسجيلية قدم فلم عن أغاني ملك الطاووس من إخراج المخرجة الكردية فرناك أحمد عرض المهرجان فلما وثائقيا عن الديانة (الأيزيدية) بعنوان (أغاني ملك الطاووس) (لاحظ أن الأسم مقلوب) . ومما أوردته المخرجة من أن هذه الديانة تعرف شعبيا بإسم (اليزيدية) وحيث يعتقد البعض أن هؤلاء من أتباع يزيد بن معاوية ، فيما هم ديانة تعتقد بالإله الأسطوري (أزد) ومعناه بالبابلية (قرص الشمس) وقد عرف هذا الإله في الديانات القديمة قبل الزرادشتية. هؤلاء القوم يبلغ عددهم في العالم حوالي المليون ونصف المليون يعيش أغلبهم في جبل سنجار في شمالي العراق ، وهم قوم منغلقين على أنفسهم وخاصة في العلاقات الاجتماعية والتزاوج، إذ لا يتزوج الأيزيدي ولا الأزيدية من خارج مجتمعهم الديني ، و يؤمن هؤلاء القوم بمقومات الحياة الأساسية (النار، والهواء والماء، والتراب) وتحتل النار مكانة أساسية في طقوسهم الدينية ولذلك يظن الناس أنهم من عبدة النار!! والفلم بقدر ما عكس حياة الأيزيدية داخل المعبد فقط ، فهو قدم بعض المعلومات عنهم رغم انها معلومات تتخللها العديد من المغالطات والأخطاء وعدم الدقة ، وكان ينبغي الخروج من المعبد إلى حياتهم اليومية. الكاميرا

رصدت هذه الفئة الدينية وطقوسها ولكنها أخفقت في البنية السينمائية والدخول إلى عالم الأيزيدية وتأملاتهم لكي نخرج بمعلومة وقيمة تسجيلية هامة وغائبة.

وبالرغم من محور الفلم المتحدد في الحياة الطقسية داخل المعابد فأنه يرسم صورة أكيدة عن معالم حياة الأيزيدية الحقيقية من خلال تصوير وقائع الطقوس الدينية التي ربما شغلت بال العديد من المهتمين بالشأن الأيزيدي ، مما يستوجب على المهتمين بالأفلام التسجيلية أن يجنحوا إلى أخراج فلم تسجيلي عن حقيقة (الطاووس ملك) وكيفية القيام بطقوس السنجق وزيارته للقرى والأعراف والتقاليد التي تصاحب الزيارة بالرغم من المعلومات غير الدقيقة التي أوردتها المخرجة في سياق حديثها عن الديانة الأيزيدية والمجتمع الأيزيدي .

يقول الكاتب سعيد الديوه جي : ((أن إحترامهم لتمثال طاووس الملائكة)) كانت فكرة صوفية ، فأن بعض مدعي التصوف يرون : أن في السماء ديكاً جميلاً يسمونه (ديك العرش) يؤذن في الاوقات الخمس للصلوات الخمس ، فيسمعه المتصوفة ويؤذنون ، وأنه هو وطاووس الملائكة من أجمل المخلوقات وأقربهم إلى الله تعالى .

وأن الشيخ حسن عندما نظم دعوته أتخذ اعلاماً للثورة وزعها على النواحي التي لاقت دعوته إقبالاً فيها ، وجعل في رأس كل علم تمثالاً لطاووس الملائكة على شكل ديك العرش – الذي تخيله هو – تيمناً بما يذهب اليه بعض المتصوفة ، وبعد فشل حركاتهم بقيت هذه التماثيل عند أولي الأمر منهم ، وهي الطواويس التي لم تزل عند أمير الشيخان .

والذي يؤيد لنا (والكلام للمرحوم الديوه جي) أن هذه التماثيل هي بقايا الأعلام التي أتخذها السيخ حسن شعاراً لدعوته ، أن اليزيدية يسمونها (السناجق) – والسنجق هو العلم كما نعلم – وأذا ما أرسلوا تمثال طاووس ملك منها إلى قرية ما ، نادى أحدهم في أهل القرية : ان السنجق سيحضر في يوم كذا ، ولم يقل : أن طاووس ملك سيحضر في يوم كذا ، فهي بقايا سناجق الثورة ذهب الأصل وبقي الشعار ، وصار معبوداً عند أتباع الطريقة ، وأن كل علم – سنجق – كان مخصصاً لناحية من البلاد ، استغل الرؤساء اليزيدية هذا الشعب وعزلوهم عن غيرهم بما القوه اليهم من التعاليم ، ومنها : ان بقايا السناجق هي تماثيل لطاووس الملائكة الذي اختص بالامة اليزيدية دون غيرها . (16)

جرت العادة منذ القديم ان يرسل امير الشيخان كل سنة ((سنجقاً)) إلى اليزيدية القاطنين بلاد الروس لجمع نذورهم وخيراتهم ، وآخر سنجق أرسله كان قبل نشوء الحرب العالمية الأولى بزمن قليل ، وأختفت معالم هذا السنجق وطمس خبر القوالين الذين ذهبوا به خلال سني الحرب وبعدها ، وأخذت الظنون تحوم حول ذهابهم ضحية الويلات التي أولدتها الحرب ، وانقطع منهم حبل الرجاء ونسي

خبرهم ، الا أن الأمير سعيد بك كان يعتقد خلاف ذلك وأنهم لايزالون على قيد الحياة ، وفي العام 1927 م أرسل قوالين من قرية بحزاني إلى جهة ((إريفان)) للبحث عنهم ، ولكن هذين القوالين أيضاً ذهبا ولم يرد منهما خبر ، وبعد أن انصرفت الأفكار عن هذه البعثة ولم يعد أحد يذكرها ، ورد إلى الأمير كتاب من القوال (حسين بن القوال آدو) من أريفان يعلمه انه ورفاقه على قيد الحياة عدا شخصين منهم ، وأن القوالين الذين أرسلهما أخيراً للبحث عنهم قد ألتحقا بهم ، الا أن حكومة الروس السوفيتية قد حجرت عليهم ولم تدعهم يخرجون من بلادها ، وطلب من الأمير أتخاذ وسيلة لأرجاعهم إلى محلهم .

فراجع الأمير رجال السلطة من الأنكليز في العراق وطلب اليهم التوسط لدى حكومة الروس بالأمر فاجابوه ، وبعد مخابرات دامت نحو سنة وافق الروس على اخراجهم من بلادهم وأركبوهم باخرة تجارية وأرسلوهم إلى جزر بريطانيا ومن هناك جاؤوا إلى العراق وقد مضى عليهم خمية عشر سنة . (17)

ومنذ العام 1914 م أي منذ الحرب العالمية الأولى لم يبعث الأيزيديون الطاؤوس إلى أيزيدية روسيا في أرمينيا السوفيتية (سابقاً) ، وذلك لأن الحكومة السوفيتية كانت قد وضعت العراقيل في سبيل قوالي الأيزيدية وهم ينظرون إلى الحياة بمنظار آخر وأي الأوضاع أنسب ؟ (18)

أن طاؤوس (ئيزي) هو ليس بطاؤوس (عنزال) ، وانما أصغر حجماً من باقي الطواويس ، وهو في حوزة أحد الفقراء في سنجار ويدعى الفقير الشيخ خليل ، ويقولون أنهم أتوا به من منطقة خاليتا ويطوفون به في سنجار فقط ، ودون مصاحبة القوالين ، وانما الفقراء هم الذين يرافقونه ويرتلون الأقوال والقصائد الدينية (19)

وطاووس ملك الذي يرفع الأيزيديون تمثاله في طقوسهم ، كان معروفاً في الأديان العراقية القديمة ، فالطيور المقدسة من خصائص ديانة الآشوريين أيضاً ، وكانت عندهم بمثابة أرواح ، ذات سلطة على أعمال الناس .. وكان لها في قصر ملك بابل صور من الذهب على ماقاله فيلوسترانس ، ووصلت عبادة الطيور من آشور إلى الأسرائيليين ، فقد جاء في سفر تثنية الأشتراع (4:17) : (لئلا تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالا شبه طير ذي جناح مما يطير في السماء) ، كما كانت الديانات القديمة تجسد تماثيل لطيور مقدسة بينها الطاووس .

عقب أحمد تيمور على الأقتباس الأنف بقوله : ((افلا يحتمل أن تكون صورة الطاووس من بقايا الديانة البابلية)) ، ونحن نتسائل – والحديث للدكتور الخيون – بدورنا الا يخالف هذا رأي

تيمور القائل ((أن الأيزيدية الا طائفة من الصوفية ، ثم صاروا من غلاتهم ، وما زالوا يتمادون في الغي ، حتى باينوا جميع الفرق الأسلامية ، وخرجوا من ملة الأسلام جملة)) .

فالحمامة كانت في الحضارتين الآشورية و البابلية من الطيور المقدسة في الوجدان الشعبي. وكانت ومازالت في مفهوم الشعوب رمزا للوداعة والسلام ورمزا لأجمل الطيور.

وأذا كان ((طاووس ملك)) مقدس عند الأيزيديين ، فأي ديانة تخلو من تقديس وأحترام حيوان ما ، فالخنزير المحرم لحمه عند المصريين القدماء واليهود والصابئة والمسلمين ، كان مقدساً ، وعلة تحريمه الأولى انه كان طوطماً ، ثم تحول تعليل هذا التحريم إلى أسباب ميثولوجية ، كعدم أجتراره مثل المواشي ، كما فسر اليهود ، أو لانه بالأصل أنسان مسخ إلى خنزير كما عند المسلمين ، ولننظر إلى الهدهد ، كيف أصبح رسول النبي سليمان ، وحرم أكله في الشريعة اليهودية ، وكما ورد في القرآن الكريم ((وتفقد الطير فقال مالي لاارى الهدهد أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه ، أو ليأتيني بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد قال أحطت بما لم تحط وجئتك من سبأ بنبأ يقين)) (سورة النمل) ، لذا أكثر الناس من القول في الهدهد حتى عدوا عظمه مفيداً للسحر .

فما الغريب أذن في أن يكون للطاووس تمثالا عند الأيزيدية كرمز للعبادة ، فالأيزيدي يقول ((الطاووس عندنا هو الراية السماوية ، ورمز الاله ناشر السماوات السبع ، والمسيطر على الأرض التي يحكمها بالعدل والمعرفة . (20)

ويذكر الباحث رشيد خيون في كتابه القيم الاديان والمذاهب بالعراق ان للايزيدية فلسفة خاصة ، مفادها ان الملك المعني برفض السجود لآدم هو أحد الملائكة السبعة، وهو عزرائيل ، والصحيح انه عزازيل . (21)

الهوامش

(1) د. خليل جندي – المصدر السابق – ص 282

(2) خدر بير سليمان – المصدر السابق ص 23-24

(3) صديق الدملوجي – المصدر السابق – ص 10-11

(4) محمد عبد الحميد الحمد – المصدر السابق – ص 229

(5) سعيد الديوه جي – المصدر السابق – ص 129

(6) خدر بير سليمان – المصدر السابق – ص25

(7) اليزيدية قديما وحديثا – اسماعيل بك جول – المطبعة الامريكانية بيروت 1934 م ص 79

(8) اسماعيل بك جول – المصدر السابق ص 78

(9) اسماعيل بك جول – المصدر السابق ص 45–46

(10) جون س كيست – الحياة بين الكرد .. تأريخ الأيزديين – ترجمة عماد جميل مزوري / دار سبيرز للطباعة والنشر 2005

(11) مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد – يعقوب سركيس – منشورات وزارة الاعلام العراقية 1981 ص 294

(12) صديق الدملوجي – المصدر السابق ص 12

(13) صديق الدملوجي – المصدر السابق ص 13

(14) الأيزيدية ديانة تقاوم نوائب الزمان – د . كاظم حبيب – دار الحكمة لندن 2003 ص 35–36 / ص 80

(15) مقالة للدكتور كاظم حبيب منشورة بالعدد 7–8 من مجلة روز عام 2000 ص 12

(16) سعيد الديوه جي – المصدر السابق ص 126–127

(17) صديق الدملوجي – المصدر السابق ص 310

(18) خدر بير سليمان – المصدر السابق ص 31

(19) عيدو بابا شيخ حاشية وتعليق ص37 من كتاب خدر بير سليمان

(20) الدكتور رشيد الخيون – مجلة النهج – العدد 22 ربيع 2001ص183–184

(21) الدكتور رشيد الخيون – الأديان والمذاهب بالعراق – منشورات روح الأمين – طهران 2006

الفصل الرابع

عبدة الطاؤوس

وأذ نتذكر معاً أن الطاووس رمزاً قديماً طالما أعتمدته الديانات القديمة كرمز مقدس ، وحافظت على تقديسه وصورته ورمزت له في كتاباتها المسمارية ونقشته على ألواحها الطينية ، ودخل في أساطيرها .

وأذ تتعدد الديانات التي تعتمد الطاووس شعاراً مرة ورمزاً مرة أخرى ، وشكلاً جميلاً متميزاً لطير من الطيور مرات عديدة ، الا أن ندرته وجمال ريشه وتطور المفاهيم الدينية في المعتقدات القديمة حيث تطورت مع تطور الزمن وبقاء الطاووس ملازماً لها أمر يثير البحث والتساؤل ، أذ ليس أعتباطاً أن لايتم ذبح الطاووس وأكله من قبل الديانات القديمة والحديثة ، حتى أجمعت الكتب التاريخية والدينية أن الملائكة كانوا يتسمون بالطواويس ، وأن يكون رئيسهم وكبيرهم الملاك عزازيل هو نفسه طاووس الملائكة كما أسمته الديانة الأيزيدية ، وهي وجهة نظر تحتوي علي شيء من المنطق ، فالطاووس طائر جميل يتميز بألوان ريشه ، تسر النفس رؤيته لجماله ، وعدم توجه الأنسان إلى اكله .

وبالرغم من الأختلاف في النتائج ، فأن الأديان تتفق على أن الطاووس أعتمد رمزاً من الرموز التي كانت تسبح بحمد الله وتنفذ أوامره ، وبعد الأفتراق حيث يختلف دين الأيزيدية عن غيره من الأديان ، بعدم أعتقاده أن الله خالق الشر، لأن الله هو الخير بذاته ولايمكن أن يخلق غير الخير والجمال والمحبة ، حيث تنفي الأيزيدية أن يصدر عن الله أي أمر بالشر ، وأن الملاك عزازيل جزء من الذات الالهية خلقه من نور ولايمكن له أن يكون ملكاً للشر – حسب المفهوم الأيزيدي – لذا فأن تجسيد الملاك عزازيل بصورة الطاووس ، أستعادة لرسم الرمز القديم وأستعادة الشكل القديم الذي كانت تعتمده الديانات القديمة ، مما يوحي بعودة فطرية للأيزيدية إلى قدمهم وعودتهم للجذور الموغلة في القدم .

بهذا ألأفتراق صار الدين الأسلامي يسمي الملاك أبليس بأسم ((الشيطان)) أستناداً لنصوص ثابتة وصور قرآنية تتحدث عن قصة خلق الأنسان ، وقصة السجود والأمتناع ، بينما تؤكد الأيزيدية بأن الله لم يزل واحداً أحد لم يشرك به أحد ، وأن أبليس والذي هو عزازيل والذي هو نفسه رئيس

الملائكة وقد نجح في الأمتحان فجزاه الله عن ثباته بعدم السجود لغير الله ، فصار في أعتقادهم أول الموحدين .

وأستمرت الديانة الأسلامية على ثباتها وأستمرت الديانة الأيزيدية على موقفها ، غير أن الأيزيدية تحملوا العقاب والعذاب الذي لاتتحمله الجبال في سبيل هذا الموقف ، وبالرغم من التضحيات الجسام والعذابات القاسية بقيت الأيزيدية في قلوب اهلها يتناقلون طقوسها وأعرافها وتقاليدها وقيمها جيل بعد جيل ، واللافت للنظر أن الأيزيدية بقيت مصرة على أعتقاداتها وقصصها الدينية بالرغم من كل ماحدث لها من ويلات ومجازر وما تحملته من عذابات ، حتى أن قضية إيمانهم بالله قد طمست أزاء قصة الطاؤوس ملك .

ولم يزل بعض من يريد الأهتمام بالديانة الأيزيدية يستمد معلوماته من خلال قول او خبر يؤسس عليه مقالا او بحثا، ويعتقد بأن هذا القول المنفرد او المقالة اليتيمة تعبر عن المحتوى الحقيقي ، او تكشف حقيقة تلك الديانة ، وعلى سبيل المثال ما كتبه الطبيب أيمن محمد الجندي من مصر في موقع أسلام أون لاين يوم 15 مايو http://www.islamonline.net2007 حيث يقول :

((وتذكرت تلك السيدة من أكراد العراق التي تعتنق الطائفة اليزيدية التي صارحتني أن قومها يعبدون (مَلَكًا طاووسا) ولما ظهر عجزي عن الفهم قالت موضحة في رهبة: سيد إبليس.))

وحتى لاتختلط الأمور ينبغي ان نعرف أنه لم يعبد الأيزيدية الطاووس ملك مطلقاً ، ولا أعتبروه ألهاً لهم في أي فترة من الفترات ، مثلما نسجت حولهم الأساطير والقصص الباطلة أو المغرضة ، ولم يعبد الأيزيدية أيضا الخليفة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان مطلقاً ، ولاكانوا فرقة من الفرق الأسلامية التي أنحرفت عن الأسلام كما أورد بعض الباحثين ، كما لاعلاقة لهم بأية فرقة من فرق الأسلام مطلقاً ، وبالرغم من إضمحلال دور الأيزيدية في المجتمع بالنظر للسرية والانغلاق والتواري عن الأنظار ، تفادياً للمجازر والفتاوى التي تبيح دمائهم وتسلب ممتلكاتهم ، فقد ازدادوا انغلاقاً وتحوطاً وأزداد معهم التخلف والفقر والجهل وأهمال السلطات لهم تعمداً .

والمتمعن في الدراسة التي كتبها الباحث هوشنك بروكا والمنشورة في هذا الكتاب عن ميثولوجيا الديانة الأيزيدية ، يجد أن هذه الديانة كانت تهاب الطبيعة وتدخلها ضمن طقوسها ، فمن التراب المقدس يصار إلى عمل البراة ، ومن شقائق النعمان والبابونج يصار إلى علامة عيد الربيع فوق أبواب البيوت ، ومن شروق الشمس وغروبها طقس الصلاة ، ومن النور والظلام الصراع الأزلي بين الخير والشر ، ومن الرمز يصار إلى أختيار الطاووس للتعبير عن ((طاؤوس ملك)) ، ومن

الحية في أسطورة الأغواء الى معاني الخير والحياة ، ومياه العين المقدسة للتطهير والتعميد والمباركة .

ومن المؤكد ان الأيزيدية أعتقدت بالعديد من الأساطير والمعتقدات ، كأي ديانة أخرى ، وشكلت تلك المعتقدات والأساطير جزء مهم من منظومتها الميثولوجية

والميثولوجيا هي العلم الذي يختص بدراسة الأساطير، وغالبا تكون متصلة بالآلهة والعالم الغيبي المتخيل ، وتنوعت تلك الميثولوجيا بشكل ملون في طقوس تتعلق بالطبيعة والعطاء والفرح ، حتى يمكن ان تختلط المعجزات بالأساطير ، والرمزية بالمقدس .

وتستمد الأيزيدية من موروثها الموغل في القدم طقوس أستجلاب المطر عند شحته ، فحين تشح السماء يعمد الأيزيدية إلى عمل دمية من الخشب والخرق يسمونها (بوكا بارا ني) بمايشير إلى عروسة المطر لعرضها على الأرواح الشريرة الهائمة والتي منعت وصول المطر ، كي تشفق عليهم وتمنحهم المطر ، وهذا التقليد الأسطوري تقليد مشابه لما يمكن أن يقوم به أهل سومر حين تشح عليهم ألهة السماء بالمطر ، يصار إلى تقديم الأضاحي والقرابين وأن يتم صنع دمية من الخرق البالية يرفعونها على عمود ويصرخون بأسمها طالبين المطر .

وليس فقط الأيزيدية من قدس أشكال الحيوانات والطيور ، فقد سبقهم ولم يزل العديد من أتباع الديانات الشرقية في هذا المجال ، فالصينيون القدماء قدسوا ألأفاعي في معابدهم ، ومثلهم الهندوس ، ولاتغب عن بالنا قصة الحية التي حفظت السفينة التي تقل النبي نوح (ع) من الغرق حين سدت الثقب بجسدها وانقذت الخليقة من الغرق المحتوم وحفظت بالتالي البشرية من الأنقراض ، وترمز الحية إلى الخير دائماً ، ولم تزل بعض البيوت العراقية القديمة الشرقية لاتؤذي الحية الموجودة في البيت بأعتبارها (حية البيت) وتضع لها الناس الماء في آنية لتشرب منها ، كما تضع بعض العوائل الملح الى جانب الماء للتعبير عن أعتبارها جزء من العائلة لتمالحهم في طعامهم وحتى لاتؤذي أحداً منهم ، وتتبع العوائل طرق سلمية لأبعاد الحية عن الدار تتجسد في عدم أيذائها أو خشية من أنتقامها ، وكما وردت قصة الحية عند الزرادشتية فانها وجدت في منحوتات المثرائية .

وعند العرب في الزمن الجاهلي تم تقديس الحيوانات ، وأعتقدوا أن تلك الحيوانات تحميهم من شرور الاعداء ، ومن شرها أيضا ، وظنوا أن الحيوان يحميهم كما يحمي الطوطم أهله ، وكانوا يكفنون الحيوان ويدفنونه مثل الإنسان ، ويحزنون عليه كما يحزنون على ميتهم ، وتفاءلوا بالطيور وأصواتها ، ونباح الكلاب عند مجيء الضيوف ، وأنتشرت ظاهرة التشاؤم من الثور مكسور القرن ، ومن الغراب ، وعبدوا الشاة ، وصنعوا لتلك الحيوانات التماثيل ، كما صنعوا لغيرها من الحيوانات .

كما اكتشفت تماثيل في المنطقة القريبة من مرقد الشيخ عدي بن مسافر تتشابه مع تمثال الطاووس الذي يعتمده الأيزيدية ، بالإضافة إلى ما تم اكتشافه من رسوم داخل الكهوف والمغارات ، ومن خلال تلك اللقى والتماثيل البدائية التي تمثل اشكالا رمزية للحيوانات والطيور

ويتحدث المغرضين عن عبادة الأيزيدية لطاووس ملك ، وهم يخلطون بين الظواهر التي انتشرت في بلدان أوربية أو عربية ، وظهور تيارات دينية وهرطقات تدعو إلى عبادة الشيطان كنوع من انواع العبادة الوثنية ، وهذه المجموعات لاعلاقة لها بالأيزيدية ولاترتبط معها بأي شكل من الأشكال ، كما لاتلتقي معها بأي حال من الأحوال ، لأن الأيزيدية كما ذكرنا ونؤكد سابقاً لايمكنون الغريب من دخول دينهم ، ويتمسكون بقوة في مسألة نقاء الدم الأيزيدي ، أي ينبغي أن يكون الأيزيدي مولود لأبوين أيزيديين ومن عائلة أيزيدية ، أي بمعنى أنه ينتسب أولا إلى طبقة دينية ، وأيضا إلى عشيرة أيزيدية من الأكراد ، ولهذا فأن الأفتراءات التي ترد ضمن ما تطرحه بعض الكتابات المتطرفة ، التي تربط بينهم وبين هذه المجموعات بقصد الأساءة لهم ، تشكل محطة من المحطات العديدة في تاريخ محاربتهم والحط من قيمتهم بواسطة تشويه حقيقتهم وألصاق مالايليق بهم من قبل اعدائهم وهم كثيرون .

وفي مقالة للكاتب ميرزا حسن دنايي بعنوان (عبدة ملك طاووس الامريكيون ، المجاميع الوثنية وقصة اعداء الله) يقول :

فلسفة وتقاليد الفريين :

مدخل : في صباح يوم الثلاثاء المصادف 24 أغسطس 1999 وصلتني رسالة عبر البريد الالكتروني ، وكانت من صاحب إحدى دور النشر الصغيرة في كاليفورنيا ، لم يذكر المرسل إسمه الحقيقي بل اكتفى بكتابة أسم مستعار هو (تانارو) .

وذكر في مطلع رسالته : عزيزي ميرزا اني اتابع المواضيع التي تنشر في الانترنيت حول الايزيدية ، انه لشيء جميل ان تنشروا عن الايزيديين بحرية وجرأة ، لقد اعجبت بشكل خاص بكتاباتك حول (ملك طاووس) ، فنحن مجموعة من الايزيديين الامريكيين في مقاطعة كاليفورنيا .....

وكان سؤالي الطبيعي هو من أي جزء من كردستان انتم أو أصولكم قادمة ؟ وكان الجواب : نحن امريكيون ولسنا اكراد اً ، وقد اطلقنا على انفسنا بالايزيديين لاجل التشبيه لا اكثر ولأننا مثلكم نعبد الاله (ملك طاووس) ولأن مرشدنا ومعلمنا الديني يقول انه راهب أيزيدي .

ومن هنا بدأ مشواري في البحث عن هذه المجموعة الدينية ، وقادني ذلك إلى دراسة الوثنيين (باكان) في أمريكا ومن ثم الوثنيين الجدد (نيو باكانس) أو مايسمون أنفسهم بأعداء الله أو عبدة (الشيطان) ، وكانت هذه فرصتي لكي ادحض مزاعم اعداء الأيزيديين والحاقدين على الديانة الأيزيدية مايجعلهم يكنون الأيزيدية بعبدة الشيطان .

والحقيقة أن الذي جذبني أكثر لدراسة الفريين قبل كل هذه المجاميع هو أسم آلههم (ملك طاووس) ، وحتى لايقع القاريء الكريم في الالتباس ، احب أن أكرر أسم الههم وهو (ملك طاووس) وليس (طاووس ملك – الأيزيدي) .

(ربما أن نطق الأوربيين وفقاً لما يكتبونه عن أسم طاؤوس ملك ، اما حين يكتب الأسم بالعربية فأنه يصار الى الملاك طاؤوس – الكاتب) .

أود أن ابين أنني لاأضع مقارنة بين الأيزيدية وهذه المعتقدات سواء كانوا الفريين في هذه الحلقة أو غيرهم من المعتقدات الجديدة التي سأكتب عنها في الفصل القادم ، بل أحاول أن أثير بعض التساؤلات لأخرجها إلى دائرة الضوء .

ظهور المعتقد الفريي وجذوره :

تسمى هذه العقيدة (فيري – أو فري Faerie,Faery,Feri) يسمون أيضاً بالسحرة أو المنجمون ، ويرى تانارو أحد معتنقي هذه العقيدة وأحد تلامذة فيكتور أندرسون – الذي يعتبر العلامة الأول لهذه العقيدة ومحدثها أن صح التعبير ، يقول أن التقاليد الغربية قد نشأت في الأساس من جذور أفريقية على أغلب التقدير ، ولكنه لايستطيع أن يفسر أكثر من ذلك ولايجد ترابطاً جغرافياً لذلك ، فالفريية هي في الأصل تقاليد مجموعة صغيرة ضمن ديانة أمريكية شعبية كبيرة ، وأول مانشطت هذه العقيدة كان – كما يعتقد تانارو – في العشرين والثلاثينات من هذا القرن في منطقة أوريكون الأمريكية حيث نشأ فكتور وكورا اندرسون وكويديون ، ويعتبر الثلاثة من مرشدي ومبشري العقيدة الفرية ، ولايؤمن بهذه العقيدة أكثر من 25 شخصاً ، أما الذين ينسبون اليها فهم يناهزون الالف ، ولكن معظمهم لاينتمون إلى فصيلة أندرسون ولايطيقون مبادئه ، بل أكثر مايكون أنهم متأثرون ببقية الباكانس Pagans أو السحرة ، والجدير بالملاحظة أن عملية الدخول في هذه العقيدة وأعتناقها تستمر مايقارب من سبعة سنوات من الاختبار .

وقد ذاقت هذه المجموعة ولاتزال تذوق الأمرين من عدم الفهم والتقدير فتعرضوا لحملات التنكيل والأضطهاد داخل وطنهم مما حدا بهم إلى تطرف أكثر حتى جعلني أشعر وأنا أراسلهم بالبريد

الألكتروني كم هم جزعين ويخافون حتى من كشف خباياهم ، فقد أخذوا ينعتون من قبل الكنيسة بعبدة (الشيطان) فأصبحوا مكروهين حتى في ديارهم .

أرى انه من الصعب التكهن بالجذور الأصلية لهذه التقاليد بعيداً عن الأفتراضات الشخصية ، لأنها عقيدة أو تقاليد غير مدونة وتعتمد على مصدر واحد هو فيكتور أندرسون – الذي سنأتي إلى ذكره لاحقا – ولكن يمكن القول انها تقاليد ممزوجة بين جذور أمريكية قديمة – سواء لمهاجرين أفريقيين – حيث يظهر أسم الاله رع ، والاله إيزا بشكل عابر جداً في بعض نصوصهم الشفوية ، او سكان أمريكا القدماء – دور الشمس وتقديس الحيوانات – وبين مسألة تناسخ ألرواح التي سنأتي على ذكرها ، ويقول تانارو أن هناك جذور عقائد أسبانية ورومانية وربما عربية قديمة .

الخليقة في التقاليد الفريية :

مع ألأسف لم أستطع أن احصل على موافقة فيكتور أندرسون بنشر النص الأصلي أو ترجمة قصة الخليقة التي أرسلوها لي باللغة الأنكليزية ، أذ أن النص لم يسبق أن تم نشره بأية لغة ، فأصبح بأمكاني نشر محتوى النص بشكل عام على أمل نشره لاحقاً :

((الموجودون في الجنة كانوا الأله (ملك Melek) والالهة الأم – ملكة السماء المقدسة والتي يسميها الناس أيزا – فأراد ملك أن يخلق الأنسان على صورته ، لكن الالهه حذرته من أن خلق البشر سوف يجلب له التعاسة وسوف يخونونه ، لكنه يصر على رأيه لأنه يحب البشر .

فتقتنع الألهة وتقول : أيفوه ، هكذا الذرة يجب أن تكون وتخلق الحياة الأولى من بقايا ما صنع من (رع) حيث توضع في الماء وبعد زمن طويل يظهر الأنسان .))

الحقيقة هناك بعض الرموز المهمة في النص .

الالهة الأم يقول اندرسون أن ملك هو الخالق الأول وليس الألهة .

إسم الالهة أيزا

وجود أسم الاله المصري (رع) اله الشمس

كون بقايا (رع) التي مزجت مع الماء لتتكون الحياة الأولى

ورود أسم السماوات السبعة – في مكان آخر من ألأسطورة – حينما يظهر ملك بصورة طائر الطاووس فيزين السماوات السبع بريشه الجميل .

أسماء وألقاب ملك طاووس

كشف أسم إله الفريين في كتاب كورا أندرسون المعنون (ثلاثون عاماً من التقاليد الفرية) ، وقبل ذلك لم يكن الناس يعرفون أسماء الاله ، لانه محرم على المؤمنين نطق الكثير من أسماءه ، وتقول كورا في كتابها : في تقاليدنا الغربية يسمى الاله أيضاً بـ (ملك طاووس) الاله الطاووس الأعظم ، طائر الجنة والذي يبسط السماوات السبعة بهجة وأعجاباً أنه مشرق قوي وخالق إلهي .

ولهذه الاله أسماء وألقاب عدة منها :

مه له ك Melek مه له ك طاووس (ملك طاووس)

ديانيكلاس

الشيطان

ليمبا ، له مبه

لوسيفيرو

دامبالاه ويدو

او كوفه ر

زيشو

ولهذا الاله صفات عديدة على شكل ألألقاب منها :

الاله المشرق ، الروح المشرقة ، ملك الالوان المتعددة ، الملك الأزرق ، رئيس نجمة الصباح ، الملاك الطاووس ، الطاووس الفضي ، ملك الورود ، نور العالم ، جالب النور ، حامل النور ، الأسم ، العالم ، الختم ، المطرقة .

وهناك أسماء لايجب لفظها ، أو من النادر لفظها الا في المناسبات الدينية منها :

موركان ، كريشنا ، سابه أدي ، يزيد

اذا مالاحظنا هذه الأسماء والالقاب ، نجد أشياء مثيرة قد تحتاج إلى بحث خاص ، فمنها ماتصادف أسماء أيزيدية بحتة ، ومنها أسماء قديمة لألهة عبدها أقوام عدة – أمريكية أوربية

وشرقية – وأسماء لم يعهد لنا أن سمعناها ، طبعا سيكون من السرور أن نستقبل آراء القراء ذوي الالمام بهذه الاسماء لتفسير معانيها ، ونترك ذلك لكتابات أخرى .

شخصية ملك طاووس :

ملك طاووس في المعتقد الفريي هو الاله الخالق الذي يجمع بين الخير والشر وبين كل شيء في القطبين المتضادين ، ولكن الخير والشر بالنسبة له أشياء مطلقة ، أذن فالخير الذي نراه نحن والشر الذي نفسره نحن ، فكل مايفعله هو خير وصحيح لأنه يحب البشر وقد خلقهم على صورته الجميلة وأعطاهم من ذاته ، ويعتبر البشر من مجوهراته .

وقد نقل العلامة أندرسون قصيدة جميلة ، ذكر على أنها قصيدة مدح ملك طاووس ، وتعتبر هذه القصيدة من التراث الديني الغربي ، تقول القصيدة :

ياملك طاووس

نتوسل اليك ، دعائنا لك

ربنا أيها الجمال المبجل

الذي من جماله تشرق الشمس في الجنة

أنت ، كم جميل ذيلك

الذي يملأ السماوات السبعة من دويه

تعال وأشرق بنورك الملون فينا

وتتضح هنا الصورة التي يرى المؤمنين فيها ألههم فيصفون –جماله – من ناحية للدلالة إلى الجانب الخير والعطف الالهي ، ويصفون الرهبة فيه التي تملأ السماوات السبعة من (دويه) للدلالة على عنفوانه وقوته وجبروتة .

بعض الأعياد والمنسبات الدينية عند الفريين والباكانس :

يشترك الفريون مع العديد من المعتقدات الوثنية الأمريكية الأخرى في أحياء المناسبات والأعياد الدينية ، التي تملك كل واحدة منها طقوساً خاصة ، نكتفي في هذه الحلقة بكتابة أسماء هذه الأ'ياد على أن نعود اليها في المستقبل بتفصيل آكثر :

عيد الصيف : ويصادف 2 أغسطس (آب) من كل عام

عيد الشتاء : ويصادف 2 فبراير(شباط) من كل عام

عيد الربيع : ويصادف 21 مارت (آذار) من كل عام

عيد الخريف : ويصادف نهاية سبتمبر (أيلول) من كل عام

بالأضافة إلى عيد ديسمبر (كانون الأول) في منتصف الشهر

وهناك مجموعة أخرى من الأعياد لبقية الوثنيين أو أعداء الله لاداعي لذكرها الان .

المهم جداً في هذه الأعياد التي يحيي الفريون عدداً منها ، وجماعات الباكانس جميعها ، تصادف المناسبات والتواريخ مع مناسبات أيزيدية وكردية ، مثل عيد المربعانية الصيفي والشتوي ، نوروز ، جماعية وعيد أيزيد وبيلنده ، طبعاً السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هل هذا التشابه يعود إلى كون هذه المعتقدات مرتبطة بعوامل الطبيعة وفصول السنة فيكون تشابهاً مع الأيزيدية – الكردية ، ليس الا تشابه الهدف وهو – عبادة الطبيعة وعناصرها – أم أن هناك أكثر من حلقة وصل ؟ ولكني لن أحاول أن أجد أو أبرر التشابه وأترك ذلك لذهن القاريء ، بل لأنني لاأستطيع أن أفعل أكثر مما يفعله القاريء في هذه اللحظة وهو التأمل والبحث عن أستنتاجات شخصية .

تناسخ الأرواح وفيكتور أندرسون

فيكتور أندرسون هو شيخ أعمى يناهز الثمانين من العمر ، وأحد الشعراء المشهورين في أمريكا ، وهو علامة التقاليد الفرية ، ولد في العشرينات في منطقة أوريكون ، ويقول أنه أيزيدي بالروح ، وانه رجل دين أيزيدي ، ويعتمد في تفسيره لذلك على عملية تناسخ الأرواح ، حيث يعتقد أن روحه هي روح أيزيدية أو روح عالم ورجل دين أيزيدي ، ويقول انه في الثلاثينات من القرن الماضي قد اجتمع مع مجموعة من الأيزيديين بالروح في منطقة أوريكون الأمريكية وتطورت الفريية على مايبدو من خلاله .

لقد ترعرت في شنكال حيث لعب أشخاص عرفوا بمعرفة الروح دورا كبيرا هناك ، فقد اكتشف بعض هؤلاء ابار الماء في الجبل ، وأشاروا إلى آثار إدعوا انهم كانوا في حياة سابقة قد عاشوا فيها ، بل كانوا يملكون ادلة دامغة حول وجود اثار الماء وغيرها .

ومسألة تناسخ ألأرواح كانت هي التفسير الوحيد الذي استطعت ان اجده لوجود أسماء أو عادات أيزيدية بحته داخل التقاليد الفريية ، لأن فيكتور على مايبدو – خاصة وهو الوحيد الذي ينقل التراث الديني الفريي الشفهي على شكل قصائد – قد تأثر كثيراً وهو مولود من عائلة فريية بحياته الأخرى ، أو على ألأقل لنقل بالمفهوم العلمي ، كان متأثراً بالخيالات الفكرية التي كانت تأتيه بين الفينـة وأخرى ، حتى أصبح مقتنعاً أنه أيزيدي ، دون أن يعرف من هم الأيزيديون ، فقد كتب لي تانارو أن فيكتور نفسه لم يكن يعرف أكثر من أنه أيزيدي ، وعلم متأخراً أن هناك قوم في ميسوبو تاميا يسمون بالأيزيديين ، وكان ذلك هو السبب في أتصالهم بي ، لأعتقادهم أن هناك ترابطاً بين الأيزيدية والفريية ، أما أذا كان ذوو العلم يرفضون تفسيري هذا فسوف أكون متلهفاً لسماع تفسير آخر أكثر علمية . (1)

والمتمعن في فكرة الفريين يجدها تختلف تماماً عن فكرة الأيزيدية بالرغم من الزعم القائل بتطابق الأعتقاد بالتناسخ (تقمص الأرواح) عند كلا الطرفين ، الا أن قلب الأسم من (طاووس ملك) إلى (ملك طاووس) يوحي بأختلاف أولا ، بالأضافة إلى عدم وجود ترابط جذري أو ديني بين المجموعة المذكورة والديانة الأيزيدية ، بالإضافة أيضا إلى عدم تمكن المذكورين من دخول الديانة الأيزيدية قطعا لكونهم من غير ابناء الأيزيدية ، يجعل من الالحاق أو التبعية أو الضم أمراً غاية في الصعوبة والأستحالة ، بالأضافة إلى الغموض الذي يلف معتقدهم والالقاب التي لاتتطابق كلية مع المفهوم الايزيدي لاسماء الملائكة ولمفهوم طاووس ملك ، كما ان المجموعة تسمي نفسها بأعداء الله ، بينما تعتقد الايزيدية بوحدانية الله خالق الكون وهم من مخلوقات الله ، وهذا التناقض بحد ذاته كفيل بان يجعل منهم بعيدين عن الديانة الايزيدية وعن فهم أسسها .

لقد ظهرت في المنطقة العربية خصوصاً ظواهر ترمز إلى عبادة الشيطان ، وقد نشرت الصحافة المصرية في حينه مايشير إلى أن السلطات المصرية قبضت على مجموعة من الشباب يتداولون أفلاماً ويجتمعون على عبادة الشيطان ، وتم القبض عليهم في محافلهم الدينية .

وتكررت نفس الظاهرة في واحدة من دول الخليج ، وأن هذه الظاهرة تنتشر بين الشباب ، واتهمت الصحافة وكالعادة المحافل الماسونية والصهيونية من كونها هي التي بذرت هذه البذرة وروجت لمثل هذه الأفكار ، دون أن يقم أحد بتحليل هذه الظاهرة ومعرفة أسبابها وعمقها في نفوس المريدين وهم من الشباب المحكوم بقيم وأعراف وتقاليد صارمة .

واتهم (الغنوصيين) وهي فرقة نصرانية ظهرت في القرن الأول الميلادي بعبادة الشيطان ، وترى هذه الفرقة أن الشيطان صارع الله وتحدى مشيئته ، ثم تطورت هذه الفرقة بفعل أحد قادتها ومفكريها المدعو بولس الرسول ، حيث وسع من أفكارها .

الا انه في بداية القرن الثاني عشر الميلادي ظهرت بعض الوثائق التي تشير إلى وجود جماعة في فرنسا اتقوم على عبادة الشيطان في العام 1022 م ، وقد اتخذت الأجراءات القانونية والدينية ضدهم في حينها ، حيث اتهمت الجماعة بأنها تقوم بطقوس غريبة وماجنة ، من الحفلات الجنسية وذبح الأطفال إلى شرب الدماء .

وقد ظهروا أكثر من مرة في المدن الفرنسية حيث تم حرق 63 عضواً منهم في العام 1335 م .

ولعل (الياستر كرولي) أول من أعاد عبادة الشيطان في القرن العشرين ، ثم أنتشرت الظاهرة في بلدان عديدة ، حيث أنشأ الكاهن (انطوني لافي) في ولاية أوكلاند الأمريكية كنيسة لعبادة الشيطان وسجلها رسمياً في سجلات الدولة ، ويؤمها الأعضاء والمريدين بكل حرية حيث يشار إلى بلوغ عدد أعضائها أكثر من خمسين ألف عضو ، مما حدى بالكاهن المذكور أن يفتتح لها فروع في الولايات الأمريكية ، وأن لافي قام بنشر كتابهم المسمى (الأنجيل الأسود) في العام 1969 وتم توزيعه في الولايات الأمريكية .

أن ظاهرة عبادة الشيطان لاترتبط بأي حال من الأحوال بأسس الديانة الأيزيدية ، ونجد من الظلم والحيف أن يتم الأشارة اليهم في هذا الخصوص ، حيث لاترابط ولاعلاقة بينهما ، وليس غير السنوات الطويلة التي يمارس الأيزيديون طقوسهم ويتمسكون بديانتهم ، دون وجود أية تلميحات للشرور ولعبادة هذه الظاهرة ، وليس غير الدعوة للخير والمحبة التي تتضمنها الصلوات والأقوال الدينية لدى الأيزيدية ما يدحض هذا الأفتراء .

كما أن تأسيس الأحكام على مواقف وتفرعات لاتخص العقيدة ولاتدخل في أساس الدين يعد اجحافاً وظلما مريراً ، فلايمكن أن يقبل الأيزيدي مسألة اللعن ليس فقط لأبليس أو الشيطان وأنما لكائن من يكون ، وفلسفة رفض اللعن لها أسبابها وظروفها ، وربما تطورت هذه الفلسفة بسبب تكرار اللعن والشتم الذي يواجهه الايزيدية حين تجري محاصرتهم وأتهامهم قبل هذا الزمان ، ولكل فعل رد فعل كما يقولون .

يقول الدكتور الحمد انه في القرن السادس عشر الميلادي ظهرت في اوربا طائفة منشقة عن المسيحية تدعى (الأبيسدارية Abecedarins) قالوا بمبدأ العرفان الذي يبثه آله النور او الاب السماوي عن طريق روح القدس ، لذا فالناس ليسوا بحاجة إلى الكتب لمقدسة ، أو للقراءة والكتابة ، فالألهام الآلهي كاف .

كما ظهرت بدعة في احد أديرة الموصل (دير الطواويس) وقد فرض عليهم مطرانهم شمعون الانقطاع عن اللحم وارتداء الثياب البيض لميلهم إلى عبادة الشمس ، وتربية الطواويس ، وفي دير الشياطين قرب الموصل في فم الوادي كان رهابنة نصارى ايضا ثم أغواهم الشيطان فورطهم في الغرور ودانوا إلى عبادته وكانوا يربون الطواويس ايضا ويرون فيه انه عبد للسيد المسيح .

وكان المانوي عندما يسافر يحمل معه ديكا ليذكره بطلوع الشمس وغروبها ، وديك العرش أحد الرموز التي كانت شائعة عندهم ، وأظن أن الأيزيدية أستعاروها من المانوية أو الأسلام (2)

ويبدو أن الدكتور الحمد اعتمد على ماورد في كتاب (ذخيرة الاذهان) الجزء الاول لبطرس نصري الكلداني المطبوع بالموصل 1905 م ، وماورد من معلومات لايتفق مع الواقع ، فلم يؤيده أحد ممن كتب عن تاريخ الموصل ، سواء القس سليمان الصائغ أو السيد سعيد الديوه جي وهما من كتاب تاريخ الموصل ، من أن في الموصل ديراً يدعى دير الشياطين ، وأنسحاب قضية تربية الطواويس لايمكن أن يتم التأسيس الديني عليها ، وذلك لوجود بعض الهواة في تربية الطيور الجميلة ومنها الطاووس ، كما أن مجرد حيازة الطائر الطاووس لاتعني بالضرورة أيمان الشخص الذي يكون الطاووس بحيازته بالدين الأيزيدي ، وذلك الأستنتاج يعوزه المنطق ، ومهما يكن الأمر فيبدو أن مظاهر اعتقاد الناس بتصور معين ودوافع عاطفية تتمركز في اختيارها دينا او ممارستها طقسا يتحدد في أعتقادها ، فأن الأمر يبدو دائراً حول الفكرة الجوهرية المتعلقة بالأعتقاد .

غير أن جميع القصص التي وردت في الكتب عن ظهور تيارات أو مجموعات دينية تدعو لعبادة الشيطان أو الطاووس أو ملك طاووس أو تحاول الخلط بين الاسس والطقوس والأعتقاد لاتمت بصلة بالديانة الأيزيدية ، وكمؤشر واضح ينبغي علينا التركيز في ملاحظته يكمن في تلاشي هذه التيارات وتبدلها وتلبسها بأفكار أخرى ، وموت قسم منها لأسباب عديدة ، غير أن سر ديمومة الديانة الأيزيدية يبقى كامناً معها ، فهي قد حافظت على نفسها بالرغم من التضحيات الجسيمة ، وأن فقدت بعض كتبها الدينيةن وحرمت من تدوين نصوصها وتاريخها ، الا أنها بقيت تمد جذورها عميقاً ، مما يدفع بالمختصين بالبحث عن حقائق كثيرة ضمن الأيزيدية مطمورة تحت التراب وبحاجة إلى أن نجلي عنها ماطمرها وتعلق بها .

وليس جديداً ماطرحه بعض الكتاب من ألصاق تهمة عبادة الشيطان بالأيزيدية وأتخاذهم تارة أبليس آلهاً وتارة أخرى طاووس ملك آلهاً بديلاً عن الله ، وليس جديداً أن تصدر كتب تبحث في الأيزيدية بعنوان (عبدة الشيطان) ، بالرغم من المعرفة الأكيدة لهؤلاء الكتاب كون الأيزيدية تعتقد أن الله هو خالق الكون والناس والملائكة وأن الأيزيدية لاتعتقد بأن الله يخلق الشر، وأن الأيزيدية يوحدون الله ولايشركون به أحداً ، وقد أتسعت دائرة الاتهامات في لصق صفة عبادة الشيطان بالأيزيدية حتى تكرس في أذهان العديد من الناس هذا الافتراء ، مما يجعل مهمة الكاتب الحيادي والمنصف غير سهلة في أجلاء الحقيقة ونفي الأتهامات وعرض الواقع على الناس لأيصال الحقيقة المغيبة عن الأيزيدية وعرضها عليهم بتجرد .

وتعددت الكتابات التي اختلفت في توصيف عبادة الشيطان ، فمنهم من يؤكد ان الفلسفة قامت عند اليهود ، وبين من يتهم الصهيونية والمخابرات الأمريكية ، حيث بثت هذه الفلسفة في القاهرة وبيروت والكويت ، وبين من يجدها قديمة قدم الأنسان ، في حين أشارت بعض الكتابات إلى الأيزيدية انسجاما مع اتهامات مكتوبة لم يجر التحقق منها ، وفي كل الأحوال فأن من يتصفح الكتابات المنشورة ألكترونيا وورقيا عن هذا الجانب سيجد الأختلاف وتعدد الأراء جليا .

وحيث ان الديانات التي حلت على البشرية أكدت على الخير والشر ، غير انها جميعا على أختلاف عقائدها ، أكدت على الالتزام بأفعال الخير وترك افعال الشر ، كما انها أكدت ايضا أن افعال الشر يرتكبها البشر ولايمكن ان تكون مقرره من الله ، والتاريخ بحد ذاته هو صراع بين الخير والشر ، فكيف يمكن ان تكون الأيزيدية إلى جانب الشر ؟ وكيف يمكن ان يؤمن بها اتباعها ؟ ونعتقد ان تلك الأتهامات تتعلق بالأقصاء التاريخي والديني ، وليس اكثر دلالة على ذلك من ذلك الأقصاء الطويل المصحوب بالمجازر ، وذلك الأنزواء الذي عاشته الأيزيدية دهرا طويلا ، والذي صاحبه تكتم شديد وسرية في الممارسة الطقسية المصحوبة بالخوف والخشية ، من اجل أرغام تلك الشريحة على الأستسلام وترك ديانتها بالقوة .

يشكل هذا البحث المتواضع ورقة عمل بحثية لأثارة النقاش ، والأندفاع للتحاور ، وبقصد إثارة للأختلاف بغية التوصل إلى معلومات منهجية غابت عن العديد من الدارسين والمهتمين بهذا الجانب ، كما أنها بحاجة الى مشاركة للمهتمين بالشأن الأيزيدي من ألمثقفين الأيزيديين أنفسهم .

وحتى لايبقى طاووس ملك سراً محاطاً بالغموض أو ظاهرة تمتليء بالعديد من الشائعات والأفتراضات والأتهامات المتعددة ، كان لزاماً ان يتقدم احداُ بالدراسة ولو بشكلها المتواضع ، ويقوم بأضاءة الشمعة لعلها تنير كوة في زحمة الظلمة التي اعتادها الباحث في الشأن الأيزيدي عن مسألة مهمة مثل طاووس ملك ، والتي اعمت العديد من العيون والضمائر في الأتهامات والأفتراءات التي

صادفتها ، لذا أستوجب الأمر أن يتم الغوص في هذه الحقيقة وهي تشكل جزء صغير من منظومة الحقائق العديدة المطمورة عن الديانة الأيزيدية .

الهوامش

(1) مجلة روز – العدد 10 – ميرزا حسن دنايي 2001ص53–59

(2) محمد عبد الحميد الحمد – المصدر السابق ص 217 و 229

الفصل الأخير

من أستعراض بعض جوانب الفلسفة التي تؤمن بها الأيزيدية ، يتضح لنا بما لايقبل الشك أنهم يعتقدون أن الله هو الخالق الأزل ، وان الله خالق الكون والملائكة والبشر ، وأنه زرع الخير في عقول وقلوب الناس ، وان الله سخر الملائكة لتدبير أمور الكون ، وأن الأنسان حينما يموت فانه يحل في جسد آخر حتى يحل يوم الحساب الاخير ، حيث يعتقدون ان روح الأنسان لاتبقى هائمة أو مؤجلة انما يتم تطبيق العذاب الأول عليها قبل أن يحل الحساب الأخير ، والروح الخيرة تحل في جسد سعيد ومرتاح ، والروح الشريرة تحل في جسد حيوان او غيره من الهوام ، وأن (طاؤوس ملك) هو أحد الملائكة المقربين جداً الى الله ، وتعتقد الأيزيدية بان الله يملك ان يرفع الشرور عن الناس ويمنعه عنهم ، مثلما يستطيع ان ينشر الخير بينهم ، ويستطيع ان يأمر فيكون له الأمر ، ولذا تكون الأدعية وهي عبارة عن مطالب ينشدها الأنسان من الله ، مباشرة او بواسطة الاولياء ، ومثلما لاتؤمن الأيزيدية بأن الملاك (طاؤوس ملك) هو المكلف بنشر الشرور بين البشر ، ولايمكن أن يتسلط كملاك لينشر الشر وفق سلطته تلك ، لأن الشر نتاج تصرفات الأنسان .

كما ان الأيزيدية تؤمن بأن الله كتب لكل أنسان كتابه وكل مايحدث هو من عند الله في الولادة والزواج والوفاة لاخيار للانسان فيها .

وأن فكرة الطاؤوس ملك هي فكرة قديمة بقيت متلازمة مع حياة الأيزيدية ، وتعتبر الطقوس التي يمارسها الأيزيدية جزء مهم من الموروث الشعبي الأيزيدي التي يحرص على ممارستها ، تتشكل من خلال الاعراف الأجتماعية المتوارثة أو من خلال ما فرضته المقدسات في ديانتهم .

وشكلت حصيلة القرون الفائتة من حياة الأيزيدية علاقة جدلية بين الناس وتمثال الطاووس ملك ، كما شكلت السنوات الغابرة تمسكاً يشتد كلما أشتد الزمن قساوة ومحنة ضدهم ، فقد ميزت الشخصية الأيزيدية تمسكها بطقوسها البسيطة ، بالإضافة إلى ما سطرته الأساطير الشعبية من مشاعر أنسانية وأحاسيس ومفاهيم ذات دلالة أخلاقية ، جميعها تتعلق بشروطها التاريخية التي تدخلت في تلك الأساطير .

كما تميزت الشخصية الأيزيدية بالأنغلاق والخشية وفقدان الثقة ، من خلال الحملات الدينية او العسكرية المستمرة ضدهم ، وساهمت تلك الأمور في تراجع الوضع الثقافي والديني ، وضيعت عليهم العديد من القضايا التي يمكن ان تساهم في تثبيت معالم ديانتهم ، وتطوير موروثها الأجتماعي ، وتوضيحها بشكل عريض ، كما يحدث اليوم بعد زمن مرير .

ويمكن متابعة المحن العديدة التي جرت ويلاتها على الأيزيدية والتي أريد منها على الأقل تغيير ديانتهم والتحول عنها جبرا وقسرا ، بالأضافة الى ترك ممارسة الطقوس الدينية الرمزية المتمثلة بطاؤوس ملك وغيرها من الطقوس الدينية ، وبالأضافة الى محاولات تغيير قومية الأيزيدية التي مارستها ضدهم سلطات غاشمة لأسباب سياسية ، سواء بالترغيب او بالترهيب ، وبعد أستعراض هذه المحن نستطيع ان نقول بأزدياد تمسك الأيزيدية بشكل لافت للنظر بممارسة الطقوس الدينية بحكم التزاماتهم الدينية وأيمانهم ، وتمسكهم أكثر بديانتهم رغم كل ماتحمله الأيزيدي ومالاقته الديانة من تعسف وظلم ، والأصرار على التمسك أيضا بقوميتهم الكردية بأعتبارها الحقيقة التي لم تستطع جهات عدة ان تغيرها ، ليس بنتيجة رد الفعل أنما بسبب تغلغل العقيدة ورمزيتها في عمق النفس الأيزيدية ، وبسبب حقيقة تلك القومية وأرتباطهم بها ، والتي تؤكدها كتبهم الدينية وترانيمهم وأناشيدهم المكتوبة بالكردية ، بالإضافة إلى عشائرهم الكردية الأصيلة .

وقيلت العديد من الأفكار والأتهامات بحق ديانتهم وبحق طاووسهم ورجال دينهم وبحق جميع رموزهم ، الا أن التطور التاريخي والأجتماعي والثقافي أظهر أن العديد من هذه الاتهامات لاسند لها من الصحة ، فالأيزيدية لاتعتبر الطاووس ملك هو الله لأنه لايرقى الى مستوى الاله العظيم ، وانه الملاك الكبير والقريب الى الخالق حسب مايعتقده الدين الأيزيدي ، وهو نفسه رئيس الملائكة ، ويتحدد في موقعه الكوني من خلال قربه من الاله الكبير .

يقول الأيزيدي في الدعاء :

يارب أنت الاله !

يارب انت رب السماء

رب الشمس والقمر

رب جميع المخلوقات

انك رب العطاء

يارب انت خلقت نفسك بنفسك

وفي دعاء آخر يذكر في (قولي طاووسي) ضمن دعاء الطاووس ملك :

"ربِّ، ملك الملك الكريم.

ملك العرش العظيم.

ربٌّ قديمٌ منذ الأزل.

ربٌّ قدس الأقداس.

لك المديح والثناء.

ربٌّ، كلُّ الجهات،

تؤدي إليك..

يارب العالمين"

إن هذه السبقات تؤكد بجلاء تداخل سيماء شخصية خوده دي/الإله، مع سيماء شخصية طاووسي ملك، إلى درجة الحلول والتماهي. ففي ذات الوقت الذي يُنظر إلى طاووسي ملك لاهوتياً، على أنه ذاته في مستوىً، يُنظر إليه على أنه الآخر/الله (خوه دي) أيضاً في مستوى ثانٍ، ورغم أن السبقات المارة ذكرها، هي مقاطع من ((قه ولي طاوسي مه له ك/دعاء طاووس ملك)) ، إذ يبدو فيه هذا الإله على أنه ذاته في مستواه الأول، فإن الملامحَ التي يستقرؤها المرء/القارىء من بين ثنايا النص ودهاليزه، هي ملامحُ الإله الراجح في مستواه الثاني، أي ملامح طاووسي ملك بكونه الله ذاته/ خوده دي. لهذا يصعب على الإنسان الإيزيدي، الفصل بين حدود إيمانه بالله وحدود إيمانه بـ طاووسي ملك، فالتعالق الميثي بين شخصية الله، وشخصية طاووسي ملك في وعي الإيزيدي، له مرجعيته اللاهوتية والأثيولوجية الضاربة في أعماق التاريخ والإسطورة على حد سواء. (1)

يقول الكاتب الدكتور خليل جندي :

تكاد تكون مسألة طاؤوس ملك أو أبليس كما ينعته المخالفون للديانة الأيزيدية ، من أعقد المسائل التي عالجتها ميثولوجيا الشعوب ومن ثم الاديان ، وهي قديمة قدم ظهور الافكار الدينية ، وهناك فرق شاسع بين تصورات الديانة الايزيدية حول فكرة امتلاكهم طاؤوس وبين اتهامات الديانات المخالفة لها . (2)

ويعتقد الايزيدية بان الله خلق (طاؤوس ملك) في أول يوم اربعاء من شهر نيسان الشرقي ، ولهذا يحتفل الايزيدية بهذا اليوم في كل عام ، بأعتباره عيداً لرأس السنة ويسمونه (سرصالي) ،

ويسميه بعض عيد ملك الزين أوالاربعاء الاحمر ، وبهذا العيد تبدأ السنة الجديدة الشرقية الايزيدية حيث تسبق السنة الميلادية بـ 13 يوماً .

أن فلسفة الديانة الأيزيدية تخالف الديانة الأسلامية في قضية الخلق ومخالفة أمر الباري بالسجود لآدم ، حيث تعتقد الأزيدية أن الله جل وعلى أراد أن يختبر ذكاء الملاك عزازيل (والذي هو طاووس الملائكة) ، حين أمره أن يسجد لادم ، وهو الذي كان قد أمر الملائكة أن لايسجدوا لسواه ، فخر الملائكة جميعهم ساجدين الا عزازيل ، ولما سئل عن أسباب الأمتناع عن السجود ، برر للخالق بأنه لايسجد لغيره مهما كانت قيمته ومنزلته ولايمكن أن يساويه مع مخلوق من طين ، كما أنه أي الملاك عزازيل مخلوق من النور كجزء من الذات الألهية ، ولايمكن للنور أن يسجد للتراب أو للطين ، وبهذا تعتقد الأيزيدية أن الملاك عزازيل نجح في الأختبار وأمره الباري بتدبير أمور الدنيا . اما الأسلام فالقصة تخالف تفسير الأيزيدية ضمن نص مكتوب في سور القرآن الكريم .

غير أن مايوضح فكرة الأيزيدية ويزيدها تبسيطاً يكمن في عدم تقبلهم الشتم والنعت بأي صفة أو صيغة كانت ، لذا فهم لايشتمون أي ملاك أو أي شيخ أو ولي أو أي دين أو مذهب ، بل يرفضون البصاق على الأرض لما لقدسية التراب عندهم .

غير أن المهم في الأمر متابعة التاريخ الحقيقي لقضية التماثيل التي يصر الأيزيدية على أنها كانت سبعة سناجق وأن لكل منطقة تمثال ، وكنتيجة طبيعية للغزوات والمعارك التي خاضتها الأيزيدية ونتيجة للأخفاء والطمر فقد فقدت منهم ولم يتبق منها سوى أثنين .

كما تشير الأشكال الموجودة فعلاً لطاووس ملك أن اشكالها قديمة وتتمتع بالبساطة ، مثلما تتميز الطقوس التي تمارس وفقها بالبساطة أيضاً ، ومن يتمعن في تلك الطواويس يدرك بشكل لالبس فيه ، انها تماثيل تعود إلى عصور قديمة لبدائية أشكالها وبساطة تكوينها .

ولم تكن الطقوس التي يقوم بها الأيزيدية بحضور تمثال (الطاؤوس ملك) بمعزل عن ديانتهم ، حيث يشكل الطاووس فصلاً خاصاً يدخل فيه بعض خصوصيتهم ، مما يستوجب محاولة القيام بالكشف عن الصلة والتأثير المتبادل في الآراء بينهم وبين الديانات الموغلة في القدم أولاً ، وبينهم وبين الديانات التي التزمت أحكامها بقصص مغايرة ومختلفة عنهم ونقاط الألتقاء معهم .

وتتميز الايزيدية باعتقادها بتعدد الالهة الاعوان ، أي الملائكة الذين سخرهم الرب لأدارة شؤون البشر ، وهذه الملائكة جميعهم يتبعون رئيساً لهم من أقربهم الى الله وهو الطاؤوس ملك أو عزازيل فهو رئيس الملائكة ، ويبدو أن ظاهرة الأيمان بوجود ملائكة متخصصين بشؤون البشر يرجعون في

تصرفاتهم الى الله ، ظاهرة موغلة بالقدم وقد ترتبط بالظواهر الأيمانية والأعتقادية التي كانت سائدة في المنطقة منذ القديم ، حيث كان أله للشمس وأله للقمر وأله للفيضان واله للظلام مثلما هناك اله للظلم واله للحرب ، كما تتميز الأيزيدية كونها ديانة منغلقة على نفسها لاتقبل الانتماء والأنضواء تحت عقيدتها من قبل الأغراب ممن كان من دين آخر وترك دينه أو طرد لشتى الأسباب ، حيث أن الأيزيدي يشترط ان يكون مولوداً من ابوين أيزيدين ، كما يخرج من ديانتهم أي رجل تزوج أمراة من غير الأيزيدية أو تزوجت المرأة غير الأيزيدي .

تشكل قضية البداء التاريخي لظاهرة الطاووس ملك مسألة غاية في الصعوبة لعدم توفر المصادر التي تشير الى هذا الجانب أولا ، وعدم وجود كتب دينية مكتوبة للأيزيدية يتم إعتمادها والأستناد عليها في الوقت الحاضر ثانياً ، بالاضافة الى الأعتماد في المرويات من القصص على حفظ رجال الدين الشفاهية ، وحيث أن الطقوس لابد لها من جذور نبعت منها ولايعقل ان تكون قد حلت سائبة دون أساس ، كما أنه لايمكن معرفة التفاصيل والمعاني الدقيقة لهذه الطقوس مالم يتم الكشف عن أسس الرمزية ومدى متانة علاقتها بالعقيدة أو مدى ما أخذته من الأساطير بحكم التراكم الزمني والأستمرار في الالتزام بممارستها .

وظاهرة مثل ظاهرة زيارة الرمز الديني لتمثال الطاووس كل عام من مكانه الى القرية التي سيحل فيها وأحتفاء الناس بحامل الرمز ومسايرتهم للموكب ، تشابه الى حد ما مواكب العراقيين القدماء حين يسايرون المواكب الدينية حتى المعابد ، والطقوس التي تمارسها الأيزيدية لم تأت من فراغ أنما تستمد اساسها من طقوس بدائية قديمة .

يقول الكاتب هوشنك بروكا من المانيا :

((بالرغم من علوِّ شأن طاووس ملك، بإعتباره إلهاً كلي القدرة في الديانة الإيزيدية، إلا أنه لايزال كفكرة لاهوتية أصلية، يعوم في جو من الضبابية والسرّانية الملغزة، سواءً على مستوى الباحث الخبير، أو على مستوى المؤمن المستسلم لأقداره. قلّةٌ قليلةٌ من الباحثين والدارسين، حاولوا الإبحارَ في هذا "الشمال"، ربما لصعوبة عبوره، فبات شمالاً إشكالياً بين كَرِّ الخالق، وفَرِّ المخلوقِ. لذا فطرقُ باب موضوع شديد الحساسية كهذا، لا بدّ وأن يفتحَ المجالَ أمام العديد من الإشكاليات. وأولى هذه الإشكاليات، هي إشكالية المصطلح، وفي خصوص الإشكالية الإصطلاحية حول أصل فكرة طاووسي ملك/تاوز،)) .(3)

وحقاً أن الموضوع شائك ومتعدد الأشكاليات ، ولم يتطرق اليه بشكل تفصيلي أحد من الكتاب الذين تناولوا موضوعات الأيزيدية ، أذ جائت أغلب الدراسات بشكل عابر وبشكل غير تفصيلي ، يبتعد

عن معالجته العديد من الكتاب ، ويعتبر التعرض له نوعا من المغامرة او التوريط ، وقد يكون الكاتب بروكا والدكتور خليل جندي على حق في عدم الغور بعيداً في هذا الجانب القديم ، والذي يحتاج الى بحث أكثر عمقاً وأبعد غوراً لأستكشاف حقائق عديدة مدفونة ضمن تلال الأيزيدية ، التي بالغ الأعداء في طمرها وتعمد اخفائها في صفحات التاريخ القديم والحديث ، غير أن عملية البحث عن الحقيقة لاتمنع من الغور بعيدا في تلك الجوانب ، بالإضافة إلى محاولة أيقاد شمعة في البحث ضمن النفق المظلم ، لتنير الطريق لما سيكتبه المستقبل .

فقد تعرضت الأيزيدية ورموزها وحتى طقوسها للأفتراءات والكذب والتشنيع ، وكما تعرضت أرواح معتنقيها للفناء والقتل والذبح بسبب العقيدة ، فقد تعرضت رموزهم الدينية البسيطة بما فيها التمثال الخاص بطاؤوس ملك الى المصادرة والسرقة والأتلاف ، اسوة بكل المقدسات التي كانت تتعرض للتخريب المتعمد والأنتقام المريض البعيد عن العقل والوجدان .

وتقع على عاتق علماء الآثار والمؤرخين والمهتمين بكتابة التاريخ منهم ، مهمة نفض غبار هذه الأقاويل ، واماطة اللثام عن الوجه الحقيقي لهذه الديانة وطقوسها البدائية البسيطة في حضارات هذه المنطقة القديمة، ودورها في قيام الحضارة منذ بزوغ فجرها أبان العصور الحجرية ومن ثم العصور التاريخية اللاحقة .

ويبدو أن أسم عزازيل لم يأت من اللغة العربية ، فقد اقتبس المسلمين من اليهود لقب ملك الموت الذي يطلقونه على الملاك عزرائيل لأن اليهود يطلقون عليه هذا اللقب بالعبري. ويتفق الفريقان على اسم هذا الملاك، ولا يوجد بشأنه سوى اختلاف زهيد بينهم . فاليهود يسمونه (سمائيل) والمسلمون يسمونه ((عزرائيل)) . غير أن كلمة ((عزازيل)) ليست عربية بل هي عبرية، ومعناها (نصرة الله) . ولم يرد اسم هذا الملاك في التوراة والإنجيل ولا في القرآن . فيتضح أن اليهود اقتبسوا معلوماتهم عنه من مصدر آخر، والأرجح أن مصدر معلوماتهم هو ((الأفِستا)) ، التي ورد فيها أنه : إذا وقع إنسان في الماء أو في النار أو في أي شيء من هذا القبيل فغرق أو احترق، فلا يكون سبب موته الماء أو النار، بل ملاك الموت ، لأنهم زعموا أن عنصري الماء والنار صالحان ولا يؤذيان الناس. ويسمى ملاك الموت بلغة الأفِستا . (انظر كتاب ((الونديداد)) (فصل 5 الأسطر 25-35).

يتضح من الأحاديث ومن كتب الزرادشتية أن الطاووس وافق من بعض الوجوه عزازيل الذي هو أهرمن، لأنه ورد في ((قصص الأنبياء)) أنه لما جلس عزازيل أمام باب الجنة ورغب في الدخول فيها رأى الطاووس الذي كان جالساً على الجنة واحداً يتلو أسماء الله العظمى الحسنى. فسأله

الطاووس: من أنت؟ فقال له: أنا أحد ملائكة الله. فسأله الطاووس: لماذا أنت جالس هنا ؟ فقال له عزازيل: أنظر الجنة وأتمني الدخول فيها. فقال له الطاووس: لم أؤمر بإدخال أحد إلى الجنة ما دام آدم عليه السلام فيها. فقال له: إذا كنت تأذن لي بالدخول فيها أعلّمك صلاة من تلاها نال ثلاثة أشياء: أحدها أنه لا يكبر، وثانيها أنه لا يصير عاصياً، وثالثها أنه لا يطرد من الجنة . فأخبره إبليس بهذه الصلاة فتلاها الطاووس فطار من سور الجنة إلى الجنة ذاتها وأخبر الحية بما سمعه من إبليس. وذكر بعد هذا أنه لما أهبط الله آدم وحواء وإبليس من الجنة إلى الأرض طرد الطاووس معهم أيضاً. أما قصة الطاووس في كتب الزرادشتية فتختلف عن هذا .

ومهما كان الأمر في هذه القصص أو في تعدد الأسماء التي أوردنا قسم منها ضمن بحثنا هذا ، فأن التجسيد الرمزي لتمثال الطاووس الموجود حالياً بحوزة الأيزيدية لايمثل قطعاً الدلالة على كونه يمثل الاله الكبير الذي يطلق عليه باللغة الكردية (خودا) وهو الله العلي القدير باللغة العربية ، وأنما تجسيد ورمز لطاووس ملك بأعتباره الملاك المقرب الى الله ، وكذلك بأعتباره رئيس الملائكة المتميز عليهم .

وأن قصة عبادة الطاووس بديلاً عن الله لاسند لها من الواقع في الديانة الأيزيدية ، حيث تؤكد الأيزيدية بما لايقبل الشك عبادتها لله الواحد الأحد خالق الأكوان والأنسان والحيوان والملائكة ، وأن الملائكة يستمدون وجودهم من نور الله ومن ذاته الالهية ، أن طاؤوس ملك هو كبير الملائكة ورئيسهم وانه مخلوق من النور ، وأن المجموعات التي خرجت في مناطق من الشرق العربي أو في أوربا تعبد أبليس أو الشيطان أو تقدسه بأي شكل كان وبأي صفة كانت لاتمت لهم بأية صلة .

كما أن الأيزيدية لاتقبل هذه المجموعات في دينها مطلقاً لكونها من الديانات المغلقة المقتصرة على ابنائها ، ومن غيرالديانات التبشيرية ، لذا فأن الأتهامات والتخرصات التي توجه لهم بسبب ظهور بعض المجموعات والأرهاصات الدينية أو العقائدية لاتتعلق بديانتهم ولايتحملون نتائجها ، بالرغم من أستغلالها أستغلالا سيئا من قبل بعض الكتاب ورجال الدين وبعض الصحف العربية .

ولم تكن فكرة الرمزية التي أتسمت بها الطقوس الأيزيدية بعيدة عن الممارسة الدينية للجماعات المتوطنة في الشرق ألأوسط او الديانات القديمة في الشرق عموماً ، فقد كانت تلك المجموعات على الدوام تعتمد الرمزية في طقوسها وفي عباداتها .

ويمكن ان نخلص الى أن الأصل في الديانات هو إلأحساس الكامن في أعماق النفس الإنسانية ، وهذا الإحساس نابع من جذور عميقة تتداخل فيها بالأضافة الى مكونات النفس البشرية والتقبل الروحي للعقيدة فأنها تتأثر بشكل واضح بمحيطها الأجتماعي والأنساني ، لتظهر على شكل تعابير وطقوس وترانيم وعبادات تكون العقيدة أساسها بشكل كامل وكلّي، ثابت لايمكن ان

يتغيَّربيسر وسهولة مهما كانت قوة المتغيِّرات ، ومن خلال ثباته يمكن ان تظهر المتفرعات و تنشأ المتحوِّلات ولكنها لايمكن ان تلغي العقيدة برمتها . ويمكن ان نعتبر الطقوس والرموز في أية ديانة من الديانات جزء ميثولوجي من العلاقة الانسانية بين الأعتقاد المادي والروحي ، وحيث تحل في الذهن فكرة الإله الواحد ، فأن الأيزيدية التي ظلمت وأخفيت حقيقة عبادتها وتوحيدها لله الواحد الأحد ، من ضمن هذه الديانات التي تلتزم بالقيم الروحية ، وتتداخل فيها الطقوس والرمزية ، بحيث أضحت الرمزية جزء من مظاهر ومعالم هذه الديانة ، تشكل جزء من الأعتزاز الشعبي والأعراف الدينية التي تحيط بها ، وتعكس أتباع الديانة الأيزيدية ذلك في التبجيل والقدسية التي يظهرها الناس خلال زيارة الطاؤوس ملك الى القرى الأيزيدية ، والذي يشكل ويجسد الصور والرموز. هذه الصور والرموز تعني الميثولوجيا الأيزيدية والأيمان الروحي .

وليس فقط الأيزيدية من يشغلها الطاؤوس ملك أو عزازيل ، إنما أنشغل الصوفية من المسلمين بذلك أيضا ، ويذكر أن الحلاج ، الحسين بن المنصور المتوفى 309 هـ /922 م يقول في طواسينه :

جحودي فيك تقديس وعقلي فيك تهويس

ومـا آدم الاك ومن في البين أبليس

وليس أدل من أرجاع كل متطور وجديد في الحياة من قبل رجال الدين إلى أبليس ، وربما ان القوة الخارقة التي يصنفها بعض رجال الدين اليه والى أتباعه ، دليل على حجمه في العقل البشري وخصوصا في الدائرة التي يعيش ضمنها الأيزيدية .

ولعل العزوف عن التطرق عن حقيقة الديانة الأيزيدية عموما من قبل كتاب التاريخ ، ما يجعل تلك التخرصات والأتهامات غير الحقيقية تطغي وتنتشر ، فقد أضفت كتب التاريخ سحابة من الغيوم حول حقيقة هذا الدين ، وعن حقيقة الرمزية في طاؤوس ملك ، وظهرت تلك الأفكار التي تعاديهم وتعلن عدم حياديتها في محاربتهم ولو بالكلمة والتدوين التاريخي .

لايختلف أحد على أن الأيزيدية من الكورد ، وكانوا ولم يزلوا وسيبقون في منطقة كوردستان العراق ، وانتشروا أيضا في مناطق تركيا وسوريا وأرمينيا ، وأنهم يؤمنون بديانة لها خصوصية تعيش جنبا الى جنب مع العديد من الديانات القديمة في المنطقة ، وان هذه الديانة تجعل لبقعة من الأرض معينة في كوردستان قدسية كبيرة ، وهي منطقة لالش ، ولهذا فأن مركز الديانة الأيزيدية تكون ضمن هذه الدائرة .

ولا يختلف احد أيضا على الوقعات التاريخية التي جرت عليهم ، والمجازر والمذابح التي تحملها مجتمعهم بسبب تمسكهم بعقيدتهم وعدم التحول عنها بالقوة والقسر ، ولم تزل تتحمل النكبات والويلات التي تقترفها عقليات متطرفة ومنحرفة لحد اليوم .

غير أن أحدا لم يسأل نفسه عن الأسباب التي دفعت المؤرخين وكتبة التاريخ إلى إلغاء وشطب كل ما له علاقة بالتأريخ اليزيدي ، فلا حضور للأيزيدي في كل المتغيرات التاريخية ، ولا أثر للأيزيدي في مراحل التاريخ القديم والحديث ، بالرغم من أن الكتابات التاريخية التي كتبت عنهم عبرت عن وجهة نظر غير محايدة ولا تمثل الحقيقة ، وصارت تلك الكتابات التاريخية ما توزعهم دون غيرهم على القوميات ، فصيرتهم مرات عدة على أنهم عربا مرتدين عن الإسلام ، وأعتبرهم آخرين مسيحيين حرفوا العقيدة المسيحية ، وأعتبرهم بعض على أنهم بقايا الزرادشتيين على أرض العراق ، وغالى بعض في اعتبارهم من عبدة الشر والشيطان فأستحقوا اللعنات .

والأيزيدية دون غيرها كانت مستهدفة في ديانتها أكثر من مجتمعها ، وصارت مثار خلاف حول حقيقة منشئها وتكوينها ، وأعتبرها بعض الكتاب أنها الديانة الأكثر تقاطعا وتعارضا مع الإسلام ، في طريقة العقيدة والسلوك والأيمان دون ترتيب السندات التي تعرض لهذا التقاطع ، ودون أي دليل يؤكد هذا ألاتهام .

فإذا كانت الأيزيدية حركة أموية نشأت من داخل بنية الدولة العربية والإسلامية ، فلماذا تقتصر على الأكراد دون العرب ، وهل توقف عملها من اجل إحياء تلك الدولة المندثرة ؟ وهل اتفق الأيزيدية اليوم على إسقاط تلك الفكرة السياسية من مناهجهم ؟ وأين انتهت تلك الدعوة ، بل وأين صار الأيزيدية منها اليوم ؟ وهل يعقل أن تكون الأيزيدية منشقة عن الإسلام بسبب تعصبها للخليفة الأموي يزيد بن معاوية ؟ حيث تم استغلال تشابه أسم الله (أيزيد) مع أسم الخليفة الأموي (يزيد) للطعن والتنكيل بهم . ثم الم يحن الوقت لنكشف عن عدم وجود ترابط بين الأساس الديني والفلسفي لديانتهم وبين الدعوة السياسية المزعومة ؟

وإذ تكشف الأيزيدية اليوم للناس حقيقة أيمانها وتمسكها بالخالق ، والتي تتطابق في حدود الأيمان مع كل الديانات التي تؤمن بالله (خدا في الكوردية) وتؤمن بالتوحيد ، وإذ تكتشف الناس مدى تطابق العديد من القيم التشريعية والدينية العامة مع الديانات الأخرى ، فتتوضح قضية التداخل والتلاقح بين تلك الديانات في العديد من القيم والأعراف والطقوس ، بعيدا عن استبعاد ديانة على حساب الأخرى .

وإزاء التجاذب القومي أوالديني الذي يريد أن يضم الأيزيدية تحت معطفه ، أو بروز المصالح السياسية التي تتجاذب قضية الانتماء الأيزيدي وفق الظروف والمكان والزمان ، تبدو أهمية الأيزيدية واضحة في كل هذا بالرغم من كل التجاهل التاريخي أو التعتيم الذي مورس ضدهم في كتب التاريخ القديم والحديث .

وإذا كانت الأيزيدية من الديانات التي تؤمن بها مجموعة بشرية ، فهل يعقل أن يتم حصر تلك الديانة التي قاومت كل تلك الأحداث والهزات ضمن حيز جغرافي وتأريخي ؟ في حين نجد أن العديد من

أبناء ديانات أخرى لهم التأثير والحضور في الفترات المختلفة للزمن القديم والمكان ، وحين ندقق في الصراع التاريخي الذي حصل بين الديانات ، لانجد ذلك التعرض الواضح ضد الديانة الأيزيدية ، فهل أن أبناء الأيزيدية كانوا يختبئون في مجاهل الأرض وغابات أفريقيا حتى يمكن أن يتمسكوا ويصمدوا ضد عاديات الزمن ؟ وهل أن ابناء الأيزيدية كانوا غائبين عن الوعي حتى يمكن أن يبقوا تحت الأرض ليتعرفوا على ما يجري فوق ألأرض ؟

بالتأكيد أن ثمة حقائق مخفية ومغيبة عن ضمير من كتب التاريخ ، فقد تم تغييب ليس الأيزيدية باعتبارها ديانة قديمة وتتمسك بها مجموعة بشرية ، إنما تم تغييب الكورد بشكل عام عن حقائق كثيرة من التاريخ ، ولم يلتفت احد الى تلك الكلمات السومرية والأشورية والبابلية والاكدية التي لم يزل يتعامل بها الايزيدي سواء في تعامله اليومي أو في طقوسه الدينية ، وماهي أسباب بقاء تلك الكلمات المتطابقة ؟

وإذ يتم تحريف الاسم بغية التناغم والانسجام مع وجهة نظر التاريخ المكتوب من وجهة نظر واحدة ، فيصيروا (يزيدية) بدلا من (ايزيدية) ، ويتم نسبتهم الى يزيد بن معاوية أو الى يزيد بن انيسة الخارجي حسب مقتضى الحال ، مع أن كتاب التأريخ يدركون حقيقة عدم وجود ترابط ديني أو فقهي بين هذه ألأسماء وبين الديانة الأيزيدية ، فيصيرهم بعض على أنهم الجنود الأكراد الذين أعتمدهم الخليفة يزيد بن معاوية في حربه لقمع ثورة الحسين بن علي (ع) ، واستغلال تلك الافتراءات في قضية انشغال الأمة الإسلامية في مسألة الصراع الأموي مع المسلمين الشيعة ومحبي آل بيت الأمام علي بن ابي طالب ، وينسبهم بعض على أنهم أولاد الجن الذين بقوا في الجبال .

وإذ يتم تغييبهم عن الضوء ، فلا وجود لهم في التاريخ القديم ، ولاأثر لهم في زمن الفتوحات الإسلامية ، مع أن الفتح الإسلامي وصل الى مشارف جبال كوردستان وتوقفت تلك الخيول الهادرة والجمال من الصعود على صخور الجبال ، غير أن أحدا لم يكن يفسر الأسباب التي دعت الأمة الكوردية التي اشتهرت باعتناقها الديانة الأيزيدية والزرادشتية واليهودية والمسيحية قبل أن يحل عليها نور الأسلام ، أن تبقى مجموعات بشرية غير قليلة متمسكة بدياناتها القديمة ، فكيف عبر الأسلام تلك المجموعة البشرية التي كانت ضمن المجتمع الكوردي ؟ وماهو السبب الحقيقي الذي أبقى تلك المجموعة تتمسك بديانتها ؟ بل وما المنطق الذي يدعو تلك المجموعة البشرية أن تتفق على الانحراف والخروج عن الأسلام لو كانت قد اعتقدت بالأسلام ؟ ثم هل يعقل أن لاتنتج تلك المجموعة البشرية بعد إسلامها رجلا واحدا أو رمزا واحدا لتشير له كتب التاريخ بدلا من هذا التجهيل .

ونلمس أيضا من خلال قراءة التاريخ ذلك التجريد والتقليل من الأهمية الدينية والمجتمعية حتى ضمن المجتمع الكوردستاني ، مع أن الكورد يقرون حقيقة أن الأيزيدية هم أصل الكورد ، وأن من ينسبهم الى الأمة العربية يعوزه دليل قاطع في عدم وجود عشيرة عربية واحدة على مدى التاريخ

القريب أو البعيد بينهم ، ومن ينسبهم الى الانشقاق والارتداد عن الأسلام أيضا يعوزه الدليل الأكيد من أنهم لايقبلون الانتساب لهم من غير ديانتهم ، ومن ينحرف عن ديانة لايمكنه أن ينغلق على نفسه ، والمنطق يقول انه يجب أن يفتح صدره لكل من يتضامن معه ويعيد من ينحرف أو ينشق عن تلك الديانة الى صفوفها ، غير أن الأيزيدية مجتمع ديني مغلق على نفسه لايقبل حتى عودة من يخرج عن ديانتهم من ابناء الأيزيدية أنفسهم ، عدا عن تلك الأطواق الحديدية التي تحكم المجتمع الأيزيدي في وجود الطبقات الدينية وقضية التزاوج فيما بينها ، والمحرمات التي تحددهم وتلزمهم .

ومن الحقائق التي تم تغييبها أيضا أن الديانة الأيزيدية لم تتعارض مع تلك الديانات في المنطقة ، وتبدو تلك العلاقات الاجتماعية والانسجام في الحياة المشتركة دليل يؤكد تلك الحقيقة ، بل وأن العديد من المحرمات ما يتطابق مع الأسلام ، وما ينسجم مع المسيحية ، وما ينسجم مع الزرادشتية ، فهل أن الديانة المسيحية والزرادشتية حلت بعد الإسلام لتأخذ منها الأيزيدية بعض الملامح ؟

وإذ ينتقل العديد من ابناء الأيزيدية الى الأسلام ، فليس لهم العودة الى ديانتهم السابقة قطعا ، لأسباب عدة ، أو لها إن الأسلام يحكم عليهم بالردة وعقوبة المرتد كما يقول فقهاء الأسلام القتل ، كما أن الديانة اليزيدية لاتقبل منهم تلك العودة مهما كان تبريرهم وأسبابهم ، وهذه الشريحة التي أنسلخت عن المجتمع الأيزيدي غيبت عن التاريخ أيضا ، فلم تذكر لنا صفحات التاريخ حتى ضمن المناطق التي عاشوا بها بعد انتقالهم من ديانتهم القديمة الى الجديدة ، أنهم كانوا حاضرين مؤثرين في التاريخ ، فهل ليس بينهم من لم يكن مؤثرا أو بارزا في التاريخ الإسلامي القديم أو الحديث على الأقل ؟ غير أن التأريخ لم يغفل ذكر المتحولين من ابناء المسيحية واليهودية والمندائية وحتى الزرادشتية ، بل أن التاريخ ذكر بشيء من الأنصاف رموز عديدة كانت لم تزل على ديانتها غير الإسلامية وكان لها التأثير المهم في التاريخ ، غير أن الأيزيدية لم يكنوا بين هؤلاء وهؤلاء .

هناك من يشير الى العلاقة بين التاريخ العربي وشعب كوردستان ، وهذه الأشكالية الموغلة في النظرة القومية الاستعلائية لمن هم غير العرب ، وتلك النفوس الممتلئة بالغطرسة التي عبأها المؤرخ العربي الذي استند واعتمد على آيات مقدسة وأحاديث نبوية مقدسة وتطويعها لصالح المنهج الاستعلائي ، جعلت أرضية لذلك التغييب المتعمد .

وإذا كانت تلك الحقائق التي تخص الأيزيدية بهذا الحجم من التغييب والإعماء في منطقة سكناهم ، لسببين أولهما الديانة التي تم تغليفها بالأسرار والخفايا والطلاسم ، وثانيا تلك القومية التي لم تزل تتحمل رذاذ تلك النظرات والعقليات التي تستكثر عليها حتى حقها في الحياة .

هذا الحيز الجغرافي في منطقة وجودهم التاريخي ، ونعتقد إننا نتفق إن الأيزيدية مهما كانت وجهة النظر تجاههم ، موجودين في تلك المنطقة منذ أن حل الإنسان فيها ، فكيف بالمناطق البعيدة

عنهم وعن المجتمعات التي لم تتوضح لها حقائقهم ؟ كيف بالمجتمع المصري أو الجزائري أو السعودي الذي كانت الكتابات التاريخية المنحرفة هي الوحيدة التي يمكن لها أن تكون بينهم ؟ فلا يمكن قطعا أن تكون كتابات حيادية أو تتحدث عن حقيقتهم أو تدافع عن ديانتهم ، وليس بغريب أن يكتب بعض عنهم استنادا لما كتبه الأسلاف دون تمحيص ودون تدقيق تأريخي فتختفي الحقيقة وتبرز الصورة الوهمية .

بل لم يكن الكورد أنفسهم يهتم بهذا الجانب ، فلم يبرز من يكتب عنهم باللغة العربية توضيحا لحقيقتهم ولاحتى باللغة الكوردية ، لأسباب عدة منها انشغالهم بقضية حقوق شعب كوردستان والدفاع عن قضيته ، ومحاولة أعادة كتابة التاريخ وتقويم التحريف الذي حل في كتابة التاريخ العربي ، كما لم يهتم الأيزيدية أنفسهم أيضا الاهتمام بهذا الجانب لأسباب عدة أيضا ، منها أن مثقفيهم لم يلتفتوا الى هذا الجانب المهم إلا مؤخرا .

سادت الكثير من الكتابات التأريخية فكرة أعادة نسب الأيزيدية الى العرب ، وتعكزت سلطات حكمت العراق على تلك الفكرة في سبيل سلخهم عن حقيقة قوميتهم ، غير أن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع ، فقد انتهت تلك السلطات ومعها تلك المحاولات ، وبقي الكورد الأيزيديون لم تمرر عليهم تلك الأساليب الخادعة في تزوير حقائق التاريخ العراقي ، ومن اللافت للنظر أن الأيزيدية في مناطق العراق أو سوريا أو تركيا يتجاورون مع العرب ويختلطون ضمن مجتمعهم في العديد من تلك القرى ، لكن الجميع يدرك حقيقة قوميتهم الكوردية ، بل ولا يشك في ذلك مطلقا ، غير أن تبطين الكراهية لهم لم تزل تتلبس نفوس العديد من جيرانهم من العرب وحتى من ابناء جلتهم من الكورد المتعصبين دينيا .

المتصفح للانترنيت وللكتابات التي كتبت عن الأيزيدية تجتزئ فترات طويلة ومهمة من حياة الأيزيدية ، فتجزم في قضايا دون دليل ، وتحكم في قضايا دون أسانيد ، ويستند كل تلك الكتابات على الأخرى ، دون تحليل ودون تمحيص ، وحتى دون إدخال الذاكرة التأريخية والحقائق الموضوعية ، ألا يمكن أن تتم مناقشة أسباب وجود قبر الشيخ عدي بن مسافر في لالش ، وطريقة الدفن التي تختلف عن طريقة دفن المسلمين ؟ إلا يمكن أن تتم مناقشة اللغة العربية التي يزعم انه يتحدث بها الشيخ عدي لقوم كورد لايعرفون اللغة العربية يعلمهم أمور دينهم ودنياهم ؟ فالقدرة على التحدث باللغة العربية تختلف بالتأكيد عن القدرة في فهم المفردات وطريقة هجاء الحروف فيعجز المرء عن فهم العديد من النصوص والقدرة على التعبير باللغة الأخرى ، خلال فترة التبشير والإقناع ، ألا يمكن مناقشة وجود الشيخ عدي بين اتباع يزيد بن معاوية بحرية تامة ، بينما تلاحق الدولة العباسية كل الأمويين حتى تصل الى حدود البحر ، دون أن تلتفت الى هؤلاء الذين يزعم أنهم يعبدون يزيد بن معاوية من دون الله ؟ ألا يمكن مناقشة حقيقة الفكرة الدينية التي تولدت في عقل يزيد بن معاوية

من عدمها ، وهو المنشغل بملذات الدنيا والبعيد عن التصوف والتفكر الفلسفي بعد الأرض عن السماء ؟ الا يمكن مناقشة الفترة التي قضاها يزيد في الخلافة ((حكم للفترة من 680-683م)) والتي لم يرد في أي مرجع تاريخي اهتمامه بالأديان والمذاهب ، ثم الم يفكر من يروج مثل تلك القصص الى صعوبة تصديق أن مرجعا دينيا عربيا يتحدث لمجموعة بشرية تتحدث الكوردية ولاتفهم مايقوله بالعربية ، ليطرح عليها فلسفته وديانته ، حتى تتمسك بأقواله وتفهمها وتجعله في مصاف القديسين !!! كيف ينسجم الأمر بين طرفين لايفهم احدهما لغة الأخر إلا بالإشارة !!

حفظت كتب التاريخ العربي خطبة طارق بن زياد الليثي مولى موسى بن نصير حين قرر أن يقتحم البحر ليفتح الأندلس ، وحفظ الجميع تلك الخطبة التي صارت نشيدا للتلاميذ العرب في المدارس ، يتغنون بها ويتفاخرون ، ويقول فيها ((أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم))..... الخ الخطبة ، غير أن حقائق التاريخ لم تذكر أن القائد طارق بن زياد الذي فتح الأندلس كان ((امازيغيا)) لايتحدث حرفا من اللغة العربية ، وأنه أسلم بعد فتح بلاد المغرب .

ولد طارق بن زياد في القرن الأول الهجري 670م في المغرب وتوفي 720م ، وقد اختلف مؤرخو العرب في أصله ، فذهب بعضهم إلى أنه كان فارسيًا ، وذهب فريق آخر إلى أنه كان بربريًا من إفريقيا ومن قبيلة نفزة البربرية أو من قبيلة الصدف الأمازيغية ، كان وثنيا وأسلم على يد موسى بن نصير بعد فتح بلاد شمال إفريقيا من قبل الجيوش الإسلامية ، ولم يكن يتحدث بالعربية ، فكيف صارت تلك خطبته المشهورة ؟؟

وأخيرا أين نجد تلك النظرة التاريخية الحيادية في الكتابة عن الأيزيدية ، ومناقشتهم دينيا بعد تقبل وجودهم وحقيقتهم ؟

المتصفح لأمهات الكتب التاريخية العربية لن يجد أسم الأيزيدية فيها ، مع أن ابن الأثير في الكامل في التأريخ يتحدث عن صحف إبراهيم التي تحدث بها النبي محمد (ص) الى أبي ذر الغفاري ((الصفحة 40)) ، دون أن يتعرض أحد الى تلك الصحف ، مع أن الأيزيدية تقول أنهم اخذوا ديانتهم من إبراهيم الخليل . فهل إن تلك الصحف هي كتب الأيزيدية التي تشكلت منها كتبهم المقدسة ؟ أم أن تلك الصحف الأولى تشكل المعالم الأولى للأيمان بالخالق والتوحيد ؟ ويعلق السيد قطب في كتاباته عن تلك الصحف بقوله ((تتضمن أصول العقيدة الكبرى. هذا الحق الأصيل العريق. هو الذي في الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى.

ووحدة الحق، ووحدة العقيدة، هي الأمر الذي تقتضيه وحدة الجهة التي صدر عنها. ووحدة المشيئة التي اقتضت بعثة الرسل إلى البشر.. إنه حق واحد، يرجع إلى أصل واحد. تختلف جزئياته

وتفصيلاته باختلاف الحاجات المتجددة، والأطوار المتعاقبة. ولكنها تلتقي عند ذلك الأصل الواحد . الصادر من مصدر واحد .. من ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى)) .

ودون شك أن الصحف الأولى هي الآيات المقدسة التي نزلت على النبي إبراهيم ، ودون أن يتطرق احد من الكتاب الى تفصيلاتها الخصوصية ، وإنما جاءت الشروحات والتعليقات جميعها تعتمد العموميات .

ثم الا يمكن الالتفات الى تلك التطابقات في الممارسة الدينية والطقوس التي تمارسها الأيزيدية ، مع تلك الطقوس والممارسات المتبعة في تلك الحضارات القديمة التي سادت في بلاد الرافدين ، أو تلك التي بقيت راسخة في جبال كوردستان ؟

وإذ يتم التنقيب في مناطق عديدة من العراق عن حقائق التأريخ القديم في منطقة من مناطق العراق التي سكنها البشر ، ترى الا تستحق المناطق القديمة والغارقة في القدم والتي سكنها الأيزيدية التنقيب والتحري واستنتاج الحقائق ؟ ألا يمكن أن تنكشف الأسرار المدفونة تحت صخور لالش وهي التي يعتبرها الأيزيدية مكانهم المقدس ؟

وبعد كل هذا الايمكن للمطالع العربي أن يتعرف على ملامح مجموعات بشرية بادت في العراق مثل الزرادشتية ، أوالتي لم تزل باقية حتى اليوم مثل الكاكائية والجرجرية وأهل الحق والصارلية ، حتى يمكن للمتابع العراقي بشكل خاص والعربي بشكل عام من معرفة حقيقة الأقوام التي تعيش في العراق وديانـاتها ومذاهبها ؟

ومن يتصفح كتب التاريخ العربي كالكامل في التاريخ أو الأخبار الطوال أو السلوك لمعرفة دول الملوك لعز الدين أبن الأثير ، وكذلك الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، لن يجد فيها سطرا واحدا يشير الى الأماكن المقدسة التي يقدسها الأيزيديون ، بل أن ياقوت الحموي الذي لم يترك مدينة أو قرية إلا وذكرها في معجم البلدان ، أشاح وجهه عن الأماكن التي يسكنها الكورد الأيزيديون ولم يتقرب منها مطلقا ، بالرغم من احتواء معجمه بالصفحة 139 على قصيدة تهكمية على الكورد ومطلعها : (تبا لشيطاني وما سلا لأنه أنزلني إربلا) ، ويقطع الحموي بمشاهداته لأربيل المدينة الكوردية ، لكنه يتجاوز ذكر أديانهم ومعتقداتهم .

حتى أن الرحالة أبن جبير الذي عبر بلاد بكر ومايليها يصف ملامح الأيزيدي في تفاصيل ضفائره وشكل ثيابه والطبيعة التي يعيشها المجتمع الأيزيدي ضمن تلك البقعة الى عبرها ، غير انه يجعله وصفا عاما للكورد .

بل أن تأريخ الإسلام لشمس الدين أبو عبد الله الذهبي الذي ذكر الفتوحات والأقوام التي قاومت الدين الإسلامي لم يذكر ليس فقط أخبارهم إنما حتى ديانتهم أو ارتدادهم المزعوم عن الإسلام ، وحتى أن مؤرخا مثل أبن خلدون في تأريخ ابن خلدون لم يذكرهم ابدا ، ولم يتعرض لهم الطبري في كتابه

تأريخ الرسل والملوك ، بل أن أبن منظور مؤلف كتاب مختصر تأريخ دمشق لم يذكرهم مطلقا مع أن الكتاب العرب لم يزلوا حتى اليوم يعتبرون الأيزيدية فرقة أموية انحازت الى جانب الخليفة يزيد بن معاوية ، وبدأت تباشيرها من دمشق ، دون أن يضعوا الأسباب المنطقية التي تدعو الكوردي الملتزم سواء بالإسلام أو بديانة أخرى ينتصر ليزيد بن معاوية على أعداءه ، ثم تستمر تلك العقيدة والالتزامات حتى بعد وفاته ، ودون أن نجد أي اثر تاريخي أو مادي على تلك الدعوة الباطلة ، في أعادة الخلافة الأموية ، سواء في الأقوال التي يرددها شيوخ الأيزيدية وقواليهم ، أو في نصوصهم الدينية المتناثرة .

أن المعنيين بكتابة التأريخ تدعوهم الحقيقة اليوم للمساهمة والبحث عن الحلقات المخفية من حياة تلك الشريحة العراقية ، والديانة العريقة الواضحة القدم ، والانفتاح عليهم باعتبارهم أولا وقبل كل شيء جزء من المنظومة البشرية ، وثانيا أنهم أهل ديانة يتمسكون بها ويفتدوها بأرواحهم ، وثالثا أنهم من شعب كوردستان الذي اثبت جدارته في التضحية والتمسك بحقوقه الإنسانية المشروعة ، بالرغم من حجم الهجمة الشوفينية المتطرفة التي واجهها ، والتي نالت من الأيزيدية جزء منها .

وإذا كانت الفلسفة الدينية للأيزيدية مثل غيرها تعني الدراسة العقلية لظواهر السلوك الإنساني ، وتفسيراتها للظواهر الطبيعية و ما وراء الطبيعة مثل الخلق و الموت والإقرار بالوجود ووحدانية الخالق ، فأن التعرض لتلك الفلسفة بالتكفير دون مناقشة أساساتها الإنسانية وحقيقتها القائمة ، واختزال تلك الدراسات بفتاوى تكفيرية من قبل رجال دين مسلمين حصرا ، تقطع كل الإمكانيات التي تتحرى عن حقيقة تلك الديانة بحد السيف ، وتلغي كل الإمكانيات في التحاور والجدل للتوصل الى المشترك في الحياة ، ما يجعل الحقيقة غائبة والتحليل العلمي مغيبا ، وبالتالي فأن الأحكام المسبقة التي تصدر بحق الأيزيدية تأتي دون تمحيص ودون أسانيد ، ودون أدلة تستند على الكتابات التاريخية التي كتبت في أزمان متفاوتة ، فيترسخ الظلم وتندحر الحقيقة .

بقيت تلك العقول مشغولة فترة طويلة بتسفيه الأفكار الدينية ، ومنسجمة مع السلاطين ووعاظهم ، دون أن يتمكن احد منهم التمرد على الخط العام الذي التزم بشطب الاسم والفلسفة من ذاكرة التاريخ الرسمي العربي المدون ، وبهذا غابت عنا حقائق يمكن لها أن تكون مدار بحث ونقاش وتمحيص وتقليب حول الركائز التي استندت اليها تلك الديانة ، وحقائق بروزها الأول في الزمن الغابر ، وعلاقتها بالحضارات التي سادت ثم بادت في أرض الرافدين ، أو على الأقل البحث عن أسباب انتشارها بين كوردستان العراق وسوريا وتركيا ثم أرمينيا ؟

ومع أن الأساطير مصدر مهم لمعرفة تطور الأديان وتطور فكرة الإلوهية عند الشعوب ، ويمكن للباحث أن يعتمدها كمادة خصبة للبحث ، فلم ينتبه احد الى تلك الأساطير التي تكتنف الديانة الايزيدية ، واستنباط الأحكام وتطابق النصوص معها .

يقول الدكتور جواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ((تختلف نظرة الإنسان إلى الخالق والخلق باختلاف تطوره ونمو عقله، ولهذا نجد فكرة "الله" "الإلَه" التي تقابل كلمة Deus في اللاتينية وكلمة Theos في اليونانية وكلمة God في الانكليزية، تختلف باختلاف مفاهيم الشعوب ودرجات تقدمها. فهي عند الشعوب البدائية القديمة والحديثة في شكل يختلف عن مفهومها عند الشعوب المتحضرة. كذلك اختلفت عند سكنة البوادي عن سكنة الجبال والهضاب،ويختلف مفهوم فكرة الله عند الشعوب السامية عنها عند للشعوب الآرية، لأسباب عديدة يذكرها علماء تاًريخ الأديان .)) ص 895 الجزء الثاني .

ولم تزل الأيزيدية متمسكة بتسمية أحد الملائكة المقربين من الإلـه الخالق بلفظة (طاؤوس) وهي متطابقة مع اللفظ اليوناني ، أو كلمة (قوال) المأخوذة من كلمة (كالو Kalo) السومرية ، وتعني (كالو Kalo) بتلك اللغة: الكاهن، الرجل المتدين، كبير السن، والتي يطلقها الأيزيدية حتى اليوم على رجل الدين المكلف بحفظ التواشيح والأدعية والمشاركة بالطقوس وحفظ التراث الأيزيدي ، وهي طبقة دينية محترمة من طبقات الأيزيدية .

كل هذه الأمور وغيرها لم تدفع بالمؤرخ العربي ولا بالمهتم بالأديان والملل والمذاهب أن يحلل ويستنتج ويبدي رأيه ، ولهذا فقد اسقط الإهمال على الأيزيدية نوعا من الضبابية التي مكنت كل التقولات الظالمة والآراء المجحفة بحقهم أن تطرح نفسها لتجد كل التقبل والانسجام في العقل العربي ، ولهذا فقد تكدست الدراسات العربية تنبش في كل مجاهل البلاد ، ليؤرخ العديد من المؤرخين تفاصيل الحياة والسياسة والحروب ، وأديان الجاهلية والإسلام وحركات الردة والانفصال التي حدثت ، ثم التحليل الاجتماعي للعديد من القوميات ، غير أن الأيزيدية كانت غائبة عن كل عصور التاريخ القديم والحديث إلا ما كتب عن غير حقيقتهم ولغرض الإساءة إليهم .

أن اليهودية باتت من الأديان التي لايتحمل المؤرخ أن يذكرها بحيادية انسجاما مع الخط العام للمجتمع ، ومهما زعم بعض أو ادعى آخر أن العداء للصهيونية وليس لليهودية ، إلا أن الحقيقة التاريخية وواقع الحال يخالف ذلك ، فاليهودي اليوم يعيش في بلادنا المسلمة تحت وطأة الرعب والتقوقع والانعزال والاتهام ، فثمة إشكالية طغت على التدوين التاريخي ، من خلال طغيان المواقف الدينية والسياسية ، ونلاحظ اليوم أن جميع ضحايا الإرهاب في بلداننا هم شهداء ، غير أن ضحايا الإرهاب من أبناء الأيزيدية هم قتلى أو ضحايا ، ولم تجرؤ مؤسسة إعلامية عربية أن تطلق لفظة الشهادة عليهم مهما بلغت حجمها .

كما يمكن للنظرة الشوفينية التي تسيطر على عقلية عدد من كتبة التاريخ تجاه الأمة الكوردية ، والإقرار بحقوقها الإنسانية من عدمه ، أن تسحب تلك النظرة على الايزيدية التي يمكن أن تستعيد

ارتباطها القومي ، من خلال محاولات إعادة ترميم حالة التمزق التي حصلت ، ولم تزل تلك العقليات تصدر أحكامها الظالمة والمجحفة بحق الأيزيديون خصوصا والكورد عموما .

وعودة للمدونات التاريخية التي كتب العديد منها وفقا للاعتبارات السياسية والدينية التي تحكم المجتمع ، ولايمكن لمدون أو مؤرخ تحت ظل سلطة الخليفة أن يدون غير ما تريده الخلافة (السلطة) ، وإلا عد ملحدا أو مرتدا أو خائنا وأستحق الموت ، مع إننا لانسحب هذا الحكم على العديد من المدونات التاريخية الأخرى ، التي اتسمت بالجدية والمضمون الايجابي ، غير أنها ابتعدت عن ما يثير لها الإشكاليات والمشاكل .

وثمة حقيقة لابد من ذكرها ، وهي وجود أديان متعددة في منطقة كوردستان العراق ، وحين زحفت جيوش المسلمين ، فأنها نشرت الإسلام على المناطق التي فتحتها ، غير أن تلك الجيوش لم تستطع أن تصعد الى الجبال ، فبقيت الأديرة والكنائس والمعابد التي كان غير المسلمين يمارسون بها طقوسهم باقية ، وحين توقفت تلك الجيوش عند الأماكن التي وصلتها ، بقيت فترة أخرى حتى تمكنت من إيصال الإسلام الى المناطق الجبلية العصية ، حيث آمن بالدين الجديد العدد الكبير من أبناء تلك الديانات ، ليس فقط تخلصا من السلطات الفارسية إنما أيمانا بتلك الديانة الجديدة أيضا ، ويقول المؤرخ محمد أمين زكي في كتابه خلاصة تاريخ كرد وكردستان ص 123: ((أن الكورد وجدوا تشابها بين ماكانوا يعتقدونه والدين الجديد فآمنوا به)) ، في حين بقي عدد كبير أيضا على ديانتهم ، متمسكين بأديرتهم وكنائسهم وأماكنهم المقدسة ، بسبب اختلاف اللغة ، والتعصب القومي ، والاختلاف الثقافي بالإضافة الى ظرف المكان الذي يساعد على الاحتماء .

غير أن كتبة التاريخ أغفلوا أيضا ذلك الصراع القائم بين الزرادشتية وبين الأيزيدية ، ومن حقائق هذا الأمر أن الزرادشتية كانت قبل الإسلام ، وحاربت الأيزيدية حيث نعتهم زرادشت بأنهم (عبدة العفريت) ، وكانت منطقة كوردستان من ضمن المناطق التي تؤمن بالزرادشتية ، وكذلك بلاد فارس ، وبعد انتشار الإسلام ، تقهقرت الزرادشتية ، واعتنق أهلها الدين الإسلامي ، في حين بقيت تلك المجموعة البشرية التي تؤمن بالأيزيدية صامدة ، ولعل هذا الإغفال يتعارض مع اعتقادهم بارتداد الأيزيدية عن الإسلام .

بقيت قيم الدين مسيطرة بشكل واضح وقوي على الكتابة التاريخية ، وتطورت الى السطوة والهيمنة ، حيث بات سيف السلطة بعد أن صار الخليفة أميرا للمؤمنين ، الحاكم الديني والسياسي للأمة ، وظفت المؤرخ كتاباته بما لايتعارض مع تلك السطوة والهيمنة ، ولهذا تأتي العديد من الحوادث التاريخية في سياق غير سياقها الحقيقي .

الهوامش

(1) هوشنك بروكا – المصدر السابق

(2) الدكتور خليل جندي – المصدر السابق ص 32

(3) هوشنك بروكا – المصدر السابق

مراجع البحث

1- أبن أبي الحديد – شرح نهج البلاغة – المجلد الخامس – الجزء التاسع – تحقيق محمد ابو الفضل أبراهيم – دار أحياء الكتب العربية عيسى الحلبي – القاهرة 1967

2- أبو داسن – حول مفهوم الشر في المعتقدات – مقالة منشورة في مجلة روز العدد 10

3- أسماعيل بك جول – اليزيدية قديماً وحديثاً – الطبعة الأمريكانية بيروت 1934

4- الدميري – حياة الحيوان الكبرى /الجزء الثاني – منشورات الشريف الرضي 1396هـ مطبعة الحلبي القاهرة

5- د. بير ممو عثمان – مقالة منشورة على الانترنيت في صفحة الكاتب العراقي – المدار ومقالة منشورة على صفحة داسن بالأنترنيت .

6- جون س . كيست – الحياة بين الكرد .. تأريخ الأيزديين – ترجمة عماد جميل مزوري – دار سبيرز دهوك 2005 / ص 81

7- الحلاج الحسين بن المنصور – الطواسين تحقيق لويس ما سينيون دار الينابيع دمشق 2003 ص 154

8- د.خليل جندي – نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية – السويد دار رابوون 1998

9- خدر بير سليمان – تقاليد القرية الأيزيدية – ترجمة عيدو بابا شيخ – الطبعة الاولى بيروت 1998

10 – عامر حنا فتوحي – الكلدان .. منذ بدء الزمان – دار النعمان للطباعة والنشر – ديترويت 2004

11- هوشنك بروكا – الايزيدية والطقوس الدوموزية – مجلة لالش –دهوك / صفحة داسن على الأنترنيت في أدب التاريخ

12- – د.رشيد الخيون – مجلة النهج العدد 22 ربيع 2001

13- د. روزاد علي – كاتب كردي من عفرين – صفحة عفرين نت / بعض ملامح المعتقدات الدينية في جبل الكرد – عفرين – في فترة ماقبل الميلاد .

14- زكريا القزويني – عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – دار الأفاق الجديدة بيروت 1973

15- د. كاظم حبيب – الأيزيدية ديانة تقاوم نوائب الزمان – دار الحكمة لندن 2003

16- د.محمد عبد الحميد الحمد – الديانة اليزيدية بين الاسلام والمانوية – دار الاوائل للنشر – دمشق 2002

17- سعيد الديوه جي – اليزيدية – مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل 1973

18- د.سامي سعيد الأحمد – اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم – مطبعة الجامعة بغداد 1971

19- سليمان مظهر – قصة الديانات – مطبعة مدبولي القاهرة 2002 الطبعة الأولى

20- صديق الدملوجي – اليزيدية – مطبعة الاتحاد – الموصل 1949

21- الفيروز آبادي – القاموس المحيط – مؤسسة الرسالة بيروت 1987

22 – يعقوب سركيس – مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد – منشورات وزارة الأعلام العراقية 1981

23- ميرزا حسن دنايي – مجلة روز العدد 10 – 2001

المؤلف في سطور

زهير كاظم عبود

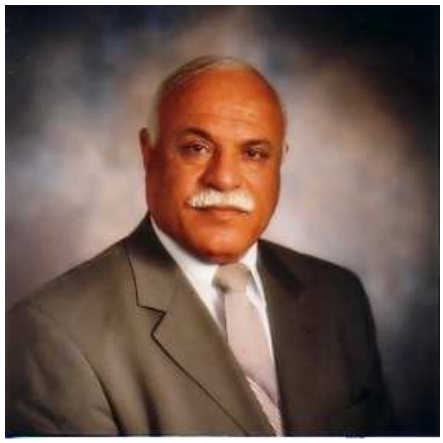

حاصل على البكلوريوس في القانون من كلية القانون والسياسة – جامعة بغداد

عمل معاوناً قضائياً و محققاً عدلياً ومحاميا في المحاكم

متخرج من المعهد القضائي العراقي 1985/1984

عمل قاضياً في المحاكم العراقية

عضو أتحاد الكتاب في السويد

محاضر في كلية القانون بالأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك

عضو نقابة الصحفيين في كردستان العراق

أصدر الكتب التالية:

1- لمحات عن اليزيدية – بغداد - دار النهضة 1994/ لندن- دار الرافد 2000

2- لمحات عن الشبك – لندن دار الرافـد 2000

3- ليلة القبض على رئيس الجمهورية – دار المنفى – السويد 2002

4- جمهورية الغجـر – السويـــد 2003

5- البهتان في اسلام ابي سفيان – السويد 2003

6- كتابات في القضية الكردية والفيدرالية وحقوق الانسان – دار دراسات كردستانية السويد 2004

7- مخابرات صدام وأغتيال الشيخ طالب السهيل شيخ بني تميم – لندن دار الحكمة 2004 / دار أيزيس للأبداع والثقافة – القاهرة 2006

8- لمحات عن سعيد قزاز – وزارة الثقافة – أقليم كردستان – السليمانية 2004

9- الأيزيدية.. حقائق وخفايا وأساطير – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 2004

10- نظرة في القضية الكردية والديمقراطية في العراق – دار دراسات كردستانية – ستكهولم 2005

11 – النقاط المهمة في الدستور العراقي القادم – دار حمدي للنشر والطباعة – 2005

12 – طاؤوس ملك / كبير الملائكة لدى الأيزيدية – دار سردم للنشر والطباعة – 2005

13– عدي بن مسافر مجدد الديانة الأيزيدية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2005

14– الشبك في العراق – دار سردم 2005/ دار أيزيس القاهرة / مؤسسة هافبيون – المانيا

15– محاكمة صدام – دار حمدي 2005 / دار فيشونميديا – السويد 2005

16– الأرهاب في العراق – دراسات كردستانية 2006 / دار ئاراس للدراسات والنشر =– اربيل 2007

17– التنقيب في التأريخ الأيزيدي القديم – دار سبيرز دهوك 2006

18– المسؤولية القانونية في قضية الكورد الفيليين – دار ئاراس للطباعة والنشر – اربيل 2007

19– قضية الدجيل ونهاية صدام – دار ئاراس للطباعة والنشر – أربيل 2007

20– كتابات في الشأن العراقي – دار سبيرز دهوك 2007

أصدر في العراق دراستين قانونيتين بأشراف وزارة العدل :

التحقيق الأبتدائي وأجراءاته 1986

اليمين في القانون العراقي 1992

وله تحت الطبع

1– قراءة في قضية المرأة .. الزواج والطلاق

2– محكمة الأنفال

3– أوراق من ذاكرة مدينة

الفهرست

المدخـل

الفصل الأول نظرة عامة في ملا مح التكوين الأولى للأديان

الفصل الثاني ملامح البدايات

الفصل الثالث الطواف بالسنجق

الفصل الرابع عبدة الطاووس

الفصل الأخير

المراجع